

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْفَتَّاحِ

قال فضيلة الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي : الملح هو ركني الختم للإسلام ، واستكمال نعمة الله تعالى على الإنسان ؛ لأن هذا الركن يتطلب كثيرا من تقويته ، يتطلب عافية البدن للقدرة على الحركة وشفقة لبر وجانب السطر ، ويتطلب راحة ؛ ويتطلب أن يترك الحاج لكل من يموله في بلده لئلا يفرط في العودة ، فالذي يملكه الله من كل ذلك يكون قد أتم عليه نعمة ربه ، لأن نعمة الربوبية سبقت نعمة الأخرية ، فمنة الربوبية عطائه من الله ، والذي يفتيك لا يطلب منك أن تقول له : و ليك و لكن الذي يطلب منك هو الذي يتطلب أن تقول له : و ليك و فالعطائه مأولة من أعلى لأدنى ، ولكن طلب الأخرية هو الذي يحتاج إلى معالية النفس في : العمل كذا وهو لا يحب أن يفعل ، ولا تفعل كذا وهو يحب أن يفعل .

إذن .. لمرحلة التكليف في العمل ولا تفعل هي التي تتطلب أن يقول العبد فيها : و ليك يا ربى و أى : إجابة لدعائك لى .

وأما عطائه الله له في النعمة فلا يتطلب منه أن يقول : و ليك و والزمن حين يوقف بشمار الملح في قوله : و ليك اللهم ليك و لاحظ أنه بحسب الله ، لإجابة الله إيفا تتطلب أن يخرج الإنسان عن اختياره فيما يرى أنه مريح له وأنه مسعد به و إلى اختيار الله تعالى له .

والحق سبحانه وتعالى لم يكلف بأفعل ولا تفعل إلا بعد أن أدى عطائه ربوبية كاملة ؛ جازيا الإنسان من عدم ، وإمدادا له من عدم ، ومعرفة له على الحركة بطاقات وأجهزة واتصالات ، وكرم من يفعل له بفعل معه .

ولذلك لا يطلب الله منا إلا التكليف ، وفعل التكليف بفعل عطائه الربوبية سابقا ، كما ظل عطائه الربوبية للكاثر أيضا . فعند يقول المؤمن : و ليك اللهم ليك و أى : إجابة بعد إجابة ، لا يقول : و ليك يا ربى و ألا ، وإنما يقول : و ليك اللهم و أى ليك فيما كلفت به وأخرجني عن مشتهيات نفسي في أفعل كذا ولا تفعل كذا . فكان للمؤمن حين يقول و ليك اللهم و فرحب بالتكليف من الله ، ومعنى الترحيب

وما دام التائب باق في معصية الله ،
 ومع به باق ، لكن فيها المؤمن وقت
 ، يا ابن آدم لا تحقر من خلق الله
 وقوله : « لا شريك لله » يستعمل
 تسمية محمد الله عليا : وتسمية نبيات
 الإسلام .

من لا تتعوى
 على ذلك ،
 ح مادة الحياة
 جك ، كحفظ
 ال سبحانه :
 ز كذا يكون في ،
 كذا ، أي أن
 ، فحصل وفي
 بال غير القادر .
 ، قسر مطلقه ،
 محبة من الله ،
 أفضى بالخالق
 غير حركي ،
 ، والصفة لك ،
 مد لا يكون إلا
 ، ١٣٤٢ لاك
 : أخرى ، وفي
 عليا أن غمده
 حده عليها بطله
 ، هذه يجب أن
 ه كبرية عظائم
 في الأصل : ٢٦٦

(١) روى الترمذي (٢٤٦٦) وابن طبري (١٢٤٦)
 الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى به
 ولا قيل ثلاث بذكر مثلا ولم له
 روى مسلم (٢٥٧٢) « ٢٥ » عن أبي
 روى عن الله شريك وتعالى أنه قال
 سموا فلا تظلموا ... » الحديث .
 قالوا في مسجد وأسد شاكروا لله
 يمشي المحمد إذا قيل الصبر ... »

بالكليف من الله : أن المؤمن أصبح له شغل في ، يدرك بها أن الله لا يكلفه إلا أمرا
 مجها إليه ، لأن الصفة من تكون من الرب تسمية خلق عليها في أنها شاملة من
 المكلف ، ولكن المكلف قد أحاطا بجهتها فحصل عليه ، ولا يستطيع أن يحمل
 نفسه عليها ، فحين يعلم أن الله لم يكلفه طاعة من إلى تكليفه وإنما يكلفه إلى أمر يفعله ،
 لذلك أوجها من عطاء البرية أن يكلف .
 فالولد الذي يطلب من أبه مثلا أن يخدم بأشياء حرة ونعمة ورفاهية ، لا يطلب في
 أن ذلك أمر بمعصية ، وللمعطي وهو الأب والمعطي له وهي الابن يتفقا في ذلك ،
 ولكن الخلاف إنما ينشأ في أمائر التكليف من الرضى ، أو من الولد ، أوامر التكليف :
 لا تعمل كذا يا بني ، لا تمت بهمة ، لا واجبك ، ثم حمل ، لا تصاحب أهل السوء ،
 كل فعل يطلب منه أو فيلزم بك عنه يكون فيه متفق على التمس ، فالولد الذي يدرك
 أن أباه يحبه ويعلم له ما يفعله في حياته يستغل كل تكليف بأن شئ عليه ، لأنه يعرفه
 من الخير ، يستغله بالمحب ، ويستغله بالرضا ، وكذلك حين يقول المؤمن : « لبيك
 اللهم لبيك » : إنيك يا ربني أن أخرجني إلى مشقات ، ولول هذه المشقات أن أترك بيتي ،
 وأن أترك وطني الذي أكنيت أكنيت به ، وأن أترك أهلي ، وأن أترك ربي وأن أترك مالي ،
 وأن أحمل مشقات السفر ، وأن أخرج من رقة نفسي ومشيئها التي تصوره وتصور مقامه
 في محبته ، وأن أسمع من أسيئه كبيرة أحبها إلى الله .
 كل ذلك مشقات ، فلا يرى يتمم بعيد لا بعيد ، ولذا يتمم بطلب لا بطلب ،
 والذي يتمم بكمال لا بكم ، والذي مهمته تطلب الشجر أو تعليمه يتبع تفتنا من قطع
 إلى شجرة ، أو حتى من بها .
 إني .. أريد مع الكون كله ، مع جماده ، ومع نباته ، ومع حيوانه ، وأريد مع المخلوق
 جميعا : هو لا يترك ولا يشترك ولا حتمال في التمس في رضى : ٢١٧٧ .
 كل تلك مشقات ، هذه المشقات يستقبلها المؤمن ويغفر : « لبيك اللهم لبيك »
 إجابة بعد إجابة ، لأنني أركب لك لا كلفني إلا بغفر ليعود إلى مكان كان في طاعته
 مشقة .

المسح

والخلق حين يقول : « لبيك اللهم لبيك » لمحمد والصفة لك ، يشير إلى عبادات
 البرية ، لأنه ما فعل في استطاعة المسح إلا بركات منورة له ، هذه البركات
 عاتيا المؤمن إنيك بها ، حيث سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نبي الإسلام
 على خمس » ١٧٦ ، فمن بأن المسح ركن من أركان الإسلام ، فحاش منه عقيدة وعبادة ،
 فهو يصحبه إلى به كي يوم تحس مرات ، وتلك تلك البيت ، فهو لا يزال عالقا في نفسه ،
 عالقا في شكوكه ، عالقا على أني أن يحس أنه تعالى لم يسمه المسح له فيتم به تسمية الإنيك
 الله ، وأركان الإسلام له ، وإنما ما فعل في به ذلك أنه نفسه أصدانا حركيا في الحياة
 يبرز بهذا ، والأصداء في حركة الحياة إنما يطلب موجود طاعة ، وموجود طاعة ممتدة من
 الله بالقوة وممتدة من الله بالتصور ، ويطلب إنيك في موجود الطاعة ، لأن الزمن الذي
 يدرك فيه الإنسان يكون له عطاء على قدر ربه ، يعمل اليوم ليقرب نفسه اليوم ،
 فحركته اليوم تتجلى لانتباهه بأكثر منه غير كثر في اليوم . ولكنه لا يبقى له شئ بعد ذلك
 يستقيم به في زمن آخر ، ويكون له وحده ، بل ما قسمت طاعته وضووه لمتطلبات أن
 تلتقي حركة اليوم بما يكفي اليوم ذاته ، ويكفي اليوم لن يومه أيضا .
 إذن .. ، ذلك امتداد طاعة الحركة . فإذا ما أراد أن يخرج لا يجمع ذلك لبعض حركة
 اليوم قوت اليوم ولا قوت من يقول ، وإنما يعطيه وزرا يستطيع أن يداخره قوة من الزمن
 يجمع لها المسح : شهرا أو شهرا أو ثلاثا ، هي حسب مقتضيات المصالح والأوقات ،
 فلا شك أنه يؤدي طاعته في العمل تربية تحس لوجهه ولجود من يقول وليدني ما يستطيع
 أن يحبه الله تعالى به لأداء فريضة المسح .
 إذن .. فالتوهم حين يستمر من مسائل المسح وأركان الإسلام به على حركة العمل
 وفي بالله الأسيء الأخرى لعمل بها : لأن لم يقتصر على الحركة ليقرب ربه أو ليقرب
 زمن من يقول ولا وفر عده فلا يستطيع أن يقدم بكل أركان الإسلام ، فلا يستطيع أن
 يؤدي ولكنه إن العمل مثلا أو كذا والخير في بالله مصالح من حركه ، ومضاف من
 (١) روى البخاري (١٧٦) ومسلم (٢١٧٦) والترمذي (٢٤٦٦) والبيهقي (٥٠٠١) عن ابن عمر
 رضي الله تعالى عنهما .

المسح

٥

إذن .. تأتينا بأصحاب الأمر الواحد ٢ الأمر الواحد لا بد أن يخضع قهرها عنه رضى أو لم يرض إلى الغير .
إذن .. فكل حركة من حركات الوجود هي نابعة ؛ تحرك بها مؤمن ، تحرك بها كافر ، تحرك بها طائع ، تحرك بها عاص .
إلا أن الفاعل إن حصل في يده الله تعالى الذين وصف له هذا بأخذ ثوابا عظيما في الدنيا والآخرة ، وإن لم يحصل الله تعالى في يده بأخذ حظه من الدنيا ، ولا نصيب له في الآخرة .

○ ○ ○

أما إن أردت أن تُستعبد نفسك إسماءا آخر فانضم مع الأشياء التي خلقها الله تعالى لك والأشياء التي خلقها الله للإنسان لم تفكرنا إليها لوجدناها : شيئا بمطلبك إن طلبت منه .
والشيء الذي بمطلبك وإن لم تطلب منه . وتستطيع بعد ذلك أن ترقى رتبا آخر فبمطلبك إن طلبت منه .

ثلاث مراحل : فالأشياء التي بمطلبك مثلا وأنت لا تطلبك منها كما نعلم . فأتيت لا تطلب الغير ، بمعنى أن تقول له : ازل لي . ولكن الله يقول لك . كذلك لا تطلب ضوء الشمس حرارة ودفا وتورا وشرا ... إلخ ، بل الله يأمرها لتعطينك ، وكذلك لا تطلب من عناصر الأرض شيئا بل هي بمطلبك بلأذن ربها ما شاء لها أن تعطينك . ولكنك تعد شيئا آخر إن افعلت فيه اتعمل لك .

فالأرض مثلا إن بدلت فيها دورتها : انفتقت وإن لم تعمل : لا تعطينك .
إذن .. ففي الكون أجسام بمطلبك وإن لم تطلب منها ، وذلك الناس فيه سواء ، وأشياء إن افعلت معها افعلت لك وأعطيتك .

وبهذا يختلف الناس قوة وضعف وحضارة وارتقاء ؛ فالذين يعملون فيما يعمل لهم هم الذين يسودون . فالذي يحرك الأرض ودورها ؛ ويرعى الريح ويحرض على أن يضيئ في الأرض الليرة التي تاسيها برتقى .

والذي بمطلبك وإن لم تطلب منه إذا افعلت معه اتعمل منك وأعطاك شيئا جديدا ترتقى به ؛ وتخذ مثلا : حينما عرت الطاقة على الناس وفكروا في بديل للطاقة ؛ كان في البداية : الخشب والحطب ، ثم الفحم ، ثم البترول ... وكل هذه وسائل طاقة ، ثم فكر ورثقى وأخذ الطاقة من الشمس .

إذن .. فالتعسس كانت تعطينك وإن لم تطلب منها ؛ ولكن بالارتقاءات الثانية أصبحت تعطينك إن طلبت منها ، تأخذ من حرارتها الزائدة وتحتون وتستفيد منها . تلك عطائيات من عمليات البرية للخلق جميعا . وباحتلاهم في هذا يختلقون رزقا وحقوقا وارتقاء .
الإنسان منا حين يفعل فيما يفعل له بأخذ خيرا من خير الوجود فوق الآخر . هذا الذي يأخذ من خير الوجود فوق الآخر لمن يأكل بيطلين ، ولن يأكل بسمين ، وإنما هي وجهة كوجهة الآخر .

فى الإسلام المساواة... وعدم التعالى

حين تعالى الناس بالأشياء، برده الحق سبحانه وتعالى أن يخلعهم خلعا من تعاليهم، حتى يضمن تعادل الخلق. ومعنى تعادل الخلق: الاستطراق الأدنى فى الكون، ومعنى الاستطراق الأدنى أن لا تعالى أحد على أحد؛ لأنك إن تعاليت على أحد يظهر من مظاهر حياتك فانظر: أمداً الظاهر ذاتي فكيف لم موعوب من الله تعالى لك؟ والفرق بين اللاتى والرموب أن اللاتى يظل معك والرموب يمكن أن يبتلى منك.

فإن تعالى واحد على واحد يتوزع، أتدوم له فوته هذه؟ أم من الممكن أن يضعف غداً؟ ولو تعالى واحد على واحد ينجح، أمن الممكن أن يدوم له غناه هذا؟ أم من الممكن أن يأمس به غداً ربه بر فقرا ساء الناس؟

إذن.. فكل أمر ليس ذاتياً فإن الله تعالى يضع فى تشريعه رقى منهجه ما يدرك هذا التعالى. هذا التعالى الذى نسيبه «الأخبار»، ومعنى الأخبار: حى الأشياء التى لا تجت عند تكوين واحد.

وما دامت لا تجت عند تكوين واحد، فلا بد أن يكون لها مكون أعلى من ذلك الواحد.

إذن.. فكل وسائل تعالى الإنسان ليست ذاتية فيه وإنما هى موهوبة من الله تعالى. فبناء الحق سبحانه وتعالى بما شرع من أركان الإسلام أن يضمن ذلك ليظل الإنسان مستخلفاً فى الأرض، ليس أصيلاً فيها؛ لأن الذى يقصد الكون أن الإنسان يظل أنه أصيل، فيستغنى.

فقول له: إن كنت أصيلاً فحافظ على مقومات تعاليك! وما دمت لا تستطيع أن تحافظ على مقومات تعاليك فليس أصيلاً. وقرأ قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَلَى آثَارِ الْآثِرِينَ

تَكَفَّرَ ۖ أَنْ يَأْتِيَ نَسْتَقَ ۖ﴾ (العلق ٢).
فما دمت استغيت بشئ ليس ذاتياً فكيف تأدب بعض الشرع، وإذا تأدبت بعض الشئ فستدكر الواجب لك، وإذا ذكرت الواجب لك فستند منهجه.

ولذلك كانت أول الأركان أن تشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ خاصين لأولهم. وما دنا أنا وأنت خاضعين لإله واحد فذلك أول مظهرية من مظاهر التساوى، وما دنا تسارينا فى هذه فالخلق سبحانه وتعالى يدعونا إلى إعلان هذا التساوى فى أول ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهو الصلاة.

بإذا نودى للصلاة سعى الناس جميعاً إلى بيت الله ليؤدوا الصلاة وسعى الناس ساعة البناء لا يترتب مقاماتهم، ولكن يترتب إحتاجهم للأذان، فالذى سمع الأذان ويأمر متوجهاً يذهب أولاً.

كل هذا يدل على أننا جميعاً نصلر عن أمر واحد ونهى واحد، فلا تعالى لإنسان على إنسان.

رحمن يكون الإنسان عبداً لله تعالى يكون غيره عبداً لله أيضاً. ويقولون دائماً: «عبد غيرك حراً مثلك»، حتى فى البشر، لو أن إنساناً عنده عبد، هذا العبد عندك أنت عبد فقط، أمّا صاحبك فلا يقول له أنت عبد، لأنه عبد لغيره.

وكذلك الإنسان، إذا استعاضر عبوديته لله وعبودية غيره أيضاً لله تعالى شئ مبدأ الصلوى فى الأرض.

○○○

صاحب الجاه ، هذا استطراف يعني في الملح الذي نصح إليه وقد نسبت أقمارنا . ولأنك تترى الله تعالى بينا مقومات هذا الاستطراف فيقول : إنكم تخطفون في بيتكم ، وتختفون في حياتكم ، وتخطفون في لباسكم ، فكل واحد يحدد مكانه في مجتمعه وهناك ولباسه ونوع الأمتعة ونوع التغطية ، ونوع الهيئة التي عليها : مبنوية جينا أم لا ، مبنوية أم لا ... وهذه الهيئة تختلف فيه مقامات الناس ، فيريد الله أول كل شيء في الاستطراف أن يطلع هذه الهيئة جميعا ، وأن ليس لباسا واحدا لا يختلف فيه أبدا . حتى تخرج أول تأثير الهيئة الإنسان : لأن من الذي يعلو النعمة للإنسان ، أمر ماله الذي في البيت ، أو ماله الذي عنده في الخزانة ؟ أم في صميمه ، أم في عمارته ؟ هل ساهل العمارات أو الشبكات ، أو قول للناس ها أنا ذا ؟ بالطبع لا ، إنما الذي بين مكانة الإنسان في مجتمعه هيته ، فيقول له : أول شيء في الهيئة أن تنتهي حتى تفعلها . لا تتفعل ولا تخطط ، ليس فقط فاعلمها ، لا ، بل في الأزار والرداء ، كلها لأجل رداء يكاد يكون كله شكلا واحدا ويكاد يكون كله زجا واحدا ، وأذا ما لبسا لباسا واحدا انتهت أول مظهرية من مظاهر المظاهر والتماثل ، الهيئات والبركات .

وبعد ذلك يخرج الله بما ألف : من أهل ومن ولد ، ومن مال ، ومن بيته ومن حياته رتبة ، ومن وسائل مرتبة في تنقلاته ، كل هذا يخرج منه .

وبعد ذلك يعلمه أدب الجراح . فيقول له أنت كنت حرافى أن تتزين ، وأن تطيب ، وأن تقصر شعرك ، وتعلم الظلمة . لا . التزم ها ، أنت فقط تتزين وتطيب وتستحم إلى أن تحرم ، وقبل ذلك أنت جحر في أن ترتجل شعرك وكذا ... الآن إياك أن تفعل شيئا تسقط شعرة .

انظر إلى الأدب مع الفئات ، إياك أن تسقط شعرة منك ، إياك كذا ، إياك كذا . أدب في تكوين اللات :

وأدب مع الجهاد ، وأدب مع النبات : إياك أن تقلع هذه الشجرة . إياك أن تضطاد هذا الحيوان . وأدب مع الناس : إياك أن تجادل ، إياك والتسوق ، فأخبره الله تعالى من كل مقومات تكويبه ، ومقوماته : وطنيا ، أهليا ، مائلا ، هنداميا ، كل هذا يخرج منه .

المساراة في الصلاة والصلح

إن الصلاة حين ندعى إليها تلعب جميعا ، لا بأقمارنا في ذواتنا ، ولكن بأقمارنا بالنسبة لشهج الله ، فالذي يسرع خطا ساعة يسمع النداء إلى المسجد ، يذهب أولا ليحس في الصف الأول ، ولا يراحمه من يأتي بعده ، ويتبع على المسلم أنه يتخطى الأرباب ليصل إلى صف لم يؤمله زنه له (٢١) ، وبعد ذلك يكون أقدار الناس واحدة ، فالعظيم يراه من دونه في حركة الجهاد ، وهو ذليل بين ربه ، وساجد بجهته ، مثله ، وضاح إلى الله دعاء ورجاء .

إذن .. فالمنظمة والأهبة خارج للمسجد اتبعت ، وكل واحد منا شهيد الغير على مشهده من الدالة لإله واحد . حين يراني من هو أعظم مني في حركة الحياة خارج الصلاة وأرى من دوني يراني مثله ؛ استطرق الجهاد ، واستحق الإنسان بعد ذلك حين يخرج من المسجد أن يظهر عليه التماثل ؛ لأن مسجد لمن سجد له ، وركع لمن ركع له ، وركي لمن ركى له ، وتضرع لمن تضرع له . إذن .. فالمساراة هنا واحدة ، وما دامت

وكان الحق سبحانه وتعالى يريد بذلك في ركن الصلاة أن يلمن ذلك السارى ، ولكن إعلان السارى في الصلاة يقولون إنه إعلان نبى ، يعنى : كل جمعة في مسجد من المساجد أرا بعضهم البعض في عبودية وضراعة وخضوع وذلة لله تبارك وتعالى . ويريد الله أن يعنى لهذا الاستطراف ليس بيته محدودة ، بل بيته عالمية ، تماثلية الاستطراف لكل أحاس أهل الأرض ؛ الأمم القوية ، الأمم الضعيفة ، الغنى ، الفقير ،

(١) روى أبو داود (٢١١٨٧) والبيهقي في السنن الكبير (١٧٠٦) وأحمد في المسند (٢١٨٨/٤) وابن حبان في صحيحه (٢٧٩٠) واللفظ له عن عبد الله بن بسر رضى الله تعالى عنه قال : « كنت جالسا إلى جنب النبي يوم الجمعة ، فجاء رجل يتخطى رقاب الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحطبه الناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجلس فقد أتيت رقيبت » . وقال الأرباؤسط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، وهو عند ابن ماجه (٢١١٥) عن جابر رضى الله تعالى عنه ، وصححه الألبانى .

إذن فالإنسان هو السيد . وما دام هو السيد فحقه كم عبد ؟ الحيوان عبد ولكن الحيوان عبد وسيد أيضا ؛ لأن النبات يخدمه والجماد يخدمه ، إذن فهو عبد لمن هو أعلى منه ، سيد لمن هو أدنى منه ، لأنه يأكل من النبات ، وكل المصطنع التي في الأرض تنفعه .

والنبات : سيد ، ولكنه عبد للحيوان وعبد للإنسان ، وسيد للجماد ؛ لأن الجماد هو الذي يعملي له غذاءه وعناصر تكوينه .

والجماد : عبد للكل ، إذن .. فهو أدنى منزلة في الوجود .

قاله سبحانه وتعالى أدنى مع نفسى حركة وحسما ، وأدنى مع النبات ، لا أقله ، وأدنى مع الحيوان فلا أسطاده ، ونفى أن يؤدي مع الجماد ، فجعل حبرا يوضع في الكعبة ، ويقول لي : لا يصلح جعلك أو عصرتك إلا بأن تسلم عليه ، أو تقتله أو تلعبه ، أو حتى تشير له فقط !!

إذن .. الإنسان الأعلى يخضع هنا لهذا المجر الذي هو الأدنى ؟

نعم .. فهذا هو الاستطراق ، انظر كيف نزل الله الإنسان من كبرياء سيده إلى أدنى العبد والتخلفات وهو الجماد .

إذن .. فالإنسان استوفى كل الاستطرافات مع الكون ، ويصبح عظيمة كل فرد في الكون بأداء مهمته ، لا يوجد شيء عظيم بذله ، ولكن عظيم بأداء مهمته .

وما دام بأداء مهمته ، نسح له اختيار في أداء مهمته ؟

إذن .. فلا تعالى لحيوان على نبات ، ولا نبات على جماد ، ولا شيء من هذا ، إنما التعالى من الإنسان على هذه الأشياء .

وبذلك في الملح - وهو الركن الخامس الخاتم لأركان الإسلام - يقول له : الهم أدبك والزم حملك وتزول من سيادتك إلى أن تقف حتى تستلم هذا المجر .

وحسب لا تنهم إنه ححر لأنه ححر ؛ لا . فكان مراد الله تعالى أن يزول الجنس الأعلى إلى الجنس الأدنى ، فأصبح ذلك مشروطا في صحيح الإيمان .

إذن .. هو أدب مع الكون : بداية مع النبات يقول له : اياك أن تطلع هذه الشجرة ؟ اتركها ، اياك أن تصطاد هذا ، اياك أن تقتل أحدا ، اياك أن تجادل أحدا ، اياك ... كل هذا لأنك ذاهب إلى بيت الله .

ما هذا ؟ ما هذا القالب الجديد الذي يأتي الإنسان الذي استكمل كل مقومات الحياة ؟ لأنه ما أصبح مستطيما للمحج إلا بخدمته كل شيء تنفعه إلى أن يعود ، فحينئذ يقول له : تأدب إذن هذا .

ويعد ذلك يذهب إلى البيت في أدب من أرق أنواع الأدب : مجموعة أحجار ، الله تعالى نفسها في مكان البيت وقال لك : طف حولها ، وحج منها ، بكل هذا المجر ، لو يكفي أن تسلم عليه بإشارة إنما رخصت أنك لا بد أن تلحن المجر ، فصارل وتدفح حتى تلسمه ، وإن لم تلسمه تقول لا بد أن أعرف مرة ثانية حتى ألسه !! فما هذا المجر ؟

إنك لو نظرت إلى أجناس الوجود لو وجدت هذا الجماد هو الجنس الأدنى في الوجود ، لأن أجناس الوجود إن تفاوتت ؛ ولما تفاوتت بقدر تفصلها في المصطنع ، الإنسان لماذا هو السيد في هذا الكون ؟ أنه متخير عن الأجناس كلها بأن عده بكر ، يوره الله بهذا الفكر عن الحيوان ، مع أن الحيوان له أجهزة وله دورة دموية ، ودورة كذا ، ولكن ليس عنده الفكر .

إذن .. فانا أخذت خاصية الفكر ، وهو نقص فيه . فصار جسا أدنى بقند خاصية الكمال فيه .

والحيوان أيضا زاد على النبات بالجنس والحركة ، والنبات زاد على الجماد في النمو ، فالمحجرة تظل ملقاة وتطوهرها بالأقدام ، أما النبات ينمو وفيه حياة .

إذن .. فوجود تعاليات في الأجناس : جنس أدنى ، يأتي له ثم فيكون نباتا ، وآخر يأتي له حس وحركة فيكون حيوانا ، وآخر يأتي له كل هذا ثم يوره الله تعالى بالفكر فيكون إنسانا .

البكاء عند رؤية الكعبة

كثير من الناس يقول لك : أنا حين أرى البيت أو أطرف تتجاهي حاله من البكاء لا أعرف ليه سبب ؛ فإذا سأله لماذا يبكي ؟ لا يجيبك بشيء ؛ البكاء هنا غشول الكبرياء مانعه ، فأتى أمره هذه الكعبة التي هي منية من هذه الأحجار وفيها الحجر الأسود فيقبل يبكي . وهذا البكاء هو مظهرية الضعف ومظهرية الخوف .

لأن الإنسان يفتخره التكبرية أذكر أنه كان يوجد تمايزات متعددة ، التمايزات كلها ذهبت ؛ ولكنها أتت من العقل الباطن ؛ وهم لا يشعر بها ، ولكنه عندما يبكي ؛ ويطلب يحكي أنه يبكي بشيء من الفرح ؛ فهنا دليل على أن البكاء صانع معه توازنا كمداريا في ذاته ، كمية الكبرياء التي كانت عنده منخفضة توازن انتهت ، فبرئاح .

إذن .. فكل تكبريز من التكبريات يتألى على نفسه إن كان على غير ما أراد الله وشيوعه . فعندما يبكي على قدر ما أسرف ؛ وعلى قدر ما أتى وعلى قدر ما خالف ؛ فيجد نفسه ارتاحت ؛ ثم يشناق إلى ما يكرهه ؛ يشقى أن يأتي مرة ثانية ويكره كما يبكي المرة الأولى .

ولذلك لا يبكي كل مرة على الأولى ؛ في المرة الأولى يبكي بحرارة شديدة ؛ أما التي بعدها فيبكي أقل ؛ والتي بعدها أقل ؛ حتى يأتي عنده استطراف صفاي ويجد نفسه وذواته وتكبرياته اعتدلت في ذاتها ؛ وما دامت ذواته اعتدلت في ذاتها فقد أصبح إنسانا سوية ؛ وما دام أصبح إنسانا تنويريا فقد أصبح راضيا^(١) .

(١) ورد في السنة النبوية على صاحبها صلاة الله تعالى وسلامه عند دخول مكة رؤية الكعبة ودخول المسجد الحرام ما يلي :

أولاً : عند دخول مكة المكرمة : « الله أكبر ، اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحفظنا وكفانا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريقا وتعظيما وكراما ومهابة وكراما ؛ زد من حبه أو أعصمه ؛ تكريما وتشريفا وتعظيما وكراما »^(٢) .

(٢) رواه البيهقي في الكبرى [١٨٩١٥] وابن أبي شيبة في مصنفه [٢٩١٦٢] من مكحول رضى الله عنه .

إذن .. فالجلس الأدنى أصبحت منزلة هنا والجلس الأعلى سواء ؛ ولكن البكاء أن تفهم أن البشرية هنا غلظة ؛ لأن الناس أذكروا هنا أن تسلم هذا الحجر وتقبله أو حتى تشير إليه إن لم تتمكن قال لك لرحم حجرا آخر ؛ حتى يخرج من فمك أن هناك عبادة للحجر كحجس .

فصحيح كل المسائل منتهية في أنه لا جنس أفضل من جنس الأفيما يؤدي به كل جنس مهمته . وكل جنس من الأجناس ما عدا الإنسان يؤدي مهمته ؛ فلا تعالى بينهما أبدا ؛ لم تر أبدا شجرة تفتح ثمرات على شجرة طماطم أو لم تر أبدا طائورا تعالى على أرنب ؛ كل شيء في الوجود لازم عله أدبه مؤد لهجه إلا الإنسان : لم تكن إلا الأدينى^(١) أن رتبة استغنى^(٢) .^(٣) الملق ٢ . فإذا ما ذهب الإنسان وطاف حول الكعبة حيثما يستثمر ذل العبودية ؛ ويلزم حده .

○○○

فإن كان حلاً، فلا تزال في الدنيا، وكل واحد مشغول بنفسه، ولذلك السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها لما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ستختر عروة قالت: يا رسول الله: الرجال والنساء ينظرون بعضهم إلى بعض، وهم عرايا؟ فقال: الأمر أكبر من أن يحسبهم هذا، لكل امرؤ منهم يومئذ شأن يغنيه^(١١). وكذلك ترى هذه الصورة في الحج.

○○○

(١١) روضة البحار: ١٦٥٢٧ ملقط: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تغفرون حلالاً حراماً عرولاً». قالت عائشة: «قلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظرون بعضهم إلى بعض؟» قال: «الأمر أكبر من أن يحسبهم ذلك».

وسلم [٢٨٥٩/٥٩١] والسنن [٢٠٨٦/٢٠٨٤] وابن ماجه [٢٢٧٦] وأحمد في المسند [٥٢/١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

ثم إننا نلاحظ أن الناس جميعاً في هذا المقام - وهم لا يزالون في الدنيا - كل واحد حول الكعبة يستعمل أن يستحضر: ماذا يدور، ماذا يقول، وكيف ينبغي وقد أصبح مندفعاً عن حوله، يعني أنه لم يعد مشغولاً بخلق، لأنه في بيت الحائض، وما دام في بيت الحائض فبإيالة الناس لم يعدوا يشغلوا باله، ولذلك تجد الناس يقبلون: يا أنسي النساء والرجال يحتضنون في الحج والرمح كما وكذا^(١٢).

وهل يشعر أحد بشيء، فإنك ربما تطوف وإيالة الأجنبية في كحشك وأنت لا تدري من بجوارك.

اللهم إن هذا البلد بئسك، وليت بئسك، جنت أظلم رحمتك وأؤلم - وأفعد - طاعتك، شيعنا لأمرك، راضياً بقدرك، مثقلاً لأمرك، أسألك سائلة العفصير إلتان، العفصير من عذابك أن تعطيني وإن تجاوز حتى رحمتك، وإن تدخلني جنتك^(١٣).

لأنها: عند رؤية البيت الحرام: اللهم زد هذا البيت تبرها وتعطيها وكرها ومعاية، وزد من شرفه وكرمه. ومن حجة أو اعصره تبرها وتكرها وتعطيها وزرا^(١٤).

لأنك: عند دخول المسجد الحرام يدخل برجله يسبي ويقول: بسم الله، وأشهد لك، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وأفتح لي أبواب رحمتك^(١٥).

ولما: عند رؤية الكعبة المشرفة تقول مشيراً إليها ببيتك المشي: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله: اللهم زد هذا البيت تبرها وتعطيها وكرها ومعاية^(١٦).

اللهم أنت السلام، وسلك السلام، حياً ورباً بسلام، اللهم إني أسألك برب البيت من الكبر والتبر، ومن شدة الضر، ومن غلب الضر. اللهم إني أسألك بربك والجنة، وأعرض بك من سجنك والنار. اللهم أدخلني الجنة بلا حاقة عذاب، ولا حاققة حساب، وحسين يا رب حساباً حسناً، وكرمك وإحسانك، أستغفر الله، أستغفر الله العظيم وتوب إليه، اللهم صل على محمد وعلى آلته وأصحابه وأئمة وسلماً تسليماً كثيراً.

(١٢) ذكره صاحب شرح المذهب، ونقله في الدين الحلال.

(١٣) روضة القاصي في مسته ٢٨٥٩ عن ابن جريج رضي الله تعالى عنه.

(١٤) روى ابن ماجه ٢٧٧٢ من طائفة بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد يقول: «بسم الله وسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وأفتح لي أبواب رحمتك»، والترمذي ٢٢٧١، وأحمد في المسند [٢٨٨٢/٢٨٨٢] وقال الألبان: «صححه شعيب، ورواه توبه: اللهم اغفر لي ذنوبي، تسبيح».

(١٥) سبق في الرحمة.

هذا ، ويعظم هذا ... لا تعظم المكان الذي كنت تتجه إليه في بلدك فقط ، لا . إذن .. فلا بد أن تتصرف^(١) .

0.0.0

(١) وذلك تحية المسجد الحرام ليس صلاة ركعتين تكية المسجد ، إمامي بالطواف حول البيت سنة أنزوت : رسلي دليل ذلك إن شاء الله تعالى في الطواف .

سر لآجاء للكمية

الإنسان ما حين يكون في بلد يتجه في صلاته إلى الكمية اتجاهها مضبوطا ، يعني : توجه شرق ، توجه شرق ، توجه غرب ، توجه غرب حسب موقعا من البيت ، فمثلا الذي في القسم الشرقي يتجه للغرب ، والذي في القسم الغربي يتجه للشرق ، والذي في القسم الشمالي من الكمية توجه للغرب ، والذي في القسم الجنوبي يتجه للشمال ، والذي في الجهات الغربية يتجه بحسب جهته .

إذن .. فلكل مكان في الأرض شئمة ثابتة ، القبلة التي تفصل لها هنا هي القبلة كل يوم لا تتغير .

إذن .. لماذا في سيالي الكمية اتجاه . ونقط ؟ لأنني غالب مقبم وبعد عنها .

إذن .. فأتجاهي هنا ، والمقابل لي في ظاهره اتجاهه غير اتجاهي ، لأنني متوجه شمالا ، وهو متوجه جنوبا ، وهذا متجه شرقا وهذا متجه غربا .

وحسب بذلك هذا ، يقول المولى تبارك وتعالى : *هو يترن حيث خرجت قلوب وتجهت مقتر السجدة الحمراء ربيحت ما كنتم تقول بغيره فكم تنفرا* [الفترة : ١٥٠] .

هو فأنفسنا قولوا قنتم ربه الله إركب الله كريش عليم . والفرق ٢١٥٠ يعني : إياه أن تمقد يا من تتجه إلى الشرق أن الله لي الشرق ، وإياه أن تعتقد يا من تتجه إلى الغرب أن الله في الغرب .

لا .. كل مكان فيه متجه ، فإذا ما كنت غربا كان لك متجه فأن اتجاهه مثلاً ناحية الركن اليساني ، وآخر يتجه ناحية الركن اليماني ، وثالث يتجه ناحية الركن العاسي . فإذا ما ذهبنا هناك إلى أي متجه نتجه ؟

نحن كما نتجه في الغيب للمكان الذي يؤدي بنا يحط معتدل إلى الكمية . فإذا ذهبنا أنا هناك . اتجاه إلى المكان الذي كنت أتجه إليه في بلدي ؟ لا .. أصبحت الكمية كلها لك متجها ، فلا بد أن تعظم كل مكان في الكمية ، تعظم هذا ، وتعظم

كان الناس يتجهون إلى نفوس المكائد ، ويبدعوا تعاليم نحن في الطائفتين الثالث في الحرم فأننا نتجه إلى الهواه الموجود في فرق الكعبة ، ولم حثرتا لتفككت الأرض فألف متر ، وأردنا أن نصلي فأننا ستنجه إلى أساس الكعبة . إذن فوجه الكعبة ، كعبة « فصل إبراهيم عليه السلام كان في إبداع الكعبين لا الكائن ، لقد رفع البيت »

ولقد بلغهم الإنجيل ما حدث لإبراهيم عليه السلام ، لقد أخذ إبراهيم حايى وأبناؤه إسماعيل ويخرج بهما إليهم في هذا المكان ، فذا قالت حايى لأبويها : هل أتيتك الله هذا المكان أم أنه من اختيارك ؟ إنها تعرف أن مكوثات الحياة هي الياء والهاء والقوت ، وهذا المكان لا توجد به حتى الياء ؛ لذلك قالت حايى سائلة لإبراهيم : كيف تتركنا هذا ؟ وهل أتيتنا هنا برؤيتك أم بتوجيه من الله ؟ فقال لها إبراهيم عليه السلام : إنه توجيه من الله ، لذلك قالت : لقد اضللت والله لا نصيحتنا أيضاً ، إنه الإيمان العاقل ؛ لذلك لم تطلق حايى ؛ لأن إبراهيم أجبه إلى ما أمره الله .

هكذا نرى الإيمان في نفسه ، ولو لم يكن الإيمان على هذه الدرجة الربعة ثابتي قلبتي .
لأن ترك الروح يذهب بعيداً عنها وترك ايها في هذا المكان الذي لا يوجد به طعام أو
ماء ، ايها لا تؤمن بان النعم : ولكنها تؤمن بحرب النعم .

وعندما تقرا القرآن الكريم تجد قول الحق سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم : هو ربنا إلهنا
 أنكنت من ربوبي يولدني وفي ريقه عند يديك اللهم ربنا الميسر السهل العفو العفو
 ربك الناس تحوي إيمانهم وأرزقهم من الثمرات العظمى يشكركم في إبراهيم : ٢٣٧ . هكذا
 نعرف أنه ساعة إمكان إبراهيم للربح كان هناك بيت محرم ، وعندما تقرا عن ريق
 البيت الحرام تجد أن إبراهيم عليه السلام لم يرفع يده عن البيت مجزوه ، بل شاركه إلهه
 إسماعيل عليه السلام في بناء بيتهم العظيم أفكر بعد من إلهيت واستكمل ربنا تكمل بنا
 وبأنك أنت التحيي التليد في هكذا نعلم أن إسماعيل عليه السلام كان قد منحه بصورة
 تسمح له أن يساعد والده خليل الرحمن إبراهيم بجها السلام في إقامة قواعد البيت
 الحرام ، لكن عندما كان إسماعيل مقلدا فقد أسكت والده إبراهيم عند البيت الحرام .

إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَبْلَ إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهَيْمَ يُنْقِصُ الْخَيْرَ عَنِ اللَّهِ
الَّذِي رَزَعَهُمْ لَمَّا بَعَثَ إِسْرَائِيلَ : الْمَلِكُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ بَيْنَهُمْ ، وَالَّذِي الْفَرَأْنِ
هُوَ إِنَّ أَلَّا يُبَيِّنُ مَوْضِعَ الْوَقْفِ ، وَمَا قَدْ جَاءَ الْعَمَلُ بَيْنَهُمَا الْمَجْهُولُ فَوَارَضَهُ خَيْرَ النَّاسِ .
مَلِ صَمُ الْمَلَائِكَةِ ؟ قَدْ يَصْبَحُ ذَلِكَ ، وَإِنْ وَجَدَ الْمَلَائِكَةُ قَدْ نَفَرُوا الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ يَمُورُونَ هَذَا
الْبَاءِ ، لَكِنْ قَوْلُ الْخَلْقِ : هُوَ وَجَدَ الْكَلِمَةَ كَمَا فِيهَا الْبَيْتَ أَيْضًا هَدَى لِلْمَلَائِكَةِ الْأَهْمَ
عَالِمًا ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْبَيْتَ قَدْ وَضَعَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ ، وَلَا أَحَدَ يَقْدِرُ أَنْ يَصْنَعَ الْكَلِمَةَ
عَلَى قَدْرِ الْعَمَلِ الْبَشَرِيِّ .

[illegible]

إذن . . فالذي كان مضموناً هو القواعد والارتفاع ، إن وجود الطول والعرض هو

الذي يحدد المكان ، أما النية فهي التي تتحدد بالكيفية وعدد ما يهتم بهت الحرام ،
= رواد الحاكم في المستشرق [٢٩١٣/٢] ، وصرحه على شرط مسلم وإتقاه الدهني ، ورواه ابن
خبر في القصر [٧٨١، ٦٩/٣] ، وبقية في الدلائل [٥٦٠٥٥/٢] ، والأرنفي في تاريخ مكة
[٣٠٥٢٦/١] . واد الاسويطي عروه في الدر [٢١٦٧/١] لأن أي شيء ياصحاق بين راعوية في
مسند رعد بن حبيب ، والمطرب بن أبي أسامة وابن أبي حاتم .

وَقَالَ الْحَاظِلِيُّ إِنْ سَمِعَ رَسْمَهُ لِلَّهِ فَيُفْضَحُ الْبَارِي [١٦٢/٧] : أَمْرٌ بِهِ إِسْمَاعِيلِيُّ بْنُ الرَّهَوِيِّ وَأَبُو أَنَسٍ حَاتِمٌ ، وَغَيْرُهُمَا بِإِسْمَاعِيلٍ صَحِيحٌ .

وحيث ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: « جاء إبراهيم عليه السلام فوجد إسماعيل يصيح له
 يبيك من وراء زمزم فقال له إبراهيم: يا إسماعيل إن ربك قد أمرني ببناء البيت، فقال له إسماعيل:
 فأطيع ربك فما أمرك، قال: فأطى عليه. قال: فقام معه ففعل إبراهيم بيته وإسماعيل يتولون
 المشاورة، ويخبران: ﴿ فَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا فَلْيَاكِلْ إِنَّكَ أَتَيْتَنِي بِالْحَقِّ ﴾. رواه الحاكم في المستدرک
 [١٥٥٢/٢]، وصححه على شرطهما ورواه الذهبي، وله شواهد من الأحاديث التي قبله.

اسمها النبات . و الغلات ه حل هو النبات الجامد أو النبات المصلط النامي الذي مهمها أخذت منه فإنه يسمى أبقصاً^(١) ، ونحن في حياتنا العادية نقول : إن هذا المال فيه بركة مهمها صرفت منه فإنه لا يسمى . أى : أنه ثابت لا يتغير ويعطى ولا ينفد ، وكلمة بركة ه صرفت منه تسمى : تجمع من الماء تأخذ منه بعض الماء ، ولكن الماء باقى إليها مرة أخرى ، وكلمة : تبارك الله تسمى : ثبت الحق ه وم قول أن لا يزال هو واحد إنه الثابت المطلق ، وهكذا نجد أن النبات في معنى البيت الحرام ، إن البيت الحرام مبارك ، وإذا سأل أحد كيف ه نرد على هذا السؤال : أبيت تصاعف فيه المسئلة^(٢) ؟ وهل هناك بركة أحسن من هذه ؟ وهل هناك بركة أفضل من أنه بيت تحبى إليه نورات كل شىء ولا تنقطع ، فقد كان الراسل إلى البيت الحرام يأخذ معه حتى الكفن ه ويأخذ الإبرة والحيط ، ولله ، ولأن فإن الزوار لبيت الله الحرام يأبى بكلمات الحياة من هناك . **هو أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة** أى : أول بيت وضع للناس للذي ببكة أى : هو الهدى ه قلنا : إن الهدى هو الدلالة الوصولة للغاية ، ومن يتر البيت الحرام يخرج من ذنبه كبره ولله أمه^(٣) ، فهل اعتدى للمعم لم لا ؟ أنه يعرف البيت الحرام الطريق إلى الجنة ، وحينما ننظر إلى هذه المسئلة نجد أن الحق سبحانه وتعالى لما تكلم عن البيت ، لم يتكلم إلا عن آية واحدة فيه مع أن فيه آيات كثيرة ، قال الحق : **هو فيه مائة بيت** بيتك مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً **وبعد على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر** فإن الله كفى عَنِ الكافرين^(٤) [آل عمران : ٩٧] ، إنه نجد جميعاً الجمع موجودة في قول الحق : **هو فيه مائة بيت** بيتك ه ، وبيات هي وصف الجمع ، وبعد ذلك قال الحق : **هو مقام إبراهيم** ه يدل على الآيات النبات ، وقد يقول قائل : أليس في القدر أن نضيف الأمان الممنوح لمن دخل البيت مع مقام إبراهيم ه لتكون هذه هي الآيات

(١) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ه صلاة في مسجدى مقاصير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ه . رواه البخارى (١١٩٠) .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ه من حج ماشياً لبيت فلم يمت لم يفسد رجع كما ولدته له ه ، وفى رواية : ه كبره ولله أمه ه . رواه البخارى [١١٩١، ١١٨٢] .

۲۹

هكذا يتبين أن البيت الحرام كان موجوداً من قبل إبراهيم عليه السلام ، وعندما تلقى
النظر في معنى كلمة : « بكة » التي وردت في هذا القول الكريم : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ
لِلْبَنِيِّينَ لَكَ بِيَكَّةَ مُبَارَكًا لَهُ أَهْلُهَا وَمَنَ » ، ونحن نعرف أن هناك اسماً كان البيت
الحرام هو : « بكة » وهناك اسماً آخر هو : « مكة » ، وبعض العلماء يقول : « إن « البكة »
و « الباء » معاوان ، وتلحق ذلك في الإنسان الأحمق أو المسابير كرام أنه يطلق
« البكة » عليها « باء » و « البكة » و « الباء » حرفان قريبان من طريق النطق والألفاظ منها تأتي
و « البكة »

• Hydrolysis :

وننظر إلى اشتقاق مكة واشتقاق بكعة ، إنا نقرا ذلك المكان ، أي : ازدحم
كان ، ومكلا نعرف أن قول الحق : ﴿ يَا أَكْرَبُ بَيْتِي مَوْضِعُ الْقَابِ لِلَّذِي يَكُونُ مَبَارَكًا ۝ ﴾
ن : أنه المكان الذي ازدحم ، وهو مكان الازدحام الذي يأتي إليه كل الناس
كل الرغود ؛ لصح بيت الله الحرام ، ولا أدل على ازدحام البيت الحرام من أن الرجال
النساء يحتظرون بعضهم بعض ، والإنسان يطوف بالبيت الحرام ولا بدوى أنه يستمر
قد يلحق امرأة أثناء الطواف . و بكعة ، هي المكان الذي فيه الطواف والكمبة ،
و مكة ، هو اسم مكان البيت الحرام ، إن بكعة ، هو اسم مكان البيت الحرام
و مكة ، اسم البلد الذي يحد به البيت الحرام ، ومكة ، مأخوذة من ملك الفصل
الفرسخ ، أي : امتنع كل ما فيه من لبن ، والفصل - كما نعرف - هو صغير الإبل
أو صغير البقر ، وما دام الفصل قد امتنع كل ما في الفرسخ من لبن ، فمعنى هذا أنه جالغ
وكما نعرف أن مكة ليس فيها مياه ، ولأن مكة أن تنقص المياه القليلة عندما نغدما مكة^(١) .
﴿ يَا أَكْرَبُ بَيْتِي مَوْضِعُ الْقَابِ لِلَّذِي يَكُونُ مَبَارَكًا ۝ ﴾ وفي كلمة
مباركاً ، نغدما مأخوذة من الباء والراء والكاف ، والمادة كلها تدور حول شيء
(١) بكعة : بالياء هي مكة : ﴿ يَا أَكْرَبُ بَيْتِي مَوْضِعُ الْقَابِ لِلَّذِي يَكُونُ مَبَارَكًا ۝ ﴾ حيث بكعة : لأنها
تلك أحاقق من يحدى عليها ، كما سبت والقاهرة ، لأنها تقع من يحدى عليها ، أو سبت
بكعة : لأنها تلك أفعال الأنعام التي تلجج ضحيا ومثيا للكمبة ، من تلك الشيء : فمشته
دبرية أو من بكعة : أي راحة ، وذلك الناس تراحموا ، لأن الناس تراحمون فيها . وقول : مكة
سائر البلد ، وبكعة : مكان البيت .

وكان إسماعيل يساعد فقط في نقل الأحجار وكان إبراهيم هو الذي يحمل الحجر، وعندما يحمل إبراهيم وزناً لا يحمله إلا الثقل ويقف ليرميه قبله، خاف أن يقع من على الحجر، فهل يا ترى أن الله سبحانه وبأمره جعل قدره ساعة أن رأى إبراهيم يحتاج هذه الخلية قال عليه: سأكتبك ميثقة ذلك، وحمل الحق القديمين تفرصاً في الحجر غوراً يستلها إن حي زلت، والذي لا يسع ذهنه إلى أن الله الآن إبراهيم اخبر، ثوباً له: إن إبراهيم قد احتال وخاف أن يترك أو تورط قدمه من على الحجر فتحت مكاناً في الحجر على قدر قدمه، وحتى شئت قدمه في الحجر وحتى يستطيع أن يحمل ويرفع الحجر الذي يحمله الثقل، وهذه آيات بينات، والذي هو حجج هذا أننا نجد أن مكان القدم في الحجر هي تعلية مستوية؛ لأن الإنسان حين يضع رجلاً فإن للرجل بنية خاصة، لكن المكان للقدمين في حجر إبراهيم مستو. ولن لا يسع ذهنه أن الله الآن له الحجر، فليسمع ذهنه إلى أن إبراهيم حفر بنفسه مكاناً للقدمين في الحجر.

إذن.. إما أن الله أقر راعان إبراهيم؛ لأن إبراهيم فكر أن بيني القواعد ويرفعها أكثر مما تحول بداه، ولذلك أعانه الله ونحن نعلم أن الهداية تكون هداية الدلالة وهداية المعرفة: ثم رأيتنا أقتنروا زناهم فكمى وأنتقمهم فتبهمهم في [سعد: ١٧].

ربما أن يكون إبراهيم عليه السلام هو الذي حسم مكان القدم فصارت له.

○
○
○

(١) قال أبو طالب في قصيدته الالهية المشهورة :
 رموطنى إرأضم فى الصخر رطبة
 على قدميه حاليأ غير ناعل

الوجود في البيت الحرام ؟ لكن الآيات في البيت الحرام أكثر من هذا بكثير ، بل إننا عندما نرى مقام إبراهيم نجد في الآيات البيات ، ونرى مثلاً : **فَإِنَّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ** ، يفتح الهم الأول في كلمة : **مَقَام** ، ولا نعلمها **مَقَام** ، بضم الهم الأولى ؛ لأن **المَقَام** ، بضم الهم تعني مكان إقامة إبراهيم ، أما **مَقَام** ، يفتح الهم فهي مكان القيام .

لماذا كان قيام إبراهيم عليه السلام ؟ لقد كان إبراهيم يفرح بمراد البيت الحرام ، وكان إبراهيم يفرح على حجر ، وعندما تنظر إلى **فَإِنَّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ** ، فإنك تجد فيه كل الآيات الدبية لماذا ؟ لأن الله طلب من إبراهيم عليه السلام أن يفرح قواعد البيت ، وكان يفتحه حين يفرح قواعد البيت أن يعطيه الارتجاع الذي يؤديه طول يديه وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام قد أدى محارب الله ، لذلك تسأل إبراهيم عليه السلام ، مع الله أن يؤدي كل تكليفات الله بحب وإكمال وإقام ، لذلك تسأل إبراهيم عليه السلام ، ولماذا لا أرفع البيت أكثر عما تطول يدائي ؟ ولم تكن هناك في ذلك الزمن القديم فكرة السقالات ، ولم يكن مع إبراهيم عليه السلام إلا إسماعيل ، وأحضر إبراهيم عليه السلام حجراً ووقف عليه ، وعندما أتى إبراهيم بحجر يضعه تحت قدميه ليقف عليه ، فإنه يفرح القواعد قدر الحجر .

[illegible]

أنا مكان الأقدام الموجودة في هذا الحجر فهذا يعني أن إبراهيم عندما كان يقف وحمل حجرا من القروض أن يحمله أثناء كان لابد من ثبات القدمين في مكان آمن ،

ومعنى الاتهام هو أن يحسب الإنسان نفسه على شيء ، وهذا الشيء يطلب من الإنسان أن يسير على مقتضاه ، فعلاً : قد يتبنى الإنسان إلى الأرض ، ولك أن تعرف أن كلمة : الوطنية قد خرجت إلى الكون من أجل اتهام الإنسان إلى الأرض ؛ لذلك يقول المعري مثلاً : « وطني مصر » وقد يتبنى الإنسان إلى الجنس فيقول الإسرائيلي : أنا من أبناء إسرائيل ، وهذا يعني أنه يخص نفسه بمقولة أنه أشعاري . ويتقرب عليه السلام بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، وقد يقول المعري : أنا عربي . وهذا يعني أنه يتبنى إلى المروءة ، ولك أن تفرق بين اتهام الإسرائيلي إلى دولة يقيمها ذلك أن الاحتفاظ بسلالة نفية عبر عصور طويلة أمر غاية في الاستحالة ، أما الاتهام للمروءة رغم أنه بدأ من سلالة إسماعيل عليه السلام ، إلا أنه اتهام لا يقيق بساكن للسطوة التي يطق أهلها اللذة المريبة .

وقد يكون الانتماء إلى مذهب ، ومثال ذلك : أن سكان البلاد الغربية تتبع حكوماتهم وأغليتهم النظام الرأسمالي ، وسكان البلاد العربية الخاضعة لحكومات شيعية ينتمون إلى هذا المذهب الشيعي .

إذن .. فمفني الانتماء هو الجهة التي يحسب الإنسان نفسه عليها يتخلم قضيتها ، وليس عند الله لونه من الانتماء من تلك الأرواح ، إن الانتماء المعترف به عند الله هو الانتماء القيمي أى الانتماء لنهج الله ، فالإسلام لا يفرق بين وطن ووطن ، أو جنس وجنس ، أو دم ودم . إن الإسلام يُعرف بالقيم التي يورثها بها الإنسان لكي كان لونه وبكيا كان جنسه ، وبكيا كان مذهبه ، إن الإسلام انتماء قيمي .

إذن .. نقول الحق: هو لا يتألم عتقاً **تَقْلِبُونَهُ**، هذا القول يحدد موضع الانسجام في البشر، وبعد ذلك أراد الحق أن يعطيني أيضاً قضية بيت المقدس والقبلة، فأثبت الحق لنا أن بيت المقدس بيت حديث من إنشاء داود وسليمان، لكن الكعبة هي بيت من اختيار الله، فأبهما إذن أولى في الاتجاه إليه؟ انتدحه إلى البيت القديم باختيار الله، أم صحه ليت هو لله أيضاً، ولكنه باختيار خلق الله 12

إذن .. فالغضب الذي كان يتاجر بهما اليهود الممارسون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين الأوائل في الإسلام، إنما كان الهدف منها أن يعرضوا المؤمنين بالإسلام عن

إعادة بناء الكعبة

أرضي الحق لنا في ورائه الكريم أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام قد استحق الإجماع
ببجائه فيها ابتلاء الله من تكليمات ، ثم إبراهيم عليه السلام لأولها وأتم القيام بها
بإيمان ركن محمدا تكليف الله ، ولذلك كانا الحق سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام
رحمته إماما .

وأراد تحليل الرحمن أن تستر الإمامة في الأرض ! تكون الإمامة سمة على وجوده خلق يتمسكون بهج الله على طريق الوفاء والإكمال والإتمام ، لكن الحق جل وعلا وهو أعلم بكل خلقه ، عرفت أن بعضاً من ذرية إبراهيم سيكونون على غير عبد الله وسيخالفون المنهج ، وسوف يبدعون لأنفسهم الأهلية والسماية على كل البشر ليجرد عنهم من نسل إبراهيم تحليل الرحمن .

لذلك أخبر الحق جل وعلا إبراهيم خليل الرحمن أن عبده لا يزال الضالين ، ولعلنا
جاء قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ مَشْرُوعًا مَدِيدًا ۚ لَا يَأْتِي بِحَدِيثٍ إِلَّا إِذْ يَسْأَلُكَ
بِالْحَقِّ ۚ فَآجِبْهُ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ سُبُلِ الْغُيُوبِ أَشْفَقُ ۖ ﴾ [النور: ١١٤] .

إذن .. فهذه الآية دللت على أن الله أنبأ إبراهيم من قديم الزمن على أن يبعثنا من ذريته سيكون ظلالاً ، وما دام بعض سيرة إبراهيم سيكون ظلالاً بالمخرج عن منهج الله ، ولطعنون لأنفسهم أنهم خير خلق الله فجاء الخبر أنهم يتسمون لإبراهيم عليه السلام ، ويعتبرون لأنفسهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم مواطنو النبوة ، والإمامة تكون فيهم وحدهم ، وكان هذا البعض من ذرية إبراهيم هم نبي إسرائيل ، لذلك جاء القول الفصل من الحق : هو لا يتكلم عقول الغالطين ، لقد كان هذا القول الفصل إنشازاً بأن من ذرية إبراهيم من سيصير ظلالاً ، ولقد أوضحنا أن النبوة لها نبوة تختلف عن النبوة في سائر البشر ، إن النبوة في البشر العاديين تعني الانتماء البدني أو النسبي أو الجنسي ، أما النبوة في الأنبياء فهي الانتماء للمعقنة والمنهج الذي يعم به النبي المرسل من عند الحق سبحانه وتعالى ، ولنا أن نعرف أن الانتماءات في ذلك الكون متعددة .

والله صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد^(١١) ، وطلق الصلاة أيضا على الصلاة الشريعة التي نزل بها جميعا وهي التي فتحتها بالكبر وبحجمها بالسلم وبشرائطها المخصوصة^(١٢) ، وجيء بأبي العبي العام في الصلاة ، فلما قصد الصلاة الشريعة فهي تشمل دعاء أبي الله ، وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشمل الشكل والمضمون ، والبراد المخصوص بالصلاة التي أراد الله سبحانه وتعالى .

وقد يسأل أحد : ما معنى كلمة ومقام^(١٣) ؟ إن كلمة ومقام تأتي أحيانا مفتوحة الهم كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ رَازِقُهُمْ مِنْ مَّقَامِهِ الزُّبُحَةِ مُقَلِّمٌ ﴾ ، وتأتي كلمة : ومقام في أحيانا أخرى مضمومة الهم كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ رَازِقٌ قَالَتْ كُلِّيهِمْ يَتِيمٌ يَأْكُلُ بَقَرَتٍ لَا مَقَامَ لَهَا قَارِعَةً وَتَسْتَوِي قَسِيمٌ مِنْهُمْ أَنَّى يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، وقد نزلت هذه الآية في بعض من ضماط النفوس والمتقين الذين حاولوا أن يهربوا من مواجهة العذر ، وكان ضماط النفوس هؤلاء من أهل المدينة ؛ لذلك اتفوا أن يرفعوا عورة ولا بد من حراستها ، وكان ذلك تعطي الهرب من الحركة^(١٤) ولما أن نعرف أن ومقام في الفتح الهم هي اسم

(١١) عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا : قد عرفنا كيف نسلم عليك ، فكيف نقول عليك ؟ قال : « قولا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » ، رواه مسلم [٢١٧/٤٠١] .
(١٢) عن علي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الظهور ، وخبرها التكبير ، وتليها التسليم » ، رواه أبو داود [٢١٨/١] وصححه الألباني .
(١٣) الشقام وضعف : قد يكون كل واحد منهما يعني الإزالة ، وقد يكون يعني موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم ففتيح ، وإن جعلته من أقيم يقيم لمضمون ، وتروى قوله تعالى : « ولا مقام لكم » في : لا موضع لكم ، وروى : ﴿ لَا مَقَامَ لَكُمْ ﴾ بالضم ، أي : لا إقامه لكم .

لسان العرب [٤٨٨/١٢]

(١٤) يقول الله تعالى متخيرا عن ذلك حال حتى نزلت الأحزاب حول المدينة ، والمسلمون محصورون -

دينهم ، ولذلك أراد الله أن يعطى هذه النافذة ، لذلك نزل حكمه الكريم بقوله تعالى : ﴿ هُوَ رَازِقُهُمْ أَنْتَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَأَنْتَ الْوَحِيدُ مِنْ مَّقَامِهِ الزُّبُحَةِ مُقَلِّمٌ وَتَحِيدُهُمْ إِنْ يَزِيدُهُمْ وَاسْتَكْمِلُ أَنْ تَكْمُلَ تَبِيَّةُ الْفَاطِمِيَّةِ وَتَكْمُلُ الْكَرِيمَةِ الْكُفْرُورِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، البيت منه يطلق على الدار وعلى المنزل ، لأن الإنسان يخرج إلى العمل والسعي للرزق في الأرض ثم يعود إلى البيت ليأوي إليه ، وقد جعله الله مفاتيح الناس - أي ليأوي الناس إليه ويرجعوا - لأنه بيت رؤسهم .

فإذا أفردك شيء فلاذهب إلى بيت رحمة ربك لتجد رحمة ربك في استقبالك ، فترجع عليك كل ما يمكن أن يصيبك في الحياة ، وما دام الإنسان يهرب إلى الله فلا بد أن يكون في أمن ، وما دام الإنسان في بيت الله فلا فرح ، وفلا : إن الله قد جعل بينه أمنا وليس ذلك اختيارا منه لنا ، ولكنه طلب من الحق إلى المؤمنين به أن يجعلوا البيت الحرام آمنا ، فإن أطاعوا الله جعلوا البيت آمنا ، وإن لم يطعوا الله جعلوا الناس يهربون فيه .

وتأتي إلى قول الحق : ﴿ هُوَ رَازِقُهُمْ مِنْ مَّقَامِهِ الزُّبُحَةِ مُقَلِّمٌ وَتَحِيدُهُمْ إِنْ يَزِيدُهُمْ وَاسْتَكْمِلُ أَنْ تَكْمُلَ تَبِيَّةُ الْفَاطِمِيَّةِ وَتَكْمُلُ الْكَرِيمَةِ الْكُفْرُورِ ﴾ وهكذا كان الأمر الإلهي الصادر بأن يجعل من مقام إبراهيم خليا الرحمن مصليا ، والعلي مناه مكان الصلاة ، والصلاة يطلق ويراد بها الدعاء^(١٥) ، وفي ذلك يقول الحق جل وعلا : ﴿ هُوَ مُنْزِلُ الرُّسُلِ مِنْ أَنْوَالِهِمْ حِكْمَةً فَتَهْتَفُونَ مِنْهُمْ تَهْنِئَةً وَنَسِيْلَةً عَلَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢٣] وهذه الآية الكريمة تضمن التوجيه الصادر من الله إلى الرسول الكريم أن يأخذ من أنوال التائبة صدقات تظهرهم بها من التوب والانسح ، وترفع درجاتهم عند الله ، وأن يدعو الرسول لهم بالخير والهداية ، فدعاء الرسول تسكن به النفوس وتطمئن به القلوب ، والله سميع الدعاء ، عليم بالخالصين في التوبة ، وطلق الصلاة أيضا على الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تقول في الشهادتين :

(١) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى علي واحدة ، صلى الله عليه عشرا » ، رواه مسلم [٢٧٠/٤٠٨] وأبو داود [١٥٢/١] واللفظ لهما ،

والبرقاني [٤٨٥] .

بشر غير مؤبد بالروح ، وكان الله يريد أن يثبت الناس أن الغطرة إذا سلمت وإذا صفت ، فإنها بذاتها تستطيع أن تهبط إلى حكم الله ، وكان الله لم يكلفنا بأي شيء نشتاق إياها ، يكلفنا بما يهدينا إلى الغطرة العاصفة السليمة ، ولكن ما أفل أن تصغر الغطرة .

إنما عندما تحدث عن عدالة عمر وحزم عمر ، إنما تحدث عن الغطرة في قمة صلتها ، ولقد أراد الله لنا أن يكون أمر الغطرة الصافية واضحا في واحد من الخطاب الراشدين ، وأحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحي والذي اجاره الله أسرة حسنة ، إياها غطرة إنسان مؤثرين نستطيع أن نصغر وأن تعمل إلى حكم الله ، مكلما كان أمر اخذنا مقام إبراهيم معلى ، ومقام إبراهيم عليه السلام كان مكان قيام إبراهيم عليه السلام ببناء البيت ^(١٢) .

= قلت : إن انهيت أو لبسنا الله رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرا ممكن حتى أتت إحدى نسائه ، قلت : يا عمر أنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعد نساؤه حتى تعطين أنت ١٩ فأنزل الله : **فَمَنْ شِئْتُمْ بِإِنْشَاءِ ذِكْرِهِمْ أَنْ يَنْكَحُوا مِنْهُنَّ مَا يُرِيدُونَ** ^(١٣) والتحريم : ٢٥ .

والتردى مختصرا للفظ : من أنسى رضى الله تعالى عنه قال : قال عمر بن الخطاب : قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم معلى ، فزالت : **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إِذَا دُفِعَ عَنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى آخَرَ** ^(١٤) .

(١١) يقول ابن حجر في تفسير قوله تعالى : **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إِذَا دُفِعَ عَنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى آخَرَ** ، وقد كان هذا المقام مخصصا بجلد الكعبة قديما ، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب ما بين الحجر بينه والداخل من الباب ، في القبة المعلقة هناك ، وكان الخليل عليه السلام ، لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدر الكعبة ، أو أنه اتقى عنه إنشاء غيره هناك ، ولهذا - والله أعلم - أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من العزاف ، ونسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث اتقى بناء الكعبة فيه ، وإيا غيره من جدر الكعبة غير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أحد الأئمة المهجيين والمطاهرين الثمانيين ، الذين أوتوا بأقاربهم ، ومروا بالرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : **وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنِّي مَنْ بَدَى** ، أي بكر وعمر ، وهو الذي نزل القرآن بولائه في الصلاة عنه ولهذا لم يذكر ذلك أحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين [١٢٧/١] . =

(١٢) رواه البخاري (٢٤٨٧) .
(١٣) رواه الترمذي (٢٩١٦) ورحمته الألباني .

مكان من قام ، أما ، ويقام ، المفسومة اليوم فوق اسم مكان من أقام ، وهكذا نقسم أن قول الحق : **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إِذَا دُفِعَ عَنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى آخَرَ** ، كان هذا القول مفسوما به اسم مكان ، مأخوذا من العمل قام . أي : أن الحق يهبط إلى أن المكان الذي قام إبراهيم عليه السلام عليه ليعبد بناء الكعبة هو لتقصود بذلك الجملة ، أي أن الحجر الذي نراه في الكعبة ، وعليه أراد إبراهيم أن يرفع قواعد البيت الحرام ، وهذا الحجر يمكن الصلاة حوله رقيه ، ونحن منحرون بوجهنا إلى الكعبة ، فالمسلمون الأراذل كانوا يخرجون من الصلاة في هذا المكان ، لأن المقام كان موجودا بين المعلى وبين الكعبة ، وكان الناس يخرجون أن يقبوا الصلاة ويستمعون الكعبة شيء ، لذلك كان هذا المكان يخرج من المعلى فلا يصلى فيه أحد ، رجاء أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : **وَأَلَّا تَخَذَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَعْلَى** ؟ ، لقد أراد ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن تعم الصلاة كل المكان بحيث لا توجد جهة من جهات الكعبة إلا وفيها صلاة ، وهذا قول الحق تبارك وتعالى هذا القول المحكم : **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إِذَا دُفِعَ عَنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى آخَرَ** ^(١٥) ، وكان هذا القول المحكم من المراتب التي وثق فيها القرآن الكريم عمر ، وهناك أكثر من موقف وثق فيها القرآن عمر بن الخطاب .

ما هو ذا ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : **وَأَلَّا تَخَذَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَعْلَى** ؟ ، وكان هذا القول المحكم من المراتب التي وثق فيها القرآن الكريم بآيات المحاب ، وهذا أكثر من موقف نزل فيه القرآن ليؤيد رأيا لعمر بن الخطاب ^(١٦) ، ونحن نلاحظ أن المراتب القرآنية لها ملخص تشريعي ، وعمر بن الخطاب - في غاية الجهد والصفيق - ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتأخرون إياها ولخصوا ورأوا الأروالا شديدا ، فحفظ طر الفناء وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم... الخ انظر تفسير ابن حجر (٤٥٥/٣-٤٥٦) .

(١٦) من أنسى رضى الله تعالى عنه قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه : ولقد لله في ثلاث - أو راتقتي رضى في ثلاث - قلت : يا رسول الله ! أو اتخذت من مقام إبراهيم معلى . قلت : يا رسول الله يدخل عليك البر والناس ، فلو أشرت أهبات المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل الله آية الحجاب . قال : **وَالَّذِينَ مَعَافِيَةَ الَّتِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضُ نَسَائِهِ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِنَ الْحُجُوبُ** .

إبراهيم عليه السلام ، وأقام البيت : أى جعل له ارتفاعاً ، وصل بذلك له حلول وعرض وارتفاع أى صلب له حجم^(١) .

كان الحق تبارك وتعالى حين يقول : **لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَيْتٌ يُرْجَعُ إِلَىٰ بَيْتِكُمُ الْتَّوَكُّيدَ** ، كان المقصود والتعريض من ذلك القول : أن عايل الرحمن أقام الحدران فقط أما العلول والعرض فقد كانا موجودين قبل إبراهيم عليه السلام ، وهكذا نعرف أن قواعد البيت قد انطلعت بالسبل أو عوامل العربة أو امتدادات الزمن ، إن الحق أراد أن يظهر لنا المكين : وهو مكان البيت الحرام أى المساحة التى أقام عليها إبراهيم جدران الكعبة ، والحق يوضح لنا أن قواعد البيت كانت مطبوعة لإبراهيم عليه السلام ، ونحن نعرف أن الناس تقبل في أى مكان فى العالم وتوجه إلى المكين ، وهو البيت الذى كان موجوداً قبل إبراهيم وأقام جدرانه إبراهيم عليه السلام ، إذ المكين هو مساحة البيت الحرام التى توجه إليها عندما نقيم الصلاة ، سواء كنا فى بطن الأرض أو فى الفضاء أى فى تنق تحت الأرض أو على سطح الأرض . فليل آخر على أن المكين كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام ، هذا الدليل هو شجرة سارة عندما لم يُنبئ وجود حاجر معها بأنها إسماعيل ، كانت سارة بشيرة ولد وكانت حاجر لها ولد هو إسماعيل ، وكان من الطبيعي أن تفكر سارة من حاجر ، وأخذ إبراهيم عليه السلام حاجر وأبها إسماعيل إلى الكعبة إلى مكان البيت الحرام ربطاً يقول الحق : **لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَيْتٌ يُرْجَعُ إِلَىٰ بَيْتِكُمُ الْتَّوَكُّيدَ** ، وفى واقع جند بينك وبينهم ربنا ليؤمنوا بالكثرة فاقبلوا آيةنا من الناس تحويكهم وألهمهم ربنا التَّوَكُّيدَ ، فليؤمنوا بآيةنا منكم ، وهكذا نعلم أن إبراهيم أسكن ابنه إسماعيل وحاجر عند البيت الحرام ، ولم يكن مكان البيت الحرام محمداً بالضيطة لإبراهيم ، إنه يعرف المنطقة لكنه لا يعرف المساحة ولا يعرف حدود المكين .

○ ○ ○

(١) يقال : ارتفع الشيء ارتفاعاً بنفسه إذا علا .

لسان العرب ١/٢٧٨

لقد أمر الحق إبراهيم وإسماعيل أن يرمسا القواعد ، وأن يطلعا البيت ولم يكن هذا الأمر قابلاً للتشديد ، إلا بعد أن أوجده الله البيت وبعد ذلك ترفع فى القواعد . إن الحاجر الذى كان يقوم عليه إبراهيم عليه السلام ليرفع القواعد من البيت هذا هو النقام ، ويولد الله أن يافتنا إلى أشياء هي أحداث قصة هذا النقام .

إن العلماء قد اختلفوا فى بداية لبنات الحرم بعضهم قال : إن لبنات الحرم قد تم بناؤه فى عهد إبراهيم عليه السلام ، وبعضهم قال : إن لبنات الحرم قد تم بناؤه فى عهد آدم عليه السلام ، وبعضهم قال : إن لبنات الحرم قد أوجده الله قبل آدم عليه السلام ، ولننظر بالملحق والاستقراء العقلى أى الآراء الثلاثة هو الصحيح^(١) .

إن العلماء الذين قولوا : إن لبنات الحرم قد تم بناؤه فى عهد إبراهيم عليه السلام لابد أن يقول لهم : لقد أقسمتم للدليل على رأيكم من قول الحق : **لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَيْتٌ يُرْجَعُ إِلَىٰ بَيْتِكُمُ الْتَّوَكُّيدَ** ، التى تريد استبدال ربنا ثقل ثباتك أنت التَّوَكُّيدَ الكبير^(٢) ، والقرء ٢١٧٧ . لابد هنا أن نفرق بين الرفع ولبناء ، إن البناء يستدعى ألا يوجد البيت ثم يتم بناؤه بعد ذلك . أما الرفع فهو الإعلاء والصعود ، أى أن لبنات الحرم كان موجوداً قبل

والحديث رواه الترمذى عن حذيفة بن اليمان [٢١١٢] من ابن مسعود رضى الله تعالى عنه [٢٣٨٠٠] ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **وَأَقْدَرُوا بِاللَّيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَسْحَىٰ** ، أى بكر وعمر ، وأندروا بهدى عمر ، وتذكروا عهد ابن مسعود . وذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير [١١٤٤] .

(١) وقال عبد الرزاق أبقيا أميراً مسمى من قتادة قال : رشح الله البيت مع آدم ، أبط الله آدم إلى الأرض ، وكان موهبه الأرض المهد وكان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض ، وكانت اللائكة تعياه ففصص إلى سبعين فرقة فحرق آدم إذ قد أصوات اللائكة ورسيتهم ، ففتكا ذلك إلى الله عز وجل ، فقال الله : **يَا آدَمُ إِنِّي جَعَلْتُكَ رَجُلًا مَعْرُوفًا** ، فكأن من كل وعصى عنه كما يهمل صد مرضى ، فأتاه إلى آدم فخرج ربه له فى خطوره ، فكان من كل خطوتين مغارة فلم يزل تلك المغارة بعد ذلك ، فبنى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الأنبياء . انظر تفسير ابن كثير ١/٢٧٠ .

سبحانه طلب ما أثلناه كثيرة ، ولكن الأركان في الإسلام ، أول ما نشهد ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهذا مرة واحدة في السر لتدخل بها في الإسلام ، ثم بعد ذلك نقيم الصلاة ونركي ونصوم ونصلي^(١) .

انظروا إلى هذه الأركان تجلوا الركن الوحيد الذي يدخل المسلم نفسه فيه دون أن يكون مستطيها ، فحرم نفسه وبحاول أن يستكمل المثل اللزيم لتفقات هذا الأمر وهو الحج ، ولا يكلف هذه النفقة في عبادة أخرى أبداً ، وذلك لأن الله تعالى حكم وقال : ﴿ وَذَاقُوا... بِأَثَرِهِ ﴾ الحج : ٢١٧ ، نهم بأثره سرعن إلى هذا المكان الطاهر مصدقا لدعاء إبراهيم عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ لِيَجْعَلَ أُفْقَدُ يَتَكَ أَتَأْتِي تَبَوُّتَ إِلَيْهِمْ وَكَارَزَقَهُمْ بَيْنَ أَتَفَرَّتْ لَكُمُتْ بِتَكْرِيكَ ﴾ إبراهيم : ٢٢٧ ، فاقرب توى إلى هذا المكان والبهوى أمر لا يملكه الإنسان باختياره ، لأن الإنسان ساحة أن يكون في مكان مرتفع ثم يستقل ويهوى إلى أسفل لا يكون له اختيار في ألا يستقل ، فوجد الإنسان يكون قتيماً وقد يدخر من ثوبه وفوت جهله ويصم نفسه من منع الحياة ؛ ليعرف من المال ما يساعده على السفر لأداء فريضة الحج ، ولا يفعل ذلك في أي ركن من أركان الإسلام بالثبات ، وفي الأمور الأخرى طلب الله من الناس قد يطاع فيها أو لا يطاع ، لكن في هذه القضية حكم المولى سبحانه فقال : ﴿ وَذَاقُوا فِي أَتَأْتِي بِأَثَرِهِ ﴾ يكسلا في . إذن صدق الفقيه موحداً ، بعض أهل الفهم قالوا : هل الأمر بالأذان للحج كان لإبراهيم أو لأحد غيره ؟ قالوا : الأمر كان لأحد غير إبراهيم عليه السلام لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَذَاقُوا بِأَثَرِهِ ﴾ لِيَجْعَلَ أُفْقَدُ يَتَكَ أَتَأْتِي تَبَوُّتَ إِلَيْهِمْ وَكَارَزَقَهُمْ بَيْنَ أَتَفَرَّتْ لَكُمُتْ بِتَكْرِيكَ . كما قلنا : أي أذكر يا من أنزل عليه كتابي إذ يوأن إبراهيم مكان البيت وأذن في الناس بالحج .

إذن .. الأمر هنا للرسول صلى الله عليه وسلم هل نجد نصراً أو يعودنا بقى إلى الكعبة ؟ لا . فهنا المسك لا نشاعده في أمة من الأمم الأخرى إلا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) روى البخاري [١] من ابن عمر رضي الله تعالى عنها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » .

لذلك أراد الحق سبحانه وتعالى ليهده أن يهديها لروية بيته الحرام ، لأن هذا هو بيت الله باختيار الله فهو سبحانه الذي اختاره ورسمه للناس ، وساجدنا هذه في بيت الله أيضاً ، لكننا بيت الله باختيار خلق الله ، فالحق سبحانه أراد أن يشر هذا الفضل على خلقه حتى يهديها لروية بيت الله الذي اختاره لهم .

كلمة : ﴿ وَذَاقُوا ﴾ معناها : أعلم بفتح الهمزة وكسر اللام ، وأعلم أول مرتبة من مراتبه ، الرسالة فيه السماع بالأذن ، وملك الأذان هو الإعلام ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَذَاقُوا تَأَذَاتُ رُكُتُمْ كُنْ تَكْثُرُ لَأُرِيدَنَّكُمْ وَلَكِنْ كَتَبْتُمْ إِيَّكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم : ٢٧ . فمعنى آذن : أعلم ، وكلها جاءت من الأذن ، لأنها وجبة السماع الأولى والمطالع البدني الذي به تعلم كيف تقرأ ، قبل أن نقرأ لابد أن نسمع .

حينما قال الحق : ﴿ وَذَاقُوا ﴾ في الآيتين بالحج ، لم يكن يجوز البيت الحرام أحد إلا إبراهيم وزوجه وابنه إسماعيل ، في ولد غير مسكون ولا مأهول ، والناس يعبدون عنه ، إبراهيم سال به ، ومن الذي سمع صوتي بالأذان يا رب ؟ فقال له الحق سبحانه : عليك أن تودع وعلم أن أبلغ الأذان كلها^(١) ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَذَاقُوا تَأَذَاتُ رُكُتُمْ كُنْ تَكْثُرُ لَأُرِيدَنَّكُمْ وَلَكِنْ كَتَبْتُمْ إِيَّكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم : ٢٧ . ولذلك قالوا : في أصلا بسمي آدم وفي أصلا الذرية كلها بعد إبراهيم عليه السلام كل من سمع في عالم اللد أذانا وقال : ليك اللهم ليك . فقد سمع مرتين ، فإن قال : ليك اللهم ليك ، وأخذ بكبرها صبح بغير ما لي ؛ لأن معنى كلمة ليك أي إجابة بعد إجابة ونجيت يا رب في هذه ، والله

(١) قال أبو حنيفة : وأمر إبراهيم بعد فرائضه من البناء أن يودع في الناس بالحج ، فقال : « يا رب وما يبلغ صوتي ؟ قال الله جل جلاله : أفن رجع البلاغ ... » .

ومن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال : « لا فرخ إبراهيم من بناء البيت قال : رب ند فرقت ، فقال : ﴿ وَذَاقُوا ﴾ في الآيتين بالحج ، قال : رب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أفن رجع البلاغ . قال : رب كيف أقول ؟ قال : قل : يا أيها الناس كتب عليكم الحج ، حج البيت الحق فسمعه في السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يهتدون من أقصى الأرض ببلون » .

رواه الحاكم في المستدرک ١/٢٣٨١-٢٣٨٢ ، وقال : سمعت صبيح الإسجد على شرط الشيخين ولم يخرجه .

الأمانة التي أعطاكمها لك فلا تفر في مكان كذا ؟ أنكر أنه ذهب معه إلى هذا المكان أو أنشد منه شيئاً . فقال القاضي لصاحب الأمانة : انصب لي المكان الذي كنتما فيه وابتعت جميعاً ؛ فربما كنت قد نسيتهما هناك وظننت أنك أعطيتها له أو ربما يكون أحدهما منك ونسيها في هذا المكان .

فلما ذهب الرجل إلى هذا المكان وتأخر نال التضييق منهم : ثلاث تأخر ، قتال
الهم : المكان بعيد . فقبض عليه وعلم أنه أخذ الأمانة فدلّا . فالمسألة تحتاج إلى وقاية
الشامئ وبصرته حتى يحصل إلى الحق .

ومعنى **هُوَ يَأْتِيكَ بِكَأَنَّكَ لَا فِيهِ** كلمة : رجال ، بعض الناس يفهم أنها جمع رجل ولكنه جمع راجل^{١١} ، وهو الذى يمشى على رجله ؛ والضمائر^{١٢} أى الذى يركب فرسا والفرس الضامر هو الضعيف من كثرة الجرى ، ومن ضمن تأكيد الفعل **هُوَ يَأْتِيكَ فِي أَنَّهُ** ذكر الماشين قبل الراكبين ، والتعجب هو الطريق السليم ، والمعنى هو الطويل السعد .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى : هُوَ يَأْتِيكُمْ بِكَأَنَّكَ لَا فِيهِ ويؤكد كثيراً **أَنَّهُ** أى **أَنَّهُ** **يَعْتَمِدُونَ** على ما لا يفهم من **يَحْمَدُ الْأَنْفِصَ كَلْبًا** يتها ولأولئك **الْبَاطِلِينَ** التقييده **فِي الْمَجْزِ** :
فالمساجح يشهدون فى المسج متابع لهم ، هذه المانع حل هى دينية أخوية أم دينية ؟
هذه المانع تشمل التاجين منا ، فالذى يصح يستمد لهذه الرحلة فيجهز وسيلة وركوبه مثلاً ، ويحضر لمن يبول لهم مصالحي حجاجهم حتى يعود ، وبعد ذلك يذهب إلى الأماكن المقدسة ليؤدي الماسك فى هذا الوادى الذى ليس فيه زرع ، فيبقى ويشترى من البائسين فيها يبيع وهذا يشترى .

فإذا نظرت إلى المنافع المادية تجدوها موجودة ، وكذلك الذى يهجع حينما يذهب إلى هناك يأكل ويشرب وينام . فلابد أنه سيؤجر البيت الذى يستقيم فيه هذه الفترة ، وهذه الأجرة يستفيد بها صاحب البيت ويعيش عليها فترة بعد موسم الحج . والحاج نفسه (١) الرحالة : جميع راحل أى مالي ، وراحيل خلاف اللذان .

(٢٧) القصير والغدير : الوالد رطاح البطن .
 لسان العرب [١١/٢٣٦٩] .
 لسان العرب [٤/٢٩١] .

عليه وسلم مع أن ثبت أن موسى عليه السلام حج إلى الكعبة^(١٢)، إنا نعلم الآخر : فلهذا
وأنزلهم إنا أخذناه على هذا المعنى كان المقصود به النبي محمد صلى الله عليه وسلم .
نقول : إنا لا نجد أسداً من الأمم السابقة يرجع إلى بيت الله الحرام ، ولذلك
نحن نسبح عليهم حيث يزعمون أن النبي هو إسحاق ، ونقول لهم : لو كان إسحاق
هو النبي لكانت صلوة النبي والبقاء دعى الحشرات وغير ذلك عددكم في الشام ،
ولكنها هنا في مكة ، لأن إسماعيل كان هنا في هذا المكان ، ثم تذكرنا جميعاً أنهم
لهم في حكمهم في الإصحاح [٢٤: ٢٣] من سفر التكوين [إن الله سبحانه وتعالى
أرضي إبراهيم أن يصعد على جبل قاراق وأن يأخذ ولده الوحيد ويذبحه .

فولده الر حيد هو إسماعيل وليس إسحاق ؛ لأن الله تعالى أخبرنا في التوراة الكتاب ،
أنه على إسماعيل وشتر إبراهيم إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .

قال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانٌ كَثِيرٌ أَسَافُوا أَنْفُسَهُمْ يَتَذَكَّرْنَ آيَاتِي وَلَا يَجِدُنَا فِي الْآخِرَةِ مَحْسُورِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .
 فربما يقول العداق ريثوبه الذي وصل له عاتقه تنفي على من يكتب ، « وذلك يقولون : إن الذي يرتكب جريمة لا يمكن أن يصنع الجريمة الكاملة أبداً ، لأن الله تعالى يحصل فيها مغفلاً المحن يمكن من خلاله الإسماع بالجرم ومواقفه ؛ بمعنى الجريمة لا تغيب : إناك لا تستطيع أن تتحاط للجريمة أبداً ، بل لابد أن تحرك فيها مغفلاً بدل عليك وتحرك إلى الغائب » ؛ وهذه مهمة القاضي الناقص الذي يستطيع بدراكه أن يكتم الجرم .

مثل القاضي الذي جاهد أحد الناس بشكو إليه من صديق كان يجلس معه في مكان معين وأصاحبه لخطبها له ، ولا طليها منه أنكز أنه أخذها ، فلما سأل القاضي : أين (١) عن ابن جلي رضي الله تعالى عنها قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فميرنا بولد قال : « أي ولد هذا ؟ » قالوا : « وادي الأزرق » . قال : « تأني أنظر إلى مربي عليه السلام - نذكر من مولد شهره شيئا لا يهبطه » وصاد - وأصاحبه في لآنيه ، له جوار إلى الله بجليه مدار بجليه الوادي » قال : « ثم سرنا حتى أتينا على شيء فقال : « أي شيء هذا ؟ » قالوا : « ثنية كركسي أو لفت » . فقال : « كأي أنظر إلى يونس عليه حمره عليه جنة صرف ، وخطم نافذ ليش غيلة ، مدار بجليه الوادي مليا » .

ويظهر من كل معصية ، وبعد ذلك نجد أن إرادة التقصير بين الناس في ملائمتهم وحدانهم بعضهم ، كلهم سواء ، ماكلهم يرتدون لما ليس بالإحرام وكلهم شعث غيرة^(١٧) مثل بعضهم ، لم يؤذ الله جوارحهم فيما هم بعد قتل الصيد أو قطع الشجر ، وعدم الحلق أو التقصير أو حتى خلع شجرة واحدة وعدم الطبيب إلى غير ذلك^(١٨) .

فبعد انقباض أنورى من انقباض الجود فى الحبس، فالحاج تأدب أربا مع شى جنسه
فى أن كل تميز أو فرار يهتم التفت ، ثم تأدب مع جورحه ، تكل جازمة لها حمل
تلمس به ، ثم تأدب مع النبات فلا يلمسه أو يعضه ، ثم تأدب مع الحيوان فلا يعضه أو
يعرض له ، يادى ، فهو بذلك تأدب مع كل الأجناس ولم يبق إلا الجماد فقط ، هذا

(١) في الحديث، حين عهد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل يباهي ملائكته عبدة عرقه بأهل عرقه»، فيقول: «انظروا إلي عبادي الذين شئتوا غيري».

رواه أحمد في مسنده [٢/٢٢٢] وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

الشعث : الغير الرأس ، المتفتق الشعر الذي لم يذبح . لسان العرب : [١٦٠/٢] .

فيرا : أمير السحرة : علاء الجوار ، أي التراب . والعن دكهم غار الطريق العلول السفر وعدم
الاعتناء بالظهور .
لسان العرب [٥/٥] .

لسان العرب، [د/د].

(٢٧) قال عبد الرحمن الجوزي: ثلثي الشعر الخمر من أبناء، بعضها لا يصل قبله، وبعضها يكره قبله: يصر على الخمر عند التكليف، وكذلك الجماع ورواحه، ويصر المخرج من طاعة الله أي قبل صوم، ويصر المحامدة مع الرقاء، والطمع ويصرم، ويصر الضم لصيد البئر بالثقل أو اللبج، ويصر استعمال الطبيب كالمسك في لوبه أو بانه، ويطعم الظفر، ويصرم على الرجل أن يلبس مخيطاً، أو سحطاً بيده، أو يعضه: كالمتصرم والسرابط، والعمامة والنجية، ويصرم أن يخل شعر رأسه بالخل أو القصب أو غيره كما يصرم إزالة شعر الرأس.

الفقه على المذاهب الأربعة [١/٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢]

روى مسلم عن أبيه قال : سألت رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يترك أحرم من الثياب ؟ فقال : لا لبس القصيص ، ولا الثوبين ، ولا السرويل ، ولا الصمعة ، ولا ثوباً سمه ورس ، ولا زعفران ، ولا الخفين ، إلا أن لا يجد الثوبين ، فمن لم يجد الثوبين فلبس الخفين ، وقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين .

روانا آبر. طارود [١٨٩٣] وصحة الكتابي .

لكي يجمع هذه الأموال أدى حركة حياة في الكون وعمل واجتهد ليحصل عليها ، هذه الحركة كان فيها نفع لغيره من المجتمع وإن لم يشربها . فمثلاً حينما يشترى الحاج خروفاً ليلبيحه في الملح ، هذا الخروف اشتراه تاجر وجاء به ليلبيحه للحجاج ، وهو اشتراه من منتج يحرى هذه الأغنام ويبيعها لبرعابة . فهنا المنتج والتاجر اتفعا ، وكذلك الراعي اتفعا والسيارة التي نقلت هذه الأغنام اتفعا صاحبها أيضاً ، ورحى الذي سبله به اتفعا أيضاً فكل هذه وغيرها سائغ ذبذبة ورزق بسوقه الله إلى أهل هذه البلاد الطيبة . وهناك أيضاً البضائع التي يشتريها الحجاج من عناك من ملابس وهدايا وحلى ، والغريبون مشهورون بهذه العدة ، قبل أن يؤدي الحاج المصري نسكه فبعد يشترى ما والغريبون مشهورون بهذه العدة ، وسائغ وغيرها من الهبات الأخرى .

حسب من ملابس رسمية يتجهب إليها ،
فإنه زعيمها من النافع المادة التي يشهدها الحاج حينما يذهب إلى عمله الأماني ،
كذلك فإن الحاج مند أن يترى الملح زبائني في تخيير نفسه والإعداد لهذه الرحلة تجده
يسمو بنفسه في ملكوت الطاعة ، ولا يمكن أن يفكر في معصية ، بله ذلك حينما
يسخر الملابس ويترى السفر ويرتدي ملابس الإحرام تقول له : انتبه هناك أشياء ، الذي
مباحة لك قليل ذلك ، أصبحت غير مباحة لك الآن ، فعلاسلك وهذا من (١) الذي
كنت تتعثر به لا بد أن تتساه حتى نهاية الرحلة ، لأن الناس يسيرون عن بعضهم
بملابسهم فأنت تعرف فكل الناس عادة من ملابسهم .

فالحن سبحانه يريد أن يفتي هذا التمييز والاختلاف بين عباده المؤمنين بحمل الجميع
عليهم شيئا واحدا هو ملائس لإحرام ، وبعد أن كنت نزلت من الشيب أعزها
وأجملها وأكسبها ، ومن المطير أكرامها ، ونذهب إلى اخلاق لنفس شرك ، أستحي كل
هذا معروفا عليك ، وهذا كله نوع من الأدب والاعتراف والمساراة بين الناس أمام اخلاق

١٧٤/١٧٦٧. انظر لسان العرب [١٧٤/١٧٦٧].

(١) حنبل : قال الأزمري : الإيمان حسن القدر .

وَكَيْتَ ضَرَبْتَ لَكُمْ مَثَلًا بِالْبَرْقِ وَهُوَ حَشْرَةٌ ضَلِيلَةٌ ، وَكَيْتَ لَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْخَرْهُ
لَكَ ، فَتَبِعَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْغِضَ عَلَيْكَ عِيْلَكَ ، يَحْرِمُكَ مِنَ التَّوْبِ وَرَحْمَتِكَ مِنَ الرَّاحَةِ ،
كَذَلِكَ أَيْ نَعْدَانِ صَغِيرٍ يَسْتَطَاعُ أَنْ يَبْزِغَ جَمْعُهُ مِنَ النَّاسِ وَيَرْجُوهُمْ ، وَهَلْ أَيْ ذُوهُ
أَوْ حِوَالٍ مُفْتَرَسٍ ، لَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْبَهْلِ عَذَا الْجِيَانِ النُّعْمِ الَّذِي يَقُودُهُ حَقْلٌ صَغِيرٌ
مَادَا ؟ أَيْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَهُ لَكَ وَذَلِكَ .

مع أن هذا العمل أو هذه الجمعية أو الحركة، لو هلكت لما استطاع أحد أن يقف في طريقها، ولكن أنت تستعبد بها وتضرب أليائها وتاكل لحومها، لأنها مستخرة لك من الله.

وسمى القليل أن الحوريات التي أحبها الله لك تفل تنفع بها طول عمرك ، ولماذا حدث لها أي شيء ، فترى روحها تجدها رقبها عالية الذئب ، والفلاحون عندما يقولون : « البهيمة طلبت الحلال » ، فكيف تحول لك أن لم أعد أنعمك في حياتك ، فاجتهد أن تأكل على يديك .

والحيوان الذي لم ينجح الله لما أكمله فهدمه عزوت دون أن يجد رفقة للمذبح فسيحان الله !
فانذكر الله يكون على أنه خلق لنا هذه الحيوانات النافعة ولها لنا مع أن منها ما هو
أضخم وأقوى منا ، ونحن لم نستطع أن نكالي ما هو أضخم وأقوى منها .

ولذلك الفلاح يستخدم حماره في حمل مخلفات روث الماشي إلى الحقول لتسميد التربة ، ويحصل عليه الدلال إلى السوق ثم يركبه وضي به معاملة في المدينة ، والحمار في كل ذلك مطيع لصاحبه لا يكل ولا يعل ، لأنه غليل .

وقوله تعالى : **هُوَ مَنَّكَمُوهَا فِي الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ** ، مع أن المانع في المصاح
يتشدد به إمام القراء والمجاهدين من أهل الحرم ، إلا أن الله تعالى في هذه الآية قدم
الأول على إمام الناس للغير ، وذلك لأن السادة من لعرب قبل الإسلام كان الواحد
نهم إذا ذبح فبيعه للفقراء والمساكين يستكشف أن يأكل منها ، وما دام يستكشف أن
أكل منها فلا يجهل أن تكون سبيحة مليحة بالضم والهم ، أو أن تكون سبيحة مهورلة

الجماد الذي تحبته أدنى الأجسام، سيأخذ منك دوماً، فلتأني للصحراء الأسود لا بد أن
تستسلم، ويخضع، في أن تقبله^(١).

ناظر إلى انكسر نفس هذا الإنسان ، وهو السيد الأعلى لجميع الأجناس يتأدب مع كل الأجناس ويأثي لأدنى الأجناس ليقيمه ، فناظر إلى طائفة نفس البشرية إلى أدنى أنواع أجناس الأرض .

إن المنافع التي يشهدها المحتاج تسهل التمتع الدينية واللبوية ، ولا يحتاج من يحس طاعة لله عز وجل أن يقول : « عليك اللهم ليك ، ومعنى ليك ، أي أن كل متاع الدنيا خطري ، رأيت يا رب طلعتي ، فانا أليك أنت أولاً ، لأنك خلقتي ورحلت الأشياء لك . تشكركم ، ولكم ، والآنكم المبررات هي : اللهم الشريك .

[illegible][illegible]

(١) يعنى : الإله ، والغير ، والنفس كما نفسها سبحانه وتعالى فى سورة الأنام : هو التثنية
تفسير ابن كثير [الأنام : ١٢١/٢] -

لأبرهة حين أراد أن يهدم الكعبة أملاكه الله ودم جيشه بأن سلب عليه أضعف جند من جود الله وحى الطير الأبايل ، وجعله عيرة لكل طائفة يحاول أن يسب الله بالسوء . وحى النبل وهو حيوان أصمحي كانوا إذا وجوهه إلى الكعبة يركب^(١) . وقد ذكر أن النبل كان اسمه محمود وقيل له في أذنه : أبرك محمود وارتجع راشدا ، فأناب في بلد الله الحرام ، فترقى النبل أن يحرك خفيوة واحدة إلى الأمام .

وجنبا ذهب عبد المطلب إلى أبرهة ليكلمه في الإبل التي أنعمها جيشه فأناب له أبرهة متعائيا : كنت قد تهيئت لأهلك سيد فريش ، وبعد ذلك ثلثي لشكمتي في مائة بعير أصبتها لك ولا تذكر أي شيء عن البيت الذي فيه محمدكم والذي جعل لأهدمه^(٢) لقد سقطت من نظري . فما كان من عبد المطلب إلا أن قال له : أنا رب هذه الإبل ، والبيت ربّ بحبه . وهذه حجة قوية فهو لم يترك البيت لغيره خوفا أو خسفا ، وإنما تركه لأنه يعلم يقينا أن له ربا يحبه ويدافع عنه . وهذا الكلام زلزل أبرهة وأعاقده^(٣) .

اعتق من العرق ألم الطويلان ، دليله قوله تعالى : **فَوَكَّزْهُمُ بَوَّالُهُمْ لِيُؤْخِضَهُمُ بَنَاتُكَ** التي في وهذا دليل على أن البيت رفع رغي مكانه ، وقيل : به أفتق من الجارية ، ولم يضعه منهم أحد . وقيل : سبي عتيقا لأنه لم يحمله أحد ، والأول أولى .

لسان العرب [٢٣٦/١٠]

(١) برك البعير : إذا ألتج في موضع للبركة .

(٢) قصة أصحاب النبل معروفة معروفة ، وجعلها العرب ميثا تاريخ يذكرون به ؛ فيقولون : حدث ذلك عام النبل ، أو بعد عامين من عام النبل ، وهكذا .

والقصة كما تروى : أن أبرهة بن الصياح ملك اليمن من قبل أسحق النجاشي ، بنى كنيسته في صعدة تسمى « القليس » ، وعزم على أن يعترف مع العرب إليها كما يفتح إلى الكعبة بمكة ، فخرج رجال من بني كنانة فقدموها ليلا ، ويقال : به قضى بها حاجته أو أنه أسرقها ، فأنصب الملك ذلك ، فحلف ليهدم الكعبة .

فخرج بالأحباش رابعا ليلا عظيما فورا كسير الجنة لم ير مثله ، يقال له : « محمود » ويقال : كان معه اثنا عشر قنبرا غيره لإرهاب العرب فاشمسا مكة فمات على كل من وقف في طريقه ، حتى وصل إلى المنى قرب مكة وبه رجل من قحف يقال له : « أبو رغال » ، دليلا . ثم =

الإحرام لا يطيب ولا يحلق شعره أو يقص أطاؤه أو شاربه نكل هذا من النفث فيبدل أن يحلل من إحرامه يقطع هذا النفث^(١) .

فمنى : **فَمَنْ يَنْقُصُوا نَفْسَهُمْ** أي : يعللون ويتريلون الأذن أن التي خلقتهم من التراب موجبات الإحرام ، وإن كان على أحد منهم نذر قلوبه ، ثم يعللون بالبيت العتيق طواف الإفاضة . والطواف هو أن تدور حول شيء فجاء من فطنة وتنتهي عندها .

والطواف حول الكعبة معروف .

والبيت العتيق : هو الكعبة المشرفة ، وكلمة عتيق تستخدم في اللغة اسمعالات واسعة ، والعتيق : بمعنى القديم ، وما دام هو أول بيت وضع للناس فهو قديم .

والعتيق يمدح : لأن الشيء حين يكون قديما فمعنى ذلك أنه عام ومسايط عليه ، ولا يحافظ على شيء إلا إذا كان مهما أو له مكانة في النفوس ، ومن ذلك الآثار والتحف ، والعتيق أيضا : هو الشيء الجميل الحسن .

والعتيق : هو المعوق من سيرة الغير على حق العبد ألام وجود الرق والاستعباد ، فبيت الله عتيق لقدمه ؛ لأنه أول بيت وضع للناس ، وعتيق بمعنى نفس ومهم ؛ لأنها جنبنا نروره يظهرنا الله من الذنوب ، وهذا شيء يحبه ويمناه كل مسلم ، كما أنه بيت الله ، وهو أيضا معوق من سيطرة الغير ؛ لأن الله يحبه من سيطرة الجارية ويحكمهم^(٢) .

(١) النفث : هو تحف الشعر ، وقس الأظفار ، ويتكبد كل ما يهرم على القدم ، وكأنه المخرج من الإحرام إلى الإحلال .

لسان العرب [١٢٠/٢] **فَوُتِرَ يَقْتَصِرُوا نَفْسَهُمْ** أي : قال ابن عباس : النفث : سلق الرأس ، وأخذ من الشعر ، وقطف الإبط وسلق المانة ، وقس الأظفار ، وأخذ من المارضة ، ودمى المحبرة ، والموقف يعرفه والموقف .

(٢) عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما شئ البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار » . رواه الترمذي [٢٣٧٠] وللطه له ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وسننه الألباني ، ورواه الحاكم في المستدرک [٢٨٩/٢] وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

والبيت العتيق بمكة لقدمه ؛ لأنه أول بيت وضع للناس ، قال الحسن : هو البيت القديم ، دليله روايته العتيق بمكة لقدمه ؛ لأنه أول بيت وضع للناس ، قال الحسن : هو البيت القديم ، دليله قوله تعالى : **فَوَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَ إِبْرَاهِيمَ** ، ولكنكم إن كنتم تحبونها فالحق أنكم تحبونها . وقيل لأنه =

البيت قبل إبراهيم .. والله لدى أرشده إليه

[illegible]

إذن .. تعرف هنا على الترتيب التالي :

أولاً : أن المكين كان موجوداً من قبل إبراهيم عليه السلام .

النابيسا - أن إبراهيم عليه السلام كان يعرف المظنة التي يوجد بها البيت الحرام - الكعبة - لأن كان لم يعرف بعد على مساحته بالتحديد .

ثالثا : أن إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر إنيها إسماعيل في هذه المنطقة .

وإعسا : صدر الحق لإبراهيم أن يقوم البيت الحرام بعد أن أُرِضِحَ له مكانه بالصبيط . لقد أُرِضِحَ الحق مساحة الكبرياء والذي يجب عليه أن يقوم التواضع له هو زبنة إساعيل عليهما السلام .

حاشا : أننا عندما نبحث أى أمر أو قضية في القرآن الكريم فإننا نجتمع كل ما يتعلق بها من القرآن ، حتى لا نبحث فى أية بعزل من أخرى ؛ ولحق تبارك وتعالى يقول : ﴿ هَلْ أَتَاكَ نَبِيٌّ مُنذِرًا ﴾ [التيسير للزكي] . يَكْفَى مَنَّا وَمَنْ كَفَى الْكَافِرِينَ ﴿ ومنى ذلك أن الحق قد أضح لنا أن هناك شيئاً للناس هو أول بيت وضعه الحق للعالمين^(١) من قبل أن يعطى آدم إلى الأرض ، ذلك أن الناس هم آدم وزوجه وأبناؤه إلى أن تقوم الساعة .

(١) عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله أرى المسجد وضعت في الأرض ليل ٩ قال : « المسجد الحرام » قال ٩ قلت : ثم أرى ٩ قال : « المسجد الأقصى » قلت : كم كان بينهما ٩ قال : « أربعون سنة » ثم أيما أهركت الصلاة بعد قتل ، فإن النخل فيه . رواه البخاري [٣٣٦١٦] ، ومسلم [١٧٥٢٢] ، وأحمد [١٥٠/٥] .

000

أرسل أربعة رجلا من المدينة يقال له : الأبو : بن مقصور ليعبر على الأربعة الثرية ، فساق إلى أربعة أموال قريش ، وبها ماتوا بعد بعد الطلب بن هاشم ، وبعث جماعة الخيبري إلى مكة ليبيح له بسبب هذا البلد وشربهم ، ليعبر أنه لم يأت شربهم وإنما أتى ليعلم البيت الصديق . وقال : إن عبد المطلب أقبل على أربعة : وكان رجلاً جسيماً النظم ، فلما رأى أربعة أجله وأعطاه واكرمه ، فبذل أربعة عن سريره ، فجلس على بساطه وأعطاه منه عليه إلى جيبه ، ثم قال ليرجسه : قل له ما حاجتك ؟ قال : حاجتي ألا يرد عليّ الملك ما تني غير ضاعها لي ، فلما قال له ذلك قال أربعة ليرجسه : جعلت أجعتني رجلاً ، وتترك بيتاً هو دينك ودين الملك قد جعلت كسبي ، لا تكلمني في مالي غير أسحبها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين الملك قد جعلت له منه ، لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إلى أنا رب الرب ، وإن كليت را سينه ، وقال : ما كان ليجمع مني ، قال : أنت ودك .

ثم رجع عبد المطلب وأشير قومه بغيره المخرج من مكة والاحتمن والحرز بالجلال ، وأذهب
هو إلى البيت يدعو ويحس في الدعاء

وعا اربعة جيف في الصباح ، وبما فيه ، كلما رجوا التيل و مسعود ، الى سعة اقبل تقبل من حبيب حتى قام الى حبيب القبل ثم اخذ ياديه ، فقال : ايوك محمود ، اكرج واطنا من حبيب جت ، يوكاك في بلد الله الحرام ، ثم ارسل اذنه ، فترك القبل وخرج تخطى من حبيب يشتد حتى صعد الجبل ، فكلموا كلما رجوا التيل الى جهة البيت برك ولم يرجع ، ولما رجعوا الى الحبيب اكر التلهم اكر الشرق اشرق وحرول .

وفي اليوم الثاني أرسل الله عز وجل جنده بهجاءوا من سجيل علي جنده أفعاله ، فانتقم منهم
وتساقط ، ولكوا في كل طريق رديب ، وحفظ الله بيته وحصى حرمه ، وحمل نبل يقول :
أعين للعسر والإله لأعاقب والأشرم المنسوب لبي الغالب

قال السهيلي في الروض الأنف : إن مسح من يقول : يا أقبلة صفك منها يترك كما يترك المحمل.

راجع: السيرة النبوية لابن هشام [١٦٣/١]، والروضة الأنف للسبكي، ورسائل العبدى وزرارة السامري [٢١٤/١]، والفتوح الكبير للبخارى [٢١٦/٣١]، وغيرهم.

أن هناك أرضاً لبنت وضعت الله للناس ليقيموا إليه ، وبعد أن كثرت إسماعيل قليلاً تلقى إبراهيم العلم عن الله فكانت البنت الحرام ليقبضه مع ابنه إسماعيل .

إن لفظة البنت الحرام تبدأ منذ اللحظة التي أراد فيها الحق أن يرسل في الأرض خليفة خلق الله الأرض وقصر فيها قوتها ، وأعد الله لآدم وزوجه بيتاً ؛ ليورث إليه آدم وأبناؤه من بعده ليكونوا في أماكن .

وناقى إبراهيم عن الحق العظيم مكان البيت فأقام جدراؤه ، فقام إبراهيم بأثقال المهمة التي كلفه بها الحق . لقد أقام إبراهيم جدران الكعبة على قدر ما تقول بدهاء ، فذلك الررس ثم يكن به أدوات بناء كالتي نرى فيها حالاً بل كان زماناً بدايا ؛ لذلك أراد إبراهيم عليه السلام أن يحال بالمثل البشري وأراد أن يزيد ارتفاع جدران البيت فأوجد الحجر الذي يقف عليه ليزيد في الارتفاع .

إذن .. فاتخاذ المقام الذي وقف عليه إبراهيم وهو بيتي ، إنما هو دليل على أن إبراهيم عليه السلام لا يؤدي تكليفات الحق أداءً شكلياً إنما يؤدي أداءً الحبيب . لقد أسب إبراهيم عليه السلام تكليف الرحمن له فحمل خيراً يعني به الطيران للبنت الحرام ، وهو حجر من حرم متوسط يستطیع أن يحمله إبراهيم وإبنه إسماعيل عليهما السلام .

ولذلك فعندما يحرق المسلم الحجر الذي وقف عليه إبراهيم ليعطي جدران البيت الحرام فإنه يجد أن ذلك الحجر من ناحية الحجر والوزن ، في طاق الإنسان أن يحمله مع إبنه . إن هذا الحجر هو سمة الحجة لإكمال التكليف ، وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يتغللان هذا الحجر من مكان إلى مكان ، يضع إبراهيم الحجر فوق الحجر وإسماعيل يبارك الأحجار ، ولقد وجد الناس في مقام إبراهيم خيراً يشبه القدمين وليس فيه التواءات التي توجد في القدم ، وعندما شملت عن سر عدم وجود التواءات قلت بالأجهاز البشري : يمكن أن نطلق أن خليل الرحمن قد حفر هذا التدرج في الحجر لبنت به قدميه وهو يرفع الحجر فوق الحجر ليعطي من جدران البيت الحرام ، وهكذا جعل الحق هذا القدم سمة رآية فينة ليرى الدليل على سب التكليف الرباني .

- إن كل متوجه الله بالنسبة خلفه هو تكليف ، ولizard الحق أن يبقى مقام إبراهيم خليل الرحمن سمة طيب التكليف الرباني ، وكان الحق يريد أن يعلم المطلق أن إبراهيم كان

إن الحق يوضح لنا أن البيت وضع للناس قبل أن يوجد الناس ، وهكذا نعرف أن البيت الحرام كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام ؛ بل وقبل آدم عليه السلام ، إن آدم لم يضع البيت ولكنه نزل إلى الأرض ليجد لبنت (١) ، وهكذا يورد الحق على المطلق بأنه حر الثاني أمر الملازمة أن تقبم البيت ليجعله آدم وأبناؤه من بعده ، ليعبر البيت طاعة للناس حقيقة من أول آدم ، وعندما جاء إبراهيم عليه السلام إلى المكين ؛ كان يعرف

(١) قال سلب سبل الهدى والرمضاء ١/١٦٦ في عدة الوات التي بينها البيت :
الأولى : عبارة الملازمة :

روى الأثرى من على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما أن رجلاً سأل ما بده هذا الطواف بهذا البيت ؟ ولم كان ؟ وأنى كان ؟ رضى كان ؟ فقال : أما بده هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تعالى قال للملازمة : هو إني يتأهل في الأثرين خلية كـ - رساق القصة إلى أن قال : نوضع الله سبحانه وتعالى تحت الأرض بنا على أربع أساطين من زرع وشحن ملأوت حمره ، ورسى البيت العرش ، ثم قال للملازمة : ليولوا بهذا البيت ردموا ليرش . فثقلت الملازمة بالبيت ذكروا الأرض فصر لعرش عليهم ، وهو البيت المعمور للفق ذكروا الله تعالى ، وبذخه كل يوم ريلة سمون لك ملك لا يوردون إليه أبداً ، ثم إن الله سبحانه وتعالى بعث ملائكة قال : إمبرا لي بنا في الأرض بعثه وقدره : فامر الله سبحانه وتعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور .

الرواية الثانية : عبارة آدم عليه السلام :

روى البيهقي في الدلائل من ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول لله صلى الله عليه وسلم : و بعث الله تعالى جبرائيل إلى آدم رحوه فقال لهما : انبأ لي بنا ، لحظ لهما جبرائيل ، ففعل آدم بجنه رحوه فقال حتى أجابه الله ، ويؤدي من تحه : حسبت يا آدم ، فلما بانه أرحى الله تعالى إليه أن يطوف به ، وبل له : أنت أول الناس ، وعلما أول بيت وضع ، ثم عاشت القرون حتى حجه نوح ، ثم عاشت القرون ، حتى وضع إبراهيم التواءات من البيت . وانظر أول من بنى الكعبة من ٢٥٧٧ فيها العمارة الثالثة ، والرابية .

درواه ابن أبي سلم وابن جرير والطبراني سوزنا . ورواه : زعم الناس أن آدم بانه من خمسة أجيل ، من حمره ، ولبان ، وطور زنا ، وطور سباء ، والجودي . وذكر الحديث النفس الهدى في كبر السمال ١٧١٦٣ ورواه البيهقي وابن مسكويه : قال : وقال البيهقي : تنزه به ابن لهية . هكذا مرفوعاً .

كان الحق تبارك وتعالى قد أوكل إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يظهر هو وابه إسمايل البيت الحرام ؛ لأنه سيكون قبلة لكل مؤمن بطوف به أو يعكف فيه ، أو راكع أو ساجد في أي مكان في الدنيا .

وبعد ذلك يقول الحق : ﴿ هُوَ كَذَلِكَ قَالَ إِذْ رُفِعَ رَبِّهِ لِيُجْعَلَ بَيْتًا رَبَّكَ وَذُلُّكَ أَقَلُّهُ مِنْ الْغَيْرَيْنِ مَنْ عَادَنِي ثُمَّ بَأْسُهُ وَبِئْسَ مَا لَكُمْ مِنَ الْخَبِيرِ قَالَ وَمَنْ حَرَّمَ فَلْيُحَرِّمْ يَدِيكُمْ ثُمَّ أَتَيْنَاهُ بِالْعَذَابِ ثَلَاثًا وَرَبُّهُ لَتُحْبِطُ فِيهِ الْعُزَّةُ : ٢١٢١ ، وكان الحق يريد أن يذكرنا هنا بأن البيت الحرام الذي كلف الخلق بأن يجعلوه آتاه ، هذا البيت هو بهاء إبراهيم مطلوب له دولام الأمان . إن الحق قد قال من قبل : ﴿ هُوَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا آيَاتِهِ مَثَابَةً لِقَائِكُمْ وَيَتَنَبَّأُ فِيهِ وَمَكُنَّا يُكَوِّنُ مَطْلُوبَ إِبْرَاهِيمَ بِالْهَدَاءِ وَهُوَ طَلِبَ لاسْمُورَ تَكْلِيفَ الْبَشَرِ بِدُولَامِ الْأَمَانِ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ إِنَّهُ طَلِبَ لِدُجُودِ أَيْ طَلِبَ الْحَرَامِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبُ ، ومثال على ذلك قول الحق : ﴿ هُوَ يَتَنَبَّأُ الْيَتِيمَ مَاتِمًا مَاتِمًا بِأَيْدِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكَاتِبَ الَّذِي تَرَى عَلَى رَسُولِهِ وَالصَّيْغَةَ الَّتِي تَرَى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَهُوَ مَثَلٌ مَثَلًا بَعِيثًا ﴾ [البقرة : ٢١٢١] .

إن الحق يكلف المؤمنين به بأن يقدم كل سهم الإيمان بالله ورسوله والكتاب الذي أنزله على رسوله ، والكتب السابقة للنزلة على الرسل .

إذن .. فإن كان المطلب موجودًا ، فلنا أن نشهد أن ذلك يعني أن بطل الوجود دلالة ، وأن جوهر الكليف الإيماني من جعل إلى جعل . ويمكننا أن نفهم دعاء إبراهيم عليه السلام ، على أنه دعاء بالأطمئنان للمؤمنين حول البيت ، ذلك أن بيت الله الحرام موجود بواد غير ذي زرع ، لذلك فقد يعيش نزعًا وغير آمن ؛ لأن قوت بدنه غير موجود ؛ وإمكانية استخراج هذا القوت بالزراعة غير متوفرة .

فإن أردنا الأمن المطلق فلنسلم أن الله حين يخاطب المؤمنين بطلب الإيمان لسراد ذلك الدوام على الإيمان ، فإن أردنا الأمان على نوع خاص فإنهم يدعونه بأن يجعل من بلد به الحرام بئنا آتاه على وجه الخصوص ، ولنا أن نلاحظ أن دعاء إبراهيم في هذه الآية جاء بكلمة وبلد ، نكرة أي بدون ألف ولا تسبقها ، وجاءت في آية أخرى وهي معرفة أي تسبقها ألف ولا م في قوله تعالى : ﴿ هُوَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ امْتِعَالٍ

بشرًا قد أحب التكليف فأنته وأكمله ، ولذلك كان أمر الحق أن يجعل هذا المقام مصلى وبعد ذلك يأتي قول الحق : ﴿ هُوَ وَحِيدًا بَلَاءً إِذْ رُفِعَ تِلْكَ سَجْعًا أَنْ تَهْتَفُوا تَتَقَ لِلْعَالَمِينَ وَالْمَكِينِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٢٢] . ولنا أن نسال كيف يصدر أمر الحق إلى إبراهيم وإسمايل بتطهير البيت رغم أنهما قد أكملوا بناءه فورًا ؟

ألم يكن المكان طاهرًا ؟ إن هذا السؤال يدلنا على أن البيت الحرام قبل أن يظهر كانت الناس تدعى فيه الذبائح وتذبح فيه بقايا الدم وغير ذلك ، ولذلك صدر أمر التطهير للبيت^(١) ولكن لمن يتم تطهير البيت الحرام ؟

إن الحق تبارك وتعالى يحدد العائلات الثلاث التي يتم من أجلهم تطهير البيت الحرام . الفئة الأولى : هم الطائفتون في : الذين يطوفون حول البيت ، وكان تطهير البيت الحرام من بقايا الغاذورات أو الأقسام التي تخلفت من عبود وثنية سابقة على تكليف إبراهيم عليه السلام بإقامة البيت الحرام^(٢) .

والفئة الثانية : هم المأكوه والمقصود : المقيمون حول البيت الحرام . والفئة الثالثة : هم الركن السجود ، أي المصلون ، ويستطيع الإنسان أن يكون من الفئات الثلاث في آن واحد حين يصح أن يعتمد إلى بيت الله الحرام فهو يدخل طائفة ويخلص فيه عاكفًا ، ويقوم الصلاة فيه ، فيصبح من الركنين المساجدين .

(١) قال صاحب سبل الهدى والرشد ١/١٥٥ : روى حديث أبي جهم وحدث ابن سعد : وحلفت لشكينة كاذبا سحابة على موضع البيت ثلاث : التي على . لذلك لا يطوف بالبيت أحد أبدا كافر ولا جابر إلا رأيت حبه لشكينة ، نبي إبراهيم البيت فحمل مرله في السماء ، تسعة أفرع وعرشه ثلاثين ذراعا ، وطوله في الأرض اثنين وعشرين ذراعا ، وأدخل الجوز وهو سبعة أفرع في البست ، وكان قبل ذلك ثلثا لنتم إسمايل ، ولما يناه بحجارة بعضها على بعض فلم يعمل له سقفا ، وحمل له بائين ، ووفر له جورا عند باب حوراة للبيت بقي فيها ما يهدى للبيت وحمل الركن ثلثا الناس .

(٢) قلت : وكلنا تطهير البيت من ذنوب غم إسمايل عليه السلام ، كما جاء في حديث أبي جهم المذكور بالصلحي السابق .

هجرة إبراهيم وإسماعيل إلى مكة

﴿وَرَبَّكَ إِنِّي أَسْتَكِينُ مِنْ مَرْبِّي، يَرْأُوهُ غَيْرُ دِي تَرَجَّ عِنْدَ بَيْتِكَ الْخَرِيمِ﴾^١ . الصغير هنا أن هذا الوادي لا يصلح فيه الزرع ، لأن أرض صحريه ولو أنها كانت أرضا رملية أو نصف رملية مثلا لكان من الممكن أن تستصلحها وتزرعها . إنا قوله تعالى : هو غير ذي تَرَجٍّ أي : لا أمل في الجهود الإنسانية لزراعتها ولا يوجد إلا العطاء الرباني ، ولكن هل سينجح إبراهيم هو الذي اضطر هذا المكان القفر الذي لا زرع فيه ولا ماء ولا حياة ؟ أم أن الله هو الذي اضطر له هذا المكان^(١) ؟ .

(١) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : « أول من اتخذ من النساء المنطق من قبل أم إسماعيل انحلت منطقا فعلى أمها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وأبناها إسماعيل . » وفي ترجمته -

حي زوجها عند البيت عند فوحة نوق وزوم في أعلى المسجد ، وليس بجدة يورثه أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جروا فيه تمر ، وسقاه به ماء ، ثم نسي إبراهيم منطقا فبعته أم إسماعيل فقلت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركها بهذا الوادي الذي ليس فيه شيء ولا شيء ، فقلت له ذلك مرارا ، وجعل لا يسمع إليهما ، فعقلت له : أنك لم ترك بهذا ؟ قال : « نعم » قالت : « وإن لا يسمعا ، ثم رجعت . فاستلق إليهما ، فعقلت له : أنك لم ترك بهذا ؟ قال : « نعم » فاستلق بوجهه البيت ثم دعا بهولاء الكلبين ، يرفع يديه وقال : ﴿وَرَبِّكَ إِنِّي أَسْتَكِينُ مِنْ مَرْبِّي﴾^٢ يَرْأُوهُ غَيْرُ دِي تَرَجَّ عِنْدَ بَيْتِكَ الْخَرِيمِ وَكَانَ الْكَلْبَانِ قَاتِلَيْنِ الْوَيْلَ لِمَنْ أَتَاهُ تَحِيَّةُ الْكَلْبَيْنِ مِنْ الْكَلْبَيْنِ كَلَّهْمَا يَتَكَلَّمَانِ فِي الْهَامِ : ٢٣٧ .

رجعت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتزرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعلقت إنبها ، وسمعت نمر إلى يدي - ثم قال بطيط - فاستمكنت كرامة أن تقهر إليه ، فوجدت الصغار أقرب جعل في الأرض إليهما ، فقامت عليه ، ثم استقلت الرأدي نظرت هل ترى أحدا ، فلم تر أحدا ، فعميت من الضياء ، حتى إذا بلغت الرأدي رصت طرفي فوجدتها لم سمعت سعي الإنسان ألهجه حتى جازرت الرأدي ، ثم أتت المروة فقامت عليها ، فظهرت هل ترى أحدا ، فلم تر أحدا ، فقلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فالتك سعى الناس بينهم » .
فلما أشرقت على المروة سمعت صوتا فقلت : صيد - فوجدتها - ثم سمعت أيضا فقلت : قد أسمنت إن كان عندك فواكه ، فإذا هي بذلك عند موضع وزوم ، فبحث عنها - لو كان =

بجاءه - حتى ظهر الماء ، انجذبت فخره وتناول بيدها كفا ، وجمعت تبرؤ من الماء في سائلها وهو يذير بعدما تبرؤ .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عرضة لك أم إسماعيل لو تركت وزوم - أو قال : لو لم تعرف من الماء - لكنت وزوم حيا ميا » .

قال : فشررت وزومت ونمنا ، فقال لها الملك : لا تخافن الصبيبة ، فإن ماها بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه ، فإن الله لا يصنع أهله ، وكان البيت رفيعا من الأرض كالأرض ، فبقي السبيل فأنفذ عن بيته ورساله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم وقف من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مصلين من طريق مكة ، فزولوا في أسفل مكة ، فواروا ملتزمين عاتقا ، فقالوا : إن هذا العاتق ليسر على ماء ، ألهبنا بهذا الرأدي وما فيه ماء ، فزجرا جريزا أو جريزا لوذا هم بالله ، فزجروا فزجرهم بالله ، فقللوا - ولا ولم إسماعيل عبد الله - فقالوا : أتأذنين لما أن تقول عندك ؟ فقلت : نعم ، ولكن لا حتى لكم في الماء . قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فلقني ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإرض » فزولوا ، وأزسوا إلى أهلهم فزولوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيت منهم ، وشئت للبلاد وتعلم البرية منهم ، وأنفسهم وأنفسهم حين شب ، فلما أوردوا ذروهم امرأة منهم ، وسمت أم إسماعيل : فسمت إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل بإطلاح تركه ، لم يجد إسماعيل ، فسمت امرأة عنه فقلت : خرج يعني لنا ، ثم سألت من عيشهم وعيشهم فقلت : نحن يتزوّ ، نحن في صيق وشفة ، فسمت إليه ، قال : فإذا جاءه زوجته فاروق على السلام وقولي له بغير عية بيه . فلما جاء إسماعيل كله لقي شيئا ، فقال : هل جاءكم من أحد . قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا ، كذا ، سألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عشتا ، فأخبرته كما في عهد وشدة . قال : فهل تزوجاك بغيره ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أؤزأ عيلتك السلام ، ويعزل : غير عية بابت . قال ذلك نبي ، وقد أمرني أن أؤزأ ، ألقني بأهلك ، ففعلتها وزوجت منهم أخرى .

سمت منهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أقامهم بعد ذلك بعينه ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقلت : خرج يعني لنا . قال : كيف أقسم ؟ وسألها عن عيشهم وعيشهم فقلت : نحن بغير رسة ، وأنت على الله ، فقال : ما علمكم ؟ قالت : الماحم . قال : إنما شراكم في ثلاث : الماء .

قال : اللهم بارك لهم في الماحم والماء .
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ولم يكن لهم يونس عيش ، ولو كان لهم لهما لهم به ، قال : نعم لا يملأ عظيم أحد بغير مكي إلا لم يوقه ، قال : لو كان جده وزجرك فلقني =

إن الاختيار من الله سبحانه فهو الذي اختار المكان ، وأمر إبراهيم بالإقامة فيه ، ولذلك قال : ﴿ وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِكَاءَ وَتَتَّبَعْتَنِي بِكَاءَ الْفِتْنَةِ فِي عَذَابٍ فَلْيَسِّرْ لِي مَخْرَجَ الْفِتْنَةِ ﴾ [يوسف: ٩٢] ، فكانه أحب هذا المكان رغم فقره ، مانعة له سبحانه . فلما تقول لأحد : اذهب إلى مكان كذا لتقابل فلانا فتقول لك : يا أخي المكان بعيد ، والمواصلات صعبة ، ولكن سأذهب من أجل فلان هذا ، لأنني أحبه وأقضي خدمته .

إذن .. فبذاك أمر تكلفي سبقت برضا رجب وسأعند صاحبه ثواب رجب التكليف وثواب القيام بالتكليف .

ورحب التكليف مثل الرجل الذي قال : اللهم إلى عصيتك ، ولكني أحب من يطعك ، فاجعلها قربة لي ؛ لأنه يخرج بصيغة التكليف ولو من غيره ؛ لأن في تطيبه حتى من غيره مصلحة له ؛ ولذلك فإن رجا سبحانه حين علمنا أن حاجته في قراءة الكتاب في أول الصلاة قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ ﴾ [الحمد لله رب العالمين] [الزمن الأخير] [ملاي يوم الدين] [إِنَّكَ تَعْبُدُ وَإِنَّكَ تُسَبِّحُ] [في ١٠٠] ، ومع أن المصلي الذي يقرأ القعدة في الصلاة فرد ريس مجموعة ، بأنه لم يقل إياك أعبد ، وإنما قال : ﴿ إِنَّكَ تَعْبُدُ وَإِنَّكَ تُسَبِّحُ ﴾ [في محضر نفسه في زمرة العابدين] ؛ هل الله يقبلهم من أجل واحد وإنَّكَ تُسَبِّحُ رابطة فكانه يقول : يا رب العلي وأنا عاصي من أجل هذا الجمع بينهم ، فتكون المصلحة رابطة فكانه يقول : يا رب العلي وأنا عاصي من أجل هذا الجمع من عبادة الصالحين ، ولذلك فإنهم يقولون : إن الذي يقبل معصية لا يقض من العاصين بل يخرج بهم ؛ لأن فرجه بالثمان دليل على حب التكليف لكنه لا يقدر

في الدلائل [١٧/١٧-٢٥٢] . وقد عراه المصنف في الكتب الطوائف على الأطراف [١٧/٢٤١] ،

سعيد بن جابر في تفسيره ، والطبري في تفسيره [١٧/١٧-١٥٤] .

وأما المصنف ابن حجر في فتح الباري [١٧/٥٠-١٠٧] فقد عراه : ابن السكن والإسمايلي والماضي والأردني وصبر بن شيبه في كتاب مكة ، وأبو بصير في المستخرج .

عليه السلام ، وثمة بيت فيه بابه . فما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأنت عليه - فسلمي عنده فأنصروه ، فسلمي كعب جدي فأنصروه ثم مضى ، قال : فأرسلنا نبي ؟ قالت : نعم ، هو إبراهيم عليه السلام ، وأمرنا أن نحب بيت بابه . قال : فذاك أي وقت أحبته ، أمرني أن أسلم ، ثم أت عهده ، ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يرى نبلا له تحت درجة قربة من زبرم ، ولما رآه قام إليه ، فقصا كما سمع الولد بالولد ، وولد بالولد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمر بك . قال : ففعلت . قال : فأجابك . قال : فإذن الله أمرني أن أسلم ففعلت وأشارا إلى أكمة برتقة على ما حولها - قال : فعند ذلك رما القواعد من البيت ، ففعل إسماعيل بأني بالمحارة لإبراهيم نبي ، حتى إذا رجع البناء جاء بهما الحجر فوضعه له . فقام عليه وهو نبي وإسماعيل يبارك المسبارة ، ومما يروى : ﴿ وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِكَاءَ وَتَتَّبَعْتَنِي بِكَاءَ الْفِتْنَةِ فِي عَذَابٍ فَلْيَسِّرْ لِي مَخْرَجَ الْفِتْنَةِ ﴾ [يوسف: ٩٢] ، وكان إبراهيم يتردد على شهر على البراق عند غدير ثعلبي مكة ، ثم خرج فيقول في قوله بالعلم ، قال المصنف في الشرح [١٧/٢٥٦] : روى المصنف عن حديث علي بإسناد حسن نحوه .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فنادى جبريل فقال : من أنت ؟ قالت : أنا عابر لم ولد إبراهيم ، قال : فولي من وركبما ؟ قالت : لي الله ، قال : وركبما إلى كاف . »

رواه الطبري بإسناد حسن كما قال المصنف في فتح الباري [١٧/٢٥٦] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : « لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل ، معهم غنم فيها ماء ، فحملت لم إسماعيل شرب من الماء فغير له بها على صبيها حتى قدم مكة فوضعا تحت دومة ، ثم رجع إبراهيم إلى أهله فأتبعه لم إسماعيل حتى لا يلبس كداء فأنه من ورثته : يا إبراهيم لي من ترك ٢ قال : لي الله . قالت : رخصت بالله . وفي نسخة آخر : « ... فبعته لم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم ألي تأخذ وتركها بهذا الولد الذي ليس في إني ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارا ، وحمل لا يلبس إليها ، فقالت له : والله أبرك بهما ٢ قال نعم . » قالت : إذن لا يضيحا ، ثم رخصت . .. روى البخاري [٢٢٦١: ٢٢٦١، ٢٢٦١: ٢٢٦١] ، والبيهقي .

فالتريضة الوحيدة التي يدخل الناس أنفسهم فيها وهم غير مطالبين بها إلا في حالة الاستطاعة هي الحج . تجد الإنسان غير مستطيع مالياً ومع ذلك يظل سبرات يحرم نفسه ويذهب حتى يحقق رغبته في أداء الحج .

إذن ... هي مسألة قلوب ، وبذلك تتضح علاقتنا بقول الله تعالى : **هُوَ أَتَوْا تَرَكُوا** .
الأنبياء في وكلمة : **هُوَ تَوَيْتَ** في الهواء والوارو والباء . لها معان متعددة :
 ١ - تَوَيْتَ تَوَيْتَ : بالكسر أي : سقط على مكان ولا إرادة له في السقوط ، فسقطه يسقط حجر من أعلى ، كأنه مقهور على السقوط . إياها تَوَيْتَ : بالفتح يعني : أحب . إذن : فهذا ميل قلوب ، وذلك ميل لوال وقوله سبحانه : **هُوَ كَرَّاهُ لَهُمْ يَتَرَكُوا** التَّوَيْتَ لَتَأْتَهُمْ تَشْكُورَةً في معنى : أنهم سيكفون في مكان ليس فيه رزق ولا شيء من مقومات الحياة .

ومع ذلك فقد غابت إرادة الله أن يكون هذا المكان الفاسل القنصر ، شيئاً آخر تماماً ، لأن الله سبحانه وتعالى قال : **هُوَ يَتَجَبَّيْزُ بَيْنَهُ تَشْرِيفٌ** كل شيء ورزقاً بين لَتَأْتَهُمْ في التعمس : ٢٧ ، فكانت كل خيرات الدنيا تأتي إلى هذا المكان حتى قبل أن يُكشَفَ التبرول ويتم الحظر وراك أن تفيهم أن ذلك باختيار اللذين يأتون البيت الحرام ؛ لأن الله قال : **هُوَ رَزَقًا بَيْنَهُ** لَتَأْتَهُمْ في وكلمة : **هُوَ يَتَجَبَّيْزُ** في كأنها حجابة أي : مر مفروض نفس الطائف مثلاً أنواع كثيرة من الفاكهة والشمر حينما تذهب إلى السوق تشتري يقولون لك : هذه ثمر مكنة ، اشتراها من مكة شيء عجيب !! ونوله سبحانه : **هُوَ يَتَجَبَّيْزُ بَيْنَهُ تَشْرِيفٌ** كل شيء في كلمة : **هُوَ كَلِي تَتَوَيْتَ** في هذه إن جعلتها في الصمت فوايت إن سافرت إلى البلد الحرام تجد فيه لأكوبة النساء موجودة في العيص ، ولأكوه الصيف موجودة في النساء وهكذا . لأن هذه النمار جاءت لها من كل قطاع الأرض فهي نتيجة كل البيات والأجواء ، ليس ذلك فقط بل هي الآن تنمو بالمر الحجازي لأن سبرات المقبول المذكورة تنبع إلى هناك حتى أنهم يحملوا من مدينة جدة ، المدينة المنورة في الدائم فيفقد سبرات الأفكار وسبرات التخطيط والهندسة والإمكانيات . كما في الماضي حين ذهب للحج تأخذ الزاد والماء والإبرة والخيط ، ولكن بعد ذلك حين أبعنا ومكنا في البعثة أصبحنا نأتي بكاملات الحياة من هناك من مكة قوله سبحانه : **هُوَ كَاتِمٌ لِّلْأَيَّةِ تَرَكُوا**

على نفسه فكانه يقول : ما دمت أحب التكليف فما رب أكرمني من أجل ذلك . لماذا تقول هذا الكلام ؟ لأن قوله : **هُوَ عِنْدَ تَبَيْكُ الْمُتَحَرِّفِ** في معنى أن إبراهيم لم يأت إلى هذا المكان من نفسه وإنما جاء تبعاً لأمر الله سبحانه وتعالى ، ولذلك يقول له زوجته بعد ذلك : **مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ؟** هل هو أمر ربك ؟ أم من عندك ؟ فيقول لها : **رَبِّي** هو الذي أمرني بهذا . فيقول له : **مَا دَامَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَكَ** بهذا قلن بضعينا . أما معنى قوله تعالى : **هُوَ رَزَقًا بَيْنَهُ تَشْرِيفٌ** بين ذريتي يكره غير ذبي رفيع عتق بَيْنَهُ التَّحَرِّفُ رَزَقًا لِيُنْفِئَهُمُ الْفَقْرَ في فمعه أن هذه ليست شهوة سيادة ، وإنما ليقيم الصلاة فساد هذا المكان هو بيت الله الحرام فلا بد أن يعبد فيه . ربنا يقول أحد : يورت ربنا كثيرة ، فيقول له : هناك فرق بين بيت الله باختيار خلق الله ، وبين بيت الله باختيار بيت الله

بأن خلا بيت من يورت الله التي أقيمت باختيار خلقه وليس هذا كما يختار بيت الله باختيار الله ، فيبت الله باختياره يجب أن تتصل فيه العبادة .
 إذن ... فالطبيعة إنما تأخذ من الوجود في هذا المكان الذي ليس فيه من أسباب الحياة ولا مقوماتها شيء ، على أن الله أمر وما دام قد أمر فلماذا في هذا المكان بالذات ؟ قال : لأن هذا بيت باخاري ولا يصح أن يدخل من معبد واحد من لي ، ولذلك أرى ألا نكمن أحداً من الإقامة في هذا البيت إلا المأبدن المرحومين للمادة فقط ، وأن جربنا على أحدهم معصية إحدىة تقول له : لا تسكن في هذا البلد وتعمل ساجداً حول الحرم فمن يريد أن يعيش حياة يخرج منه لأن هذا المكان كما قال الحق سبحانه : **هُوَ رَزَقًا لِيُنْفِئَهُمُ الْفَقْرَ** وما دام قد قال : **هُوَ لِيُنْفِئَهُمُ الْفَقْرَ** فلا بد لنقيم الصلاة من إقامة حياة ، والمؤمن الأول فيها أن يأكل ويشرب لذلك قال تعالى : **هُوَ كَاتِمٌ لِّلْأَيَّةِ تَرَكُوا** التَّوَيْتَ تَوَيْتَ في إبراهيم : ٢٧ ، أقدمه جميع فوائد ، والفوائد : هو القلب ، يترك القلب تَوَيْتَ تَوَيْتَ في إبراهيم : ٢٧ ، أقدمه جميع فوائد ، والفوائد : هو القلب ، والأقعدة تطلق على الطائفة أيضاً .
 لكن ما علاقتها هنا والفوائد ، الذي هو القلب ؟ قالوا : لأن الهوى في الصحيح موري قلوب ، وليس موري حبيب . فالإنسان يكون غير قادر على تفقات الحج ، ومع ذلك يرم نفسه ويستأن حتى يصح .

زبرم .. وصدق التوكل على الله

هذا يجب أيضا أن ننبه إلى شيء آخر ، وهو أن الحق سبحانه وتعالى حينما أنفق بعض الأشياء وجعلها تنسكا أراد أن يجعل الناس على ذكر من أصول مناسكهم ، فمثلا : السعي بين الصفا والمروة ، عرفنا أن السيدة هاجر سعت بينهما لطلب الماء لوليدها إسماعيل عليهما السلام سبعة أشواط ، ولم تجد ، ثم وجدت أنها ضرب برجله فخرجت زبرم .

إذن .. فزبرم تمل شيئا في العقيدة ، بصرف النظر عن كونها : مبركة ، وأنها مملوطة (١) ، السعي تمل زبرة لأسباب وزبرم تمل زبرة التوكل على السبب حيث الرزق من حيث لا تحسب .

إذن .. فلأبد الإنسان أمام ظروف الحياة أن يكون له جانب : حال يسير فيه مع الأسباب فيجد ويجهد كما جدت السيدة هاجر عليها السلام في أنها ذهبت إلى الصفا فالمروة وكررت ذلك ؛ ولكن هذا لم يأت لها بالماء ، وجاء لها الماء من حيث لا تحسب بضربة قدم من ابنها الصغير الضعيف ؛ وعلى هذا فالؤمن بين أمرين : بين أسباب تشغل جوارحه ، وتوكل على الله يشغل قلبه ، ولما كيد هذا المني ، ليس أن تقول هذه زبرم التي ، كذا ، التي جاء بها الله من حيث لا تحسب السيدة هاجر ، وكذا وكذا .. بل ونسب منها ، والله يجعل فيها الفائدة ، البرجة أن الخدين في السيرة حدثونا أن : أبا ذر حينما جاء من بلاده بعد أن سمع خير بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتزل ضيقا على أحد في مكة ؛ وتزل ضيقا في المسجد ؛ وقد يسأل الناس ويقولون : لماذا مع أن كل واحد يأتي من البداية له واحد من الحظير ؟ فكل واحد يأتي من البداية يكون له قريب أو صديق يتزل عليه ؛ ولذلك كان زاهر بن حرام هو البدوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني عندما يتزل رسول الله الصخرة يتزل على سيدنا زاهر بن حرام - وكان يحبه جدا وله محاولات معه كثيرة جدا ، لدرجة أنه رآه مرة طاروس عن أبيه قال : زبرم طمام طم رشقاء سقم .

إنيتم . قال بعض الصالحين : لو قال الحق سبحانه فأجعل أفئدة الناس لو قال : فأجعل الناس يعبدون إليهم لو كان ليس كذلك لما زُبد لأحد به مكان ولو لم يقل : هو فئدة يشك الناس في مكان الصغاري والبحور يذهبون لبحورها . ثم يقول : هو زيتا . إنك تتذكر ما تخفي وما تخفي . بعد أن اطمأن على أنه أصبح بلدا ، وتفق له الأمن المأم والأمن المأم ، واطمأن على أنه سيأمن الرزق ، والخراجات عارضة الدوافع إلى الخيء لهذا المكان ؛ لأنه سيرك زوجته هاجر وابنها إسماعيل فأصبح مشغولا بهما ؛ ولذلك قال تعالى : **فَوَرَبَّكَ إِنَّكَ تَتَذَكَّرُ مَا نَكْتَفِي وَكَمْ تَعْلَمُ** .

الضمير هنا بالجمع وبعض المفسرين يقول : قوله : **هو تتذكر ما نكتفي** . أي : ما أعني من الحب لهاجر وإسماعيل ، وما تدن أي من الجفاء أمام سارة لهاجر وابنها كان المأني النفسية عارضة عندما هم بالرجل قول له : قوله : **هو كما تخفي وما تخفي** . دليل على أنها ليست مسألة سهلة أن يترك هاجر ولديها في مكان ليس في ربح ولا ماء ولا بشر . فهي مسألة صعبة على النفس ؛ ولذلك فإن هاجر سبغت مدة طويلة لم تسأل إبراهيم عن شيء حتى هم بالرجل قتالت له : كيف ستركما في هذا المكان ؟ هل هذا من رأيك أو أمر ربنا ؟ فقال لها : ربنا هو الذي أمر ، فقلت له : **إذن فلن يضيئنا** . وتأكدت لها هذه المسألة جريلا ؛ فمطش ابنها ويتقد الماء الذي في السماء ، ويتألم الرضيع من العطش فماذا تفعل ؟ تقدم بمجهود بشري ، نظرت إلى الوادي ، جبالها وهناك فجئري إلى الجبل لعليها ترى شجرة عندها ماء أو أحدا قادما معه ماء ، فتصاري ما تفعله امرأة في هذه السن أن تجرى بين الصفا والمروة سبع مرات هذا أكمل مجهود بشري ، ولكن هذا المجهود البشري لم يأت نتيجة ، وبعد هذا السب وجدت الماء عند قضي وليدها .

إذن .. فصدق قولها : لن يضيئنا ، وإلا فلرأيها وجدت الماء عند الصفا أو عند المروة لا كان لتولها : لن يضيئنا مدلول ، ولكنها أخذت بالأسباب ولم تجد الماء ، ثم وجدت عند قضي إسماعيل .

إبتلاء إبراهيم لحي ولده

إذا كان الله تبارك وتعالى ابتلي إبراهيم عليه السلام بالنار في مطلع حياته ؛ فقد ابتلاه في آخر أيامه بأن أمره بذبح ولده الوحيد . والإنسان في أول حياته تكون ذاته هي المسيطرة على نفسه ولكنه في أواخر حياته تكون ذاته أولاده فوق ذاته . فقد ابتليت حياته من النجاة ؛ ولذلك فهو يريد أن يعطي أولاده كل شيء ، ويريد أن يحقق لهم ما لم يحققه لنفسه ، وهكذا عندما ذكر إبراهيم وصار شيخا جاءه الابتلاء الثاني بأن يذبح ولده . ولتين قوة هذا الابتلاء على نفس إبراهيم تقول : إن إبراهيم أصبح في سن كبيرة . وحسب عالم الأسباب من المشكوك فيه أن يزرقه بولد آخر ، إذن .. فأسماعيل هو كل حمزة إبراهيم في الدنيا . وإذا بالأمر يصدر من الله ليس بأن يقتل إسماعيل ، فربما كان ذلك حقا على النفس بأن يعطي إبراهيم ولده لعدد من الناس يأخذونه بعيدا عنه يقتلونه . كان في ذلك نوع من الرحمة في القضاء ، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم بأن يأخذ ابنه ويذبحه بيده ، ابتلاء . كثير جاء عن طريق رؤيا لإبراهيم ورؤيا الأنبياء ^(١) .

إبراهيم عليه السلام يعلم يقيناً أن الحق سبحانه وتعالى لا يطلب من عباده إلا الاستسلام لقضائه ؛ ولذلك إذا رأيت إنساناً حال عليه القضاء في أي شيء في مرضه ، في مصيبته ، في مال ، فاعلم أنه لم يرض بما وقع له ، ولو أنه رضى لانتفى القضاء ، فلا يرفع قضاء حتى تكون نفس من ابلي به راضية ، وما دام عدم الرضا موجوداً فالتاس هم الذين يطيلون على أنفسهم أمد القضاء ؛ لأنهم لا يرتضون به ، فإذا قال لك إنسان إنه راضى بقضاء الله وأن القضاء لم يرفع عنه ، فاعلم أنه يقول ذلك بلسانه ولا يرضى عنه بقلبه .

(١) قال عبد بن حمير : رؤيا الأنبياء رضى ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَكَانَ يَتْلُو رَبُّكَ آيَاتِهِ الْكَافِرِينَ إِنَّكَ أَنْجَلُهُمْ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ بِمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِمَا نَحْنُ بِكَ بِمَكَاتٍ مُتَعَدِّينَ ﴾ [التكوير : ٢٨] ، راجع تفسير ابن كثير [٢/٤١٦] ، وانظر البخاري [١٣٨] . ومن أهم رضى الله تعالى صعباً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولورؤيا العاقل جزء من سبعين جزءاً من النبوة » . رواه مسلم [١٩/٢٢٦] .

في السوق ، جاء من البادية ولم يذهب إلى رسول الله ، فراه صلى الله عليه وسلم في السوق فداعبه صلى الله عليه وسلم ودعاه تبيين لما سألته عند رسول الله ، كان لونه أسمر قليلاً ، فجاء رسول الله من خلفه - كما نصح نحن مع أحمينا - ووضع يديه على كتفيه وقال : من يشتري الابد ؟ تعرف زاهر بن جرم صوت رسول الله ، فقال :

إذن تجدي يا رسول الله كاسدا .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ولكنك عند الله ربيع ^(١) .

فالتأمد أن كل بلوى له حضري يقول عليه والمكس صحيح ، فسينا أبو ذر الغفاري ما جاء لم يذهب لمن يقول عليه من الخضر ، بل ذهب إلى الحرم . لماذا ؟ نحن نعلمنا في هذه الملة ، ما دام له مكان يقول فيه عند أهل مكة ، لماذا لم يذهب إليه ؟

قالوا : لأن المسألة في استقبال الرسول كانت البيوت مختلفة ، بيوت آمنت به ، وبيوت كبرت به ، والبيت الواحد فيه من آمن وبه من كفر ، فقال : لم ذهب عند أحد فاحتمال أن يكون هذا الرجل الذي سأذهب عنده روحه ليست معه ، أو روحه معه يشهد له ، أو روحه ضده فيشهد ضده ، فلا داعي لهذه ولا لهذه ؛ وذهب إلى بيت الله الحرم .

ومكث شهرا حتى جمع الأخبار ، قال أبو ذر فوالله ما علمت طعنا إلا زورم ، ووالله لقد تكسرت عكبي يعني : يعني : سمن حتى صارت يظنه طليت .

إذن .. فغصن أبو ذر رضى الله تعالى عنه . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن قال : « زورم طعنا طعم وشقاء سقم » ^(٢) .

○○○

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير [١٠/٢٧٤هـ] ، وقال العيني في صحيح الزوائد [١٦/١٢٦] :

وراه موقوف .

(٢) سبق شرحه .

بمعهم ، وإنما يقول بأنه إسماعيل فاعلم أكثر من عشرين وجهاً وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية
 قس الله يومه يقول : هذا القول إما هو حقيقي من أصل الكتاب مع أنه ياتل من كتابهم ،
 فإن فيه : إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكرة - وفي لغة - وحيد ، ولا يملك أهل الكتاب
 مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر لولده ، والذي غير أصحاب هذا القول : أن في التوراة التي
 بأيديهم : الذبح ابنك إسماعيل ، قال : وهذا الزيادة من تحريفهم ، لأنها تخلص قوله :
 الذبح بركوك ووجدك ، ولكن اليهود حسدت على إسماعيل على هذا الشر وأسموا أن يكون
 لهم ، وإن يسمونه إسماعيل ويحتجوا بكون العرب ، وأبلى الله إلا أن يجعل قصده لأخيه وكيفية
 سرور أن يقال : إن للذبح إسماعيل والله تعالى قد بشر أم إسماعيل به وبأنه يقترب ، فقال تعالى
 من الملائكة إليهم فتلقوا إبراهيم لما أمروه بالخير : **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** لا قيل إنما قصصهم
 وتاريخهم عنهم فجاءه قائلان لا يحسن أن يثبتا أن الله لم يوطئ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْقَبْرَةَ** فتحدثت
 بينكم وبينهم فذهبوا عنه وقد انتهى يثوبون **فَإِنْ مَرَدُّهُ** ، إسماعيل أن يشرد ما به يكون له ولد
 ثم يأم بلده ، ولا ريب أن يعقوب وأبلى في الشارة ، فتناول الشارة لإسماعيل ويعقوب في
 اللغة واحد ، وهذا ظاهر الكلام وسيظهر .

ثم يقول : وهذا عليه أيضاً أن الله سبحانه لا ذكر قصة إبراهيم وأبيه الذبح في سورة قصصات
 قال : **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وتبين أن **وَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** قد ساقط الألف في كلمة تحريف
 النسخة **إِنْ كُنَّا نَرَى أَنَّ الْقَبْرَةَ** وتبين أن **وَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** قد ساقط الألف في كلمة تحريف
 سلم من إبراهيم **وَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** قد ساقط الألف في كلمة تحريف **وَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** قد ساقط الألف في كلمة تحريف
 من التوراة **وَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** قد ساقط الألف في كلمة تحريف **وَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** قد ساقط الألف في كلمة تحريف
 ظاهر جداً في أن الخبر به غير الأول ، بل هو كالألف .

ثم يقول : وأيضاً لا ريب أن الذبح كان بكسر الهمزة وحلت الهمزة يوم الشرع بها ، كما
 جعل الله من العطا والبركة ورعى الحمار تكوينا فكان إسماعيل وأمه وقادة لا ذكر الله ،
 ومعلوم أن إسماعيل وأمه هذا اللذان كانا بكسر الهمزة وإسماعيل ، ولهذا أصل مكان الذبح
 وزمناه باليت الحرام الذي اشترك في بئانه إبراهيم وإسماعيل ، وكان لشر بكسر الهمزة من قام حج
 لبيت الذي كان على يد إبراهيم وأمه إسماعيل زمناً ومكاناً ، ولو كان الذبح بالضم - كما
 يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم - لكانت اللزوم والشرع بالضم لا بكسر .

وأيضاً بأن الله سبحانه سمي الذبح طائفة ، لأنه لا أحمل من أسلم نفسه للذبح طائفة لربه ، ولا
 ذكر إسماعيل سواه طائفة فقال تعالى : **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** الذبح **وَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** الذبح =

إبراهيم عليه السلام عرف هذه الحقيقة من علم الملائكة ، عرف أنه لا يرجع قضاء
 حتى يرضى به فاعلم الأمر الله ، ولكن حب إبراهيم لأبيه جعله لا يريد أن يعمل
 إسماعيل بمر بغيره سخط فلا يجوز مرضا الله ، ولذلك لم يأخذ رفقاً معه وبليده ، لأن
 في هذه الحالة قد يكون إسماعيل غير راضٍ ، فحرم من الجوارح على هذا الإيلاء ، يقول
 إبراهيم عليه السلام لولده : **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
 أنفجك فاقترن ما كان تركت **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
 الله ، وهذا عرياً حب إبراهيم لأبيه ، لأنه لا يريد أن يحميه في هذا الإيلاء من التوراة .
 ما قال يقول الأمين ؟ يقول له : **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
 [الصافات : ١٠٢] ولم يقل إسماعيل لأبيه بأبى العمل - يزيد بل قال له : **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
 حتى يأخذ الإبراهيم ثواب عبودية الطاعة ، وبعض الإيلاء يقول الحق : **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
 إذن ، فمما صدق إبراهيم الروايات أن الذبح العظيم من السقاء يعني به إسماعيل ،
 بل وأخبر من ذلك بولت معه البشارة بأن إبراهيم سمرق بولد آخر مصداقاً لقول الحق :
فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
 مكاناً لم تكن البشرية تخط من الله بإنشاء إسماعيل من الذبح ، بل كانت أيضاً بأن
 إبراهيم سمرق بولد ثان ، وهذا الولد سيكون نبياً من العالين^(١) .

(١) قال ابن كثير في تفسيره ١٨٧-٢٣٠ : ذهب أهل الكتاب وحجته من أهل العلم إلى أن
 الذبح هو إسماعيل ، وحكي ذلك من طائفة من السلف ، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً ،
 وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما نقل ذلك حلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب وأخذ ذلك
 شيعتنا من غير حجة ، وهذا كحباب الله عندما رزق له أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بولده
 حليم في قوله : **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
 بعد ذلك : **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون **فَوَقَّعَ رَبُّكَ أَفْعَامَهُمْ** وكان يثوبون
 ويقول ابن القيم في زاد المعاد في معنى خبر المبدأ ، المبدأ الأول في فصل سب الرسول صلى
 الله عليه وسلم : بإسماعيل هو الذبح على القول المورث عند علماء الصحابة والتابعين ومن =

بركة البيت .. والحج البرور

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ مَبَازِغٌ وَتَعَذُّبٌ لَّازِلٌ ﴾ [التكوير : ١٧] .
البركة أن يعطى الذي تتفاعل معه فوق ما كنت تتصوره . هذه هي البركة .

فمثلا نزرع مزارع قديان قمح ، ولقدان التمح مثلا عادة يخرج عشرة أراب . ولكن هذا القديان أعطى أكثر مما هو متوقع منه ، وفائق متيله عند آخرين . فيقول لك : إن هذا ربما مبارك له في رزقه .

مبارك له في رزقه يعني : أن رزقه يؤدي أشياء فوق المظنون أن تؤدي به .
لأن هذه البركة لها أساس متعددة ، فبذلك بركة الرضا ، وبركة أنه يتبع المصارف ،

وبركة أنه يتبع المصائب عن الإنسان .

فإذا ذهبت إلى هناك إلى بيت الله الحرام ، امتلأت نفسك عشية لربك وتواضعا مع الآخرين ، واستطعت أن تفهم حطايات الله لكل خلق الله .

والأشياء التي كانت تورثك غرورا في حياتك انتهت منك ؛ فإن كان لك طمع في الدنيا لم يبق لك طمع ، وإن كان لك شراعة لم تبق لك شراعة ، فأنى هنا البركة .
وأيضا : فإن الزمن هناك البركة فيه على قدر ما يعطيك من ثواب . كيف ؟ الإنسان في بيته مشاغله وأموره في الحياة آخذة منه كثيرا من حركته . هذا لرب من البركة .

اللؤلؤ الآخر : إن الإنسان الذي ذهب إلى مكان ليس فيه توثقه وليس فيه إمكاناته التي تعود عليها فهو يعيش عيشة غير رتيبة . والبشة غير الرتيبة تتطلب منه كثيرا من الحزم في تصريف الأمور .

ولذلك نجد الإنسان في بيته ربما ضائق بأن بيت معه واحد في حجرة ، أو بيت معه ثلاثة ، ولكننا نلاحظ في هذه الأمكنة أن صدور الناس تتسع للناس ؛ إذن فالأماكن ليست هي التي تتسع ، وإنما الصدور هي التي تتسع .

فقد أن أناسا جلسوا في مكان : عشرة في حجرة . كيف يقضون حاجتهم في هذه الحجرة ، وكيف يضمنون فيها أمتعتهم ، وكيف ينامون ، وكيف يرتاحون . نجد أن الماء

الحج

٧٨

الذي لا يكفي إنسانا في رتبة حياته في بلده يكفيهم قليل منه ، والطعام كذلك . كل ذلك لون من البركة فيما آتاه الله للإنسان ، وهذا إذا نظرنا إلى البركة في معادها الموقوت بهذا المكان ، وكذلك إذا عثمت البركة إلى غيرهما من الأمكنة فذلك سذهب إنسانا آخر بعد الحج ، إنسان حجه يجب أن يكون مبرورا والحج المرور لا يتم فيه .
إذن .. فقد ضمن أن فترة من الزمن مرت به في عبادة ، لا يتم فيها ولا فيجوز ولا فسوف ، تلك هي بركة ، وإلا فالزمان في غيره صالح لأن يكون فيه هذا وأن يكون فيه هذا ، إنما الإنسان في بيت الله يستحي أن يمر عليه خاطر السوء ، ليس أن يفعل خاطر السوء ، فتكون بركة ؛ لأن الزمان الذي يعيش فيه يبارك الله فيه فلم يكن فيه إلا الخير ولم يكن فيه إلا الحمسة ولم يكن فيه إلا أن يفكر في مصالح الناس ولا يكون فيه أن تتعاب أحدا .. كل ذلك لون من البركة .

فإذا ما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة »^(١) ، فهذه بركة واسعة جدا ، بركة امتدت من الدنيا إلى الآخرة .

كذلك إذا رأيت أن الإنسان في الحج البرور تكون حياته بعد الحج حيرا من حياته قبل الحج ، فالأشياء التي كان يتعامل فيها كاللحم مثلا ربما يتبع نفسه عنها فتكون بركة البيت قد امتدت إلى خارج هذا المكان .

وأيضا فإن الحق سبحانه وتعالى يحب من الإنسان أن يعيش منهجه ، ولا تستطيع أن تلحظ عينة الإنسان الثامة وفي منهج الله إلا في هذا المكان ، فإن الإنسان يكون خارجا من وقت الظهور - مثلا - ويذهب إلى راحته وتتغير أذنه أذان الوقت الذي بعده وعندما يؤذن تجد الكل يهرول في الذهاب للمسجد ، فوقك دائما مشغول بربك ، ليرهن الإنسان أنه ليس المكان الذي يعطيك حرصك على أن تؤدي المنهج كما يريدك

(١) رواه أحمد في المسند ٣٤٦/٣ من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وقال الأثرزوط : إسناده

صحيح . ع. ر. ش. الشخص ، أنه يعطى في مسند ٦٦٦٠٣ . والطائفة في المعجم الكسر

١١/١٤٦٧/١٤٦٧ وقال الهيثمي في الجمع ٣٧٠/١ : وفيه يحيى بن صالح الألبى قال

العتيلي : روى عنه يحيى بن بكير مكاثر . وله شاهد من حديث جابر بن أحمد ولنا منه

الشيخ الألباني .

الحج

٧٩

كلمة: ﴿ فَرَأَيْنَاهُ فِي جَمْعٍ آيَةٍ ﴾ ، و ﴿ فَرَأَيْنَاهُ فِي جَمْعٍ بَيِّنَةٍ ﴾ ، يعني : كل آية بيّنة :
والجمع : ﴿ فَرَأَيْنَاهُ بَيِّنَاتٍ ﴾ .

لكن بلا حظ من الأداء القرآني عندما قال : ﴿ فَرَأَيْنَاهُ بَيِّنَاتٍ ﴾ وصف مجمل .

ما هي الآيات البينات ؟ لم يجرى القرآن الكريم فيها إلا نظام إبراهيم عليه السلام :
﴿ فَرَأَيْنَاهُ بَيِّنَاتٍ مِّنْ أَثَرِهِ ﴾ .

كان الله سبحانه يبد أن يلفتنا إلى شيء : هذا الشيء أن لا تنظر إلى وحدة الشيء ؛
﴿ مِّنْ أَثَرِهِ ﴾ هو الحجر الذي كان يقوم عليه وهو يرفع قواعد البيت .

إذن .. والآيات البينات بيّنت بجزء ، مع أن آيات جمع ، فالرفع أن يقول :
مقام إبراهيم وكذا وكذا ..

ولكنه قال : ﴿ فَرَأَيْنَاهُ بَيِّنَاتٍ ﴾ ، وقال : ﴿ مِّنْ أَثَرِهِ ﴾ .

يلفتنا نحن في هذا إلى أنك لا تنظر إلى وحدة المعية ، ولكن النظر إلى مكونات هذه
المعية . فلو نظرت إلى مكونات المعية لوجدت في كل مورد من المسم سم ، فانت مثلا

إذا نظرت إلى التفاحة على أنها ثمرة ، انظر فيها إلى الماس التي تستطيك ، ثمطيك
الرابعة ، ثمطيك القشور ، ثمطيك الصوديوم ، أشياء كثيرة مما يكون فيها جسدا .

إذن .. فالحق سبحانه وتعالى حينما يذكر ثمرة من المسم يقول . يراك أن تفهم على
أنها ثمرة واحدة ، ولكن دون النظر وحققه تجد في على هذه الثمرة الواحدة ثمرة كثيرة .

وبذلك تجد الحق تعالى يقول : ﴿ وَكَانَ تَعْدُّهَا نَسْمَةً إِلَهِ لَا تَحْصِيهَا ﴾ [النحل : ١٨]
ولم يقتصري تكرار واحدة ؛ تعد الشيء يعني : واحدة مكررة ، فكانت بقباسنا نحن

البشر نقول : وكان تعدوا نعم الله .
ولكن قال سبحانه : ﴿ تَعْدُّهَا نَسْمَةً إِلَهِ ﴾ . كيف تعد ثمرة واحدة ؟ والمثم : كما

قلنا تكرار وحدة تحسب : ١ : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ إلخ .
وعو سبحانه وتعالى لم يقل : و نعم الله ، ، حتى تكون أشياء مكررة بل قال :

﴿ نَسْمَةً إِلَهِ ﴾ فلا تنظر إلى ثمرة الله على أنها واحدة ، ولكن انظر إلى ما في ظلها
من المسم .

الله ، ولكن انتم تلك الدائم بملك وحركك على تأدية ما افترض عليك هو الذي
يعطيك ، وبذلك يقول بعض العلماء : إذا أكرمت نفسك خارج البيت بما تنرم به
نفسك وأنت في البيت ترى من الخير هناك ما رأيته هنا .

إذن .. فالمسألة مسألة إزلام ؛ لأن الإنسان في بيت الله يسعى أن يفكر في معصية ،
يسعى أن يتر عليه الوقت ولا يسعى ، يسعى أن لا يسعى إلا في جماعة وفي المسجد .

فبات إنسان في لندن بعد ملك قاعد متروك الأذان وعندما يسبح الأذان يجرى
ويهرول إلى المسجد ويؤدي الصلاة ، ولا يشمل نفسه إلا بطاعة الله ، فإنه أيضا يرى

الخير .
فإذا ما كان الإنسان قد أضحى فزيرة على الخير حتى أن يعيش منهج الله دائما ربا لربه
هذه المادة إن عاد إلى بلده ؛ أنه بعد ما أترك الصلاة التي أتركها هنا يحول جامعا

أن يطبقها في بلده ، فيكون هذا لونا من البركة .
وقوله تعالى : ﴿ وَهَكَذَا يُتَّبَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٢١٦] . الملايين جمع عالم ، والعالم : ما

سوى الله ، وما سوى الله : جناس متعددة ، هذه الأجناس المتعددة فيها ما هو غير
يكلف لأنه مطروح على الخير ومطروح على إطاعة الأمر نعم : ﴿ لَا يَصْطَرِقُ إِلَهِ ﴾

أمرهم ويقتلون ما يؤمرهم [الحج : ٢١] وهم الجهاد ، والحيوان ، واللائكة ، أي : كل
شيء ما عدا الإنسان والجان .

القوم الذين يذهبون إلى الحج تختلف أجناسهم ، وتختلف ألسنتهم ، وتختلف
الوانهم . فإذا ما التقى هؤلاء جميعا ووجدوا أن جامع ألسنتهم تشبه واحد : و لبيك

اللهم لبيك ، ، هناك واحد ، وقيل واحد هو : طواف ، هو سعي ، هو كذا هو كذا
هو رضى جميل ، هو وقوف برفة ، لربط الناس جميعا بروابط واحد ، يطلب على فوارق

أزمتهم ، وفوارق ألسنتهم ، وفوارق حشائهم ، وشهد المسلم أنه لم يعد مؤمنا وحده
بجسمه ولا بولونه ، بل هناك أجناس متعددة تشبه ربنا سبحانه وتعالى ، أجناس تؤمن بمن

أحسن به ، أجناس متعددة يجمعهم الخير ، كل هذا يكون للعالمين .
وهنا يكون : ﴿ وَهَكَذَا يُتَّبَعُونَ ﴾ .

وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَرَأَيْنَاهُ بَيِّنَاتٍ ﴾ [آل عمران : ١٧] :

أصبحنا أيام الترامطة ، ودخل ابن ريمط ، وأخذ يقلب في المرحومين ، وأصبحوا في أيام أميرت . ولم يتردد ، مع أن ريمط سبحانه وتعالى قال : **هَوَ وَتَن دَنكَلَم كَان دَرِيَا كَه** . فقال لهم : **أَنَّم أَحَدُهُمَا عَلَى أَنَا قَضِيَّة كَرِيَّة ، بَعِي : أُنَ اللَّهُ حَكَم بَلَن مِن يَدَحَلَه** . لا بد أن يكون أمدا لا : بل هي قضية شرعية ، **هَوَ وَتَن دَنكَلَم كَان دَرِيَا كَه** . يعني : من دخله فأمور ، يعني : أمير دكلمني ، وما دام أمير دكلميا فيكون عرضة أن يطاع .
وغيره أن يعصى ، فالله أنطاع ثمن من دخله ، ومن عصى لم يؤمن من دخله .
لماذا ما حدث في الكهبة شيء إلاك أن تقول إن ذلك يناقض القضية ؛ لأنك لا تعتبرها قضية كورية ، ولكنها قضية بشرية .

[illegible]

نقول : إن هذه ليست قضية كورية ، وإنما ليس معناها أن لا بد أن لا يتزوج الطبيب إلا الطبيب ، وأبشيت لا يتزوج إلا حبيبة . فهي قضية شرعية ، يعني احذروا - أو زوروا - الطبيب للطبيبات زوروا الحبيبين الطبيعات ، ايضاً في الأسرة الشكائو فلا يوجد في الأسرة أحد يرفع يده على الآخر.

إذن .. فعليه الطيبين للطيّات والطيبين للخبيثات فعليه ليست كوبة بمعنى أنك لا ترى إلا خيراً مع طيبة ولا خبيثاً إلا مع شبيثة . بل هي كما قلنا فسيئة شرعية ، إن أحسن استقبال منوع الله ، وأطمان الله تعالى فيما أسر ، فإذا ما جاء اليها الطبيب فزوجه الطيبة ، أما الخبيث فلا تزوجه الطيبة أبداً .

ولا بد أن يكون الحجر في طائفة اثنين ، يحصله مو وإسماعيل .
فلما لاحظنا الحجر ، وجدنا أن به قمين ، الثامن تأمل : إنه لا كان يقوم على الحجر
فمكان القديين عظم عليه ومما كلام يقال ليس له دليل !!
إنما عندما يبحث العقل هذه المسألة يجد أن إسماعيل يساعد أباه ، وأبوه حمل الحجر
وروضه هنا ليعلم الكعبة على قدر قيمة الحجر والأقرب إلى العقل أن إبراهيم أحاط
لنفسه في أنه عمل لخدمة مكاناً . لكل قدم مكان ، حتى إذا أخذ الحجر ووقف عليه ،
فيمكن قدمه من المكان الذي أخذه لهما ، فلا يميل الحجر .

بُذُنِ اِحْمالِ کَمِ اِحْمالِ ؟

احتمال أولاً في أن غريبي في علو البيت فدرجة الحجر، وإسجال نفسه حتى لا يتدخل حركته بأن عمل لتدعيم ملحق المكائن .

فهذه آيات تدلنا على أن كل تكليف من الله للحلق يجب أن يورد بكلامه ورسامه ؛ لأن كل إنسان لو أدى ما تكلف به بكلامه ورسامه أنشأ نعمة في الوجود ، هذه النعمة : كل ما يرى الإنسان شي جيد متيقن يقول : الله ، الله ، ويرى هذه فيقول : الله ، الله ، ويرى هذه فيقول : الله .

قَالَتِي لَا يَفِضْ عَلَيَّ بِكَوْنُ قَدْ حَرَّ الرَّجُودُ مِنْ تَلْقِيهِ فُضْرِي عَلَى أَنْ يَكُنْ جَمَالُ تَوَاهُ
عِيَاكَ لَا يَفِضْ عَلَيْهِ إِلَّا بِكَلِمَةٍ : « اللَّهُ ، فَكَانَ اللَّهُ مِنْ مَصْدَرِ الْجَمَالِ ، وَهُوَ مُقْتَمِ
الْجَمَالِ ، وَهُوَ نَعْلَمُ الْجَمَالِ .

تلك مسأله ظهرت في بناء الكعبه جس فقط لظهر في بناء الكعبه ، بل لتكون أسره ، تلك أسره لكل واحد ، يكلفه الله تكليفاً أن يشار أن يودي التكليف لا يقدر الاستعاضه الدائيه فقط . ولكن يقدر الاستعاضه واليه لزيادة من جس التكليف الذي أمر الله تعالى به .
 وقوله تعالى : ﴿ وَنَمَّكَ كَذَلِكَ بَيْنَهُمَا وَآلَ عِمْرَانَ ۚ لِلَّذِي لَا تُغْنِيهَا أَيْضاً دَاعِلَةٌ ﴾
 في الآيات التي جاءت في مقام إبراهيم ٢ وحنا قضيه شرعيه :

الذي يحدث فيه ليس عند بعض المفكرين - أو بعض المشككين ، أو بعض الذين يحدون في حق الله - يقولون : من دخله كان آمناً ؛ وقد دخله أناس فلم يجدوا

إذن .. قول السيدة هاجر عليها السلام : « إذن لن يضيئنا الله ، فسيه إتيانه عليه صلوات فيها ، فلو أنها وجدت الماء عند الصفا أو رجحت الماء في إيمانها من البروة ، لا اكتسبت القضية . »

لها نحن نكرر هذا المشهد استمعوا بما يجب أن يكون عليه المؤمن إيماناً بالله الذي خلق الأسباب ، فإن استعدت الأسباب ولم يمشأ الله ، فلا تلبس لأن السبب سبحانه موجود أسبقه فهو وحده القادر على أن يعطي بدون أسباب .

ولذلك فإن الحق سبحانه وقادر على أن يعطي بدون أسباب .
هو الذي استند كل الأسباب ، وليس له إلا السبب سبحانه ، ففتحنا إليه ويقول : يارب الأسباب التي أعطيتها لي وصلت بها كلها ولم تأت ، فأنت سبحانه القادر على أن تعطيني بلا سبب .

وهذا هو الرصيد الذي يؤول إليه المؤمن حينما تنور عليه الأسباب . وهذا هو الذي يجعل المؤمن يعبر ، لأنه أرى إلى ركن شديد .

ولذلك الكافر عندما تخفى به الأسباب لا يجد بدا إلا أن يتحضر ، لماذا يتحضر مع أن الحياة عالية جداً مع أن الكافر ليس له إلا الحياة الدنيا لأن ليس مؤمناً بالآخرة ولا بالسبب ! فما الذي يكون عليه أن يترك الحياة وليس له غيرها ؟

إذن .. لابد أن تكون هناك أشياء فوق أسبابه . وهذا فرق المؤمن من الكافر ، الكافر حين تخفى به أسبابه يأبى ، لكن المؤمن لا يأبى من روح الله ، بل يقول : الأسباب لم تأت ولكن السبب سبحانه موجود .

إذن .. ملحقية هذا السبب ، كل واحد يذنب ليستكمل أركان دينه بالركن الأخير الذي هو الملح لابد أن يعود بهذه القضية ، وهو يؤيدها إحياء لسنك السيدة هاجر أم إسماعيل عليهما السلام ، وليس فقط إحياء لسنك أم إسماعيل ، بل ترتب القضية الأسباب والمسببات حتى يستقل المؤمن كل أحداث الحياة بقوة ، ولا يأبى ويقول : الأسباب صحيح لم تأت لي بما أطلبه ولرجوه ، لكن رب الأسباب وحالها موجود .

بالبراة واتباع الرضيع وزركيم في مكان ليس به ماء ، وهذا هو القوم الأول : البروة فقط هو الذي عندهم ، وتغل إليها كتب التاريخ أنها قالت له : آله تترك هذا النزل ١٩ لأنها ليست مستورة أن إبراهيم يركبها هي وزليدها في هذا المكان ، وتسلم أن إبراهيم لن يمس من موى ، ولا يصدر إلا عن حكم من آله ، فقالت له : آله الذي أتراك هذا النزل أم أنت الذي أتربنا به ؟ فقال لها : آله الذي أتربني ، فردت نفسها إلى قضية إيمانية ، فقالت : ما دام آله الذي قال قلن يسلمنا ولن يضيئنا ١٧ .

فهذه هي القضية الإيمانية الأولى التي يجب أن يترتب الحاج فيها من هذا المكان وهي في ذاته : ما دام استعدت أسبابك ، فآله للسبب هو التصرف . ما دام آله هو الذي أتربني في هذا المكان ، فلي يضيئني .

بالفح عندما يعطى رضيعها وزيد أن سقيه ، فماذا تصنع ؟ لابد وأن علفت حولها بحثاً عن عين ماء ، أو عليها ترى شجرة ، أو ترى أثاثاً معهم ماء ، فكان لابد أن تخرج من الوادي إلى بروة عالية ليكتشف لها المكان .

فذهبت على بروة الصفا فطلعت فلم تجد لا شجرة ولا رأيت أحداً ، ولا رأيت طيراً طاراً لتهدي بطريقه إلى الماء ، ثم رجعت فذهبت إلى البروة الأخرى ، بروة البروة فلم تجد شيئاً ، ثم قالت : أرجع مرة أخرى لعل أجد ركناً سائراً ، بين الصفا والبروة لطلب الماء ، فلم تجد شيئاً .

إذن .. هي استعدت كل أسبابها ، امرأة تخفى هذه الأشرطة السبعة ، وتصعد بروة الصفا وبروة البروة ، هذا غاية ما يمكن أن يكون لها من قوة ، فتكون قد عملت كل جهدها وطاقوها .

وبعد ذلك ذهبت إلى وليدها ولم تأت له بشيء ، فولدها التي تريد هي إحصار الماء له ، ضرب الأرض وجعله فخرج الماء ١١

إذا كنت يا صاحبة الأسباب سميت وذهبت رجحت وصعدت الجبال ، ولم تحصل على شيء ، والولد الذي ليس له حول ولا قوة يحرك رجله كما يلعب الرضيع لنتبع الماء من تحت قدميه ١١

الوقوف بعرفة

إذا ما تجارزنا ذلك ونعرضا للركن الثاني من الحجة، وهو الوقوف بعرفة، لنجد الحق سبحانه وتعالى يريد أن يعرف الناس جميعا أقدارهم مع بعض، كل فوج من الأفواج حتى من البلد الواحد، صحيح نحن مسافرون في فوج واحد، ولا بد من إعرابنا، وأقدارنا انتهت، ووزننا انتهت، وجنتنا انتهت، وكلنا على صورة واحدة، إنما بعد أن تودى ونطوف، نتخلى ملابسنا، وكل واحد يعود إلى حقيقته وإلى بركته.

إذن .. فبعد أن كنا متجهين إيماناً في الاعتلاء، ثم إن هذا يمكن في فندق خمس نجوم، وهذا في فندق أربع نجوم، وهذا في فندق ثلاث نجوم، وهذا بلاسي القبيص الذي صفته كذا وكذا وهذا كذا وكذا. أيضا إبداعات أقدارنا مرة أخرى تظهر. فكان لابد من مشهد عام، هذا للشهد العام الكل يرى نفسه فيه، كل الناس، سواء من البلد الواحد أو من كل البلاد، فأنسى كل الأفواج لا بد من لباس واحد، وعلى صورة واحدة، متجهين إلى عرفة.

وهذا اسمه: مشهدية الاستطراق العام. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« الحج عرفة » لماذا ؟

لأن الاستطراق في البداية قد يكون جزئيا، إنما هذا استطراق كلي، استطراق عالمي، بحيث لا ترى الكل مكانا نجدهم بشكل واحد.

على صعيد « عرفة » يشعرون بأنهم سواء في العبودية وسواء في كذا وكذا، ولسان حالهم يقول: عرفنا أقدارنا، ورجعنا إلى ساحة تركنا فيها كبرياء حياتنا وغرورنا بأنسابنا ومسيباتها، ورجعنا جميعا أمام بعضنا، لأنه قد يوجد واحد من الناس عظيم في بلد ويضع إلى الله بينه وبين ربه لا أحد يراه، وآخر يضع إلى الله أمام الناس كلها، هنا في الحج ترى العظيم بجوار الذي ليس بصاحب جنة، الاثنان يهكجان، والاثنان يوقضان أيديهما إلى الله تعالى متلهم مثل كل الحجيج طائفة المئونة والرحمة والرضوان من الله سبحانه تعالى.

وأيضا فالحق سبحانه وتعالى يريد أن لا يكنا إلى تراكب، فمن الناس من يقول لماذا لم الله هو الذي يغفل كل شيء فلم لعمل منا ؟ نقول: لا، لا تترك يد الله معدودة لك بالأسباب وتطلب منه مبادرة، عليك قبل ذلك أن تأخذ بالأسباب، فإن استغفرت بالأسباب فادع إلى المسبب، أما أن تقول يا رب وأنت لا تأخذ بالأسباب فهذا مخالف لسنة الله في قضاء حوائج الناس؛ ولذلك المراكز هم الذين يصنعون ذلك.

إذن .. قضية الإيمان في ذاتها أن الإنسان في هذا الوجود بين أمرين: بين أسباب لابد أن يأخذ بها، وبين مسبب يجب أن لا يأخذ به أبدا، فالجوارح تشمل ولكن القلوب تتوكل.

○○○

حاج لا يتقيد بهذا التقيّد ، فإذا ما مر من منطقة الميقات الذي يفصل بينه وبين المنطقة الحرة الاختيارية ليذهب إلى حدود الحرم وجد منطقة أخرى تحكمه وتحكم غيره حتى ممن لم يكن حاجاً ، وتلك هي منطقة الحرم ، فإذا ما تجاوز منطقة الحرم ذهب إلى الزكوة ، وهو البيت ، وهي الكعبة ، ثم يؤدي النسك المطلوب منه طوقاً وسعيًا ، وبعد ذلك ينتقل إلى منطقة أخرى خارج نطاق التكليف العام للناس جميعاً ، وهي منطقة الحل ثانية ، تكون رقة الحاج تحصر بين حلين :

الحل الأول : هو بيئة الإنسان قبل الميقات .

الحل الثاني : هو ما يخرج إليه الإنسان بعد أن يؤدي نسك الطواف والسعي ويخرج من مكة إلى عرفة .

الأمر العجيب أن منطقة الاختيار الأولى فيها تكثر التكليفات من الله تعالى له ومن معه جميعاً ، فإذا أراد أن يحج أدخل نفسه في تكليف آخر خاص به ، وإن كان لا يتعدى .

إذا رستنا منطقة الناسك كلها وصنعنا دوائر ، وجدنا الدائرة الأوسع هي منطقة الاختيار اسم للناس جميعاً ، ثم حدد الشارع دائرة بعد الأوسع تسمى : دائرة واسعة ، وهي منطقة الميقات .

ومن العجيب أن منطقة الميقات لم يحددها « رجل » حديسي ، بمعنى أنه يعطى سن الرجل في الكعبة ، ثم يمر بحيث يجعله ميقاتاً ، فجد المواقيت أقطاراً بالنسبة لمركز البيت أقطار مختلفة .

ومن العجيب أنك تجد قطر الميقات للحجاز الذي فيها البيت هي أطول أقطار أقطار المواقيت ، لأن الحرم لمن بداخل الحجاز في المدينة مثلاً من أول الحديبية ، فإذا قست من أول الحديبية إلى الحرم وجدتها أربع مائة وخمسون كيلو متراً ، نصف قطر الميقات من أبرار على وزن « من المارة » أربعة وخمسون كيلو متراً ، فإذا ما ذهبت فوجدت ميقاتاً آخر ، ووجدت ميقات رابع مثلاً : مائي كيلو وأربعة وتسعون كيلو متراً ، قرن المنازل للحج : أربعة وتسعون كيلو متراً ، يلملم : أربعة وخمسون كيلو متراً .

يشهد الكل ذل الكل ، وعلى هذا قلن بوقع أحد رأسه على أحد : لأنك أنت يامن أكثر جاهاً رأيت الأمل ذليلاً عاشعاً عاشعاً لله تعالى مثلك مثله ، قلوا أنك رئيس هنا عال ومتعطر وكذا وكذا ، ثم بعد ذلك ذهبت فوجدت معه ، ورأيت وهو يلمس إمرأته وهو يمسك إلى الله ويضرع وكذا وكذا فهذا يريدك تواضعاً وتسامحاً ، وتذلل الموقيت للأقل جاهاً حين يرى صاحب الجاه أو الرئيس له في عمله ذليلاً عاشعاً عاشعاً لله تعالى مثله ، فهذا يشغى نفسه بأنه رآه في موقف ذلة ، في موقف خضوع ، وهذا يشغى نفسه من تعاليه . فهو رآك أنك رأيت ، فذلك يجعله يستحي فيما بعد ، ولذلك يكون الحج المبرور للإنسان بعد الحج غيره قبل الحج ؛ لأن الذي شهد لي خضوعاً وشهد لي ذلة وشهد لي اكساراً وشهد لي أدباً ، ليس من السهل أن أتعالى عليه .

وعرفه كما تعلم في موقع الناسك ليست في داخل الحرم ، وإنما هي من خارج الحرم لذلك قد وقف الثقل فيها رقة طويلة ، أرقه الله تعالى عدد سر ليخل التلقى من العيب تلق غير حاضع لميكانيكية التشريع ، ولكنه حاضع لطلاقة اختيار المشرع ، فإذا كان الحج يمر بمراحل متعددة لأنه يبدأ أولاً من منطقة اختيار حر في رقة الإنسان ، اختيار حر يعيش فيه على منطق التكليف العام الذي يشمله ويشمل الناس المحيطين به جسيماً ، ثم هو يخرج بعد ذلك من منطقة الاختيار الحر الذي يشترك كل الناس فيه إيماناً بالله ورسوله وإقامة للصلاة وإيتاء للزكاة وصوم رمضان ، فيأتي الحج ليخرجه من منطقة الاختيار العامة إلى تقييد خاص له هو ، فينقله إلى شيء يسميه التشريع :

« الميقات » .

ثم تمر من الميقات بعد ذلك إلى حدود الحرم يضبط تصرفه ، لا كحاج وحده ، وإنما يضبط تصرفه مع تصرف الآخرين في الحرم ، فإذا ما نظرنا إلى المواقيت وجدنا أن الإنسان الذي وجد في منطقة الاختيار الأول ثم فكر في أن يحج أدخل نفسه في منطقة التكليف الخاص به ، فلا يتجاوز مكاناً من الأمكنة حددها الشارع إلا وهو محرم ، ومعنى محرم أنه نصب كل شيء : من غرور جاهه وغرور حياته وغرور اختياراته إلى شيء آخر ، ولكنه شيء يلزم هو كحاج ، وإنما الذي يوجد بعد الميقات وإن كان غير

إذن : فالمسألة ليست إلا مسألة وضع مكانك لمكانك مكثف فمكثف : أنا مسافر بالراحلة ، وراحلي جوعانة ، ويوجد حشيتي ، فيقول لك : إياك أن تتركها تأكل من هذا الحشيش ، وهنا يعارضون : أفأترك الراحلة تموت ؟ بعض العلماء قال : لا ، ما دامت الراحلة هي وسيلة الانتقال ولا بد منها ، فلا تأخذ أنت من الحشيش ، لكن أطلق الراحلة هي التي تأكل من الحشيش .

لكل من مادمت قد دخلت في متعة الاختيار الأول قد قدمت نفسك بعض التعبد ، ولكن كل الذين همك من المؤمنين مقيدون همك ، لكن المنطقة الثانية أنت التعبد وهمك ونحرك حر .

فبعدما جرى غيرونك مطلقاً في حمل وأنت مقيد فيه ، هذا هو الأدب . فالأرل كنت مقيداً أنت وهو . أما الآن فالت في منطقة ما بعد تجارزيرة المقاتل مفيد وحداك وهو حمر . وبعد ذلك تتقل أنت وهو - حتى من لا يهجع - إلى منطقة الحرم ، أيضاً منطقة الحرم غديدا على الخريطة ، أبس خاضعاً لبرجل هندسي ، لأنك مثلاً تجد من الشمال ستة كيلومتر من التتبع إلى الحرم ، ومقابلها من الجنوب اثنا عشر كيلومتراً ، ومن الشرق تجد المهرارة ستة كيلومترات ، ومن الغرب في الشمسي أو الحلبية تجد خمسة عشر كيلومتراً ، وفي الشمال الشرقي من نخلة تجد أربعة عشر كيلومتراً .

فأما إذا أيضًا ليست مضبوطة : ستة ، التي
عشر . أمر غير مضبوط هنا . لماذا ؟

لخلاصة المختار ، حتى لا تكون المسألة فيها رتبة ، لأن الرتبة يلزم بها الإنسان مرة واحدة ، بمعنى أنه لو كانت حدود الحرم - وقد قلنا إن منطقة البيئات المحتاج ، ومنطقة

إذن .. تحديد المراتب ليس صلياً هندسية معضوطة بحيث نصف القطر من الشرق على نصف القطر من الغرب ، أبداً بل مختلفة ؟ ومن العجيب أن أطولها البقاع من المدينة لزعماءة ويضمون كلو متر .

مع أن المغات لأهل اليمن أربعة وخمسين كيلو متر .
 هذه رقة يقف العمل فيها ليدلنا على أن المسائل ليست مسألة هندسية ميكانيكية ، وإنما
 هي علاقة قدرة في أن تعدد المغات هنا ، والمغات هنا ، ونحن نتأرجح
 للمسائل في اختلاف أعداد أو اختلاف مقاييس نعلم أن المقدار الأعلى علاقة الاختيار
 في أن يجعل المغات من هنا كلما ومن هنا كلما ، حتى يقف العقل عند أسرار ذلك .
 فالقرآن مثلاً حين يعرض لنا خزيمة جهنم يقول : عدتهم تسعة عشر ، وينتهي يقول :
 (إذ أن تنف عدد تسعة عشر هذه ، وتقول لماذا تسعة عشر ، ولماذا لا يكونان خمسة
 عشر ، قال تعالى : هو ذا بكك عِشْرَمُ إِلَهِكُمْ إِلَهِكُمْ كَرُمًا يُتَبَعُونَ أَلَيْسَ الْبِرُّ أَخْلَقَ
 وَرَفَعَهُ الْغِيَّةُ أَبْنَاءُ يَكْفُ وَالشَّرُّ : ٢١)

إذن .. فالمسألة الدائرة من مكلف إلى مكلف يجب أن لا تنظر فيه إلى مفاتيح
 يحكمها بوجوب حل هندي ، إنا هي إرادة الله عما وعدنا .

والذلك تجد في التكميديات الضعافات من المسير أن يقبلها العقل العادي يسر .
فعلا نحن نعرض ، بلأني من يقول نحن نعرضا حتى ننظف أنفسنا وكذا نقول
له : نعم ، وعندما ننقد الماء تأتي بواب تعبر به وجهها . فهي مسألة : لا نقول ننظف أو
لا ننظف ، هي مسألة إعداء نفسي . لأنك تقبل على الله ، بالطريقة التي يؤمك بها
الله إليه ؛ هنا ماء ، هنا تراب ، إياك أن تتكلم في هذه المسألة تبس لك بها شأن البية .
إذن .. فانا في هذه المسألة أنقل من المعاناة المرة إلى منطقة الاختيار المطلق ، إلى
منطقة الاختيار المتبدل في أنا ، فيقول لي : لا تبس الخيط ، لا تعطر ، لا تطلق ، لا
تضحك ، لا تطلق الشجر ، لا تصعد ، لا تجادل ، لا تفسق ، إياك كذا ، إياك كذا .
هل هذه الأوامر خاصة بين ذوات البقيات ؟ أم بين ذوات البقيات لمن كان حاجا ، ولكن
غير الحاج حر في هذه المسألة فواحد قيد نفسه بوى وإسماحر الاختيار ، بصناد كذا
، يشاء ، يقطع الشجر كما يحب ، كذا كذا كل شيء بميله وهو وحده .

لأنه هو فقط الذي عصي عندما أمر بالسجود لآدم ، ولأنه قد عصي ، فبذلك الناس كلها أن تعصى مثله .

فإذا ما كان الناس بمواثبه لهم قد عصوا ، ففرض تعصيتهم الله . فإله تعالى يخلقه اختاره بشر رحمت ورضوانه على أهل الموقف جميعا ، جزاء بما يبدوا به أنفسهم من اختيارات في الفعل ولا تفعل ولا ، ومن اختيارات خاصة بهم وعصيتهم ، ولذلك حين يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابه : إن الله تعالى على أهل الموقف - أي في عرفة - يعترف الله لأهل عرفة ، ويقر الله لأهل المشعر الحرام ، ويحسب الله من الجميع تبعات ما عملوا نحو الجهاد . لأنه لما قال : و السجح للبرور يجب ما قبله ، انخفض العلماء ، حل هذا السجح يعترف كل القريب ٩ فقال أحدهم : يعترف القريب للنعمة بالله ، أي : التي بينك وبين ربك ، ولكن القريب المتعلقة بينك وبين الجهاد لابد فيها من أنك تحصل ذنوبك ، تجعلهم يبرئوك . وقال بعض العلماء : ولكن الله إذا تعالى براسع رحمت بحيث رسول الله ، فما كان لك منها نفعه له ، وما كان لعيرك فحمله عني ، ١٠ فخير رسول الله في هذا الموقف أن الله غير أهل الموقف ، أي : أهل عرفة ، وغير أهل المشعر الحرام ، وبعد ذلك تحمل سبحانه التبعات التي لبعده الحاج عدد غيره ، فبعد ذلك يقول عمر رضي الله تعالى عنه :

« كثر خيرك يا ربي » .

هذه المساحة التي يلتقي الإنسان فيها غفران الله ، وتلتقي فيها الجميع غفران الله ، إنما جاء في ملحق السورانية في الموقف ، والسورانية في الموقف معناه أن هذا الموقف كما قلنا إنما تدخل مكة على رحلات مختلفة ، ومع هذا يدخل هذا النهار ، وفرض يدخل غدا ، والكل محرم ، وبعد ذلك يعودون إلى أحوالهم وإلى طبيعة قسمة في الحياة ، مسكنا وإقامة وحيشا وهنأما وبأسا ، ثم يخرجون ثانية باللباس العام ، واللباس العام الجامع لكل الأجناس ، وجامع كل الأسماء وجامع كل اللغات ، وجامع كل اللغات ، وجامع كل الأقدار ، وهو لباس الإحرام وجميعهم شعا قبرا - وأضمت أغير معنى : إنسان هندامه ١ ملخط ٤ ، هيته ١ ملخط ٤ ، منعب ، موهق ، حاله ليس عاليا ، داخل عما كان له من قدر ومقام ومكانة في المجتمع - كلهم مثل بعض ، فهم لا يصلون

السجح ١٠٣

الإحرام للمحتاج وغيره - فلا يعطى حتى من لا يسجح ولا يطلع بشرا ، ولا كذا وكذا ، كتبنا حرم ليكون تقبلا له وتقبلا لغيره من لم يكن في نسك ، فإذا كانت مسألة برجل كما تقول : سنة كيلو من هنا ، سنة كيلو من هنا ، وتعمل أنت دائرة . والله تبارك وتعالى لم يخلق حزينك في أن تعمل أنت هذه الدائرة ، بل هو سبحانه الذي حدد الشرق كمن يبعد ، وكذلك الجنوب والغرب والاتصال الشرق ، هذه هي علاقة القدرة في التبرك ، كل مرة ملينم .

فلا تكون من هذه الناحية سنة كيلو ، وإن جئت من هذه الناحية أيضا سنة كيلو ، لا بل إذا أتيت من هنا سنة كيلو ، وإن جئت من هنا تكون سنة عشر ، ومن هنا تكون أربعة عشر كيلو مترا وهكذا .

ومن العجيب أن الغزاة بسيطة : ما الفرق بين خمسة عشر وأربعة عشر ، وستة عشر ، تقول : المسألة ليست عادية ؛ لأنها ديرة على الأبرام ، والتبرك بزمه جزاء من الشرح الأعلى ، قالت تقبيل في منطقة الاختيار الأولى أنت وشرك ، وتقبيل في منطقة الاختيار الثانية أنت ديرة غيرك ، وتقبيل جميعا أنت وشرك في منطقة حدود الحرم ، وبعد ذلك انتقل إلى عرفة : المساحة الواسعة .

وكان الله تبارك وتعالى يشير لنا بذلك ، أو قد نفهم من هذا أن منطقة الاختيار الأول أسست أيضا إلى منطقة الاختيار الثاني ، ولكن الاختيار الأول كان به متطلبات منك ، والآخر الذي في عرفة الذي ليس في الحل منطقة اختيار ولكن باختيار المشرك ، ولنا نفس منطقة العلماء لك ، وهي منطقة حددت اختيارك في الحركة : بأهل كذا ، ولا تفعل كذا .

عندنا لك هذه لانا ودرياك على أنك تكلف نفسك تقبيل في المنطقة الأولى بعد الميقات ، وتقبيل نفسك في المنطقة الثانية في الحرم ، وبعد ذلك اخرج إلى المنطقة الواسعة لتقفلي ماذا ؟

أنت تقبيل هناك تقيد الاختيار ، وهذا علاقة اختيار المشرك في أن يعطيك من العفوة ومن الرضا حتى يقال في الآخر : إن الشيطان لم يوجد في وقت من الأوقات ، ولا في مكان الأمكنة أقيظ منه في هذا الموقف ، لأن حط الشيطان أن يكون ابن آدم عاصيا ،

السجح ١٠٢

كذلك النفوس الإنسانية ، حين تلقى في استطراف صودي ، وكلما عيد الله ولا أسعد نبيا أكبر من الثاني ، وكل الصلوات المبرورة عطايات تخدم بعضها ، ليس لي أنا إعطاء خاص حتى أمالي به ، بل إن كان لك ملكة أو موهبة من الموابح وغيرك ليس فيه هذه الموهبة ، فيجب أن تقدر أن موهبتك معدنية له ، وإن كان هو ليست له موابح فأنت تخون ؛ لأنه لو كانت له موابح في صناعته أو في عمله لعمدت إليك .

إذن .. فإذا كنت أنت صاحب موابح فأعرف أنها في خدمة الغير ، وغيرك إذا لم يكن له موابح ، فمن ثلثي لك خدمته ، فتكون أنت الخاسر .

إذن .. فمن خيرك ومصلحتك أن تكون كالناس جميعا ، وأن يكون الناس جميعا مثلك ، حينئذ يكون أولا تلقى فيضات الخير . ففي عدم عرفة الكل يكون واقفا ، ضاحيا ، الشمس دانية من الرؤوس ، الجو حار ، أو السماء قطر ، والناس كلها واقفة ، كلهم عاشقون أولا ، لا يوجد تعالى ، فيكون هذا الموقف أملا لتبرل الرحمة .

فمثلا ولله التل الأعلى : حب أنك رب أسرة ، وهذه الأسرة كلما دخلت عليها وجدتهم ضاحكين لا عين متكلمين بكلام الخير ، فإن كنت قد أصحرت معك شيئا في حينك تعطيها لهم وتسطم بها .

وإن دخلت فوجدتهم في حزن وهم وهذا ، هذا يشتم هذا ، ولأن تفلسك تنقض ولا تعطيتهم شيئا عما منك .

إذن .. فخطي الله بالغيرة على أهل الموقف في عرفة إنما نشأ من وجود هذا الاستطراف ، وعدم وجود طيفيك ، وعدم وجود استلاء .

فإن أردنا أن يدوم لنا هذا العطاء من السماء ، فلكي خارج عرفة علما كنا في عرفة . ولذا كان الحج يجب ما قبله ، يعني أنك قد أعطت مغفوة عن الماضي ، فأحضر جيلنا أن تستقبل زمك الآتي بالرضا ، لأنك لست ضامنا في جيلك أن تعود لتصح لنفسك مرة ثانية ، فالتزم هذه الفرصة ، ودع الحج يحسبك هذه المسحة .

ولذلك يكون الشيطان معظما ، وحتى تخطيه : أكثر من الطاعة والله يوفى والصدقة ، واجهد في البيانات والتذكر والدعاء ، وكان لسان حالك يقول : إني انصرت عليك وإن كنت قد تسلبت لي في غرة ضعف وألزت علي في شيء فإن ربي قد غفر لي ذلك ، فله الحمد وله الشكر .

في هذا الموقف ، بل كلهم متساوون في موقف المآلة والخضوع . والتعالى إذا يطلب من الناس على الناس ، رجل يريد أن يتعالى على الناس ، يعني : يكون أحسن منهم . وهذا في هذا الموقف لا يصبح ذلك ، فكان الخير العام لا يعم الناس جميعا إلا إذا استوى الناس في الخضوع واستوى الناس في الذلة ، ولا يتأى واحد على واحد أقل منه في موقف الخضوع والمآلة . وعندما تنقض هذا العبار ، غير الاستلاء وطيبانه عن أنفسهم في هذا الموقف يتعالى الخلق سبحانه وتعالى بالغيرة ؛ لأن الذي يحمل المغفوة يتنازعتها حجاب والرحمات يتنازعتها حجب اللذو الذي يحدث بين الناس ، يكون مجتمعا واحدا ويحد أن كل واحد يرى نفسه فيه ، كل واحد واضح فيراه أمام عينيه ، هذا كلما رهنا كلما .

لا بد أن نلاحظ أن كلما عيد لأنه نادى الصلوات التي توجد فيها ليست من ذواتنا بل هي موهوبة من ربنا ، فيجب أن لا ندخلها في حساب الأدارنا مع بعض ، ألا وأنت على بعض ، نحن كلما عيد له ، ولذا حصل هذا الاستطراف المبرور ، والتفوس كلها أصبح فيها هذا الاستطراف ، ولا يوجد تعالى من أحد على أحد . يقول الخليل سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : « من أهل جميع يظفون مغفرتي وبرحتي » .

لكن إذا وجد لد وجدال ومرا ، فيترك الناس للدهم وشهورتهم . ألم يشرح رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته يوما من رمضان ليخبرهم برمان ليلة القدر إلا أنه وجد جدلا وشهوة بين رجلين ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إني خرجت لأخبركم بهامة القدر وأنه ثلاثي ثلاث ، وثلاث فرقت ، وعسى أن يكون خيرا لكم » الصموا في السج والتسبح والطمس »^(١) .

إذن .. فالخلاص : الجلال والمهومة والراء ، كل هذا يقع هبات الخير عن الجميع . الجميع الذي يريد أن يستقبل فيروحات الله لا بد أن يكون جسما على متعوى الصماء وما ، وبأمل مثلا الأجرة : أي جهاز يوضح ، لا يؤدي مهمته إلا إذا كانت كل الأجرة مستخدمة مع بعضها ، أما إذا كان جهاز مختلف لجهاز آخر فلا يؤدي المهمة .

(١) رواه البخاري (٢١٩٢) والبيهقي في الكبرى (٢٣٢١) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .

دعاء يوم عرفة

ليبك اللهم ليبيك .. ليبيك لا شريك لك ليبيك
إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك

شمل هذا اليوم .. ورشيد هذه الساعة برفاد هذا الركن .. ليبيك اللهم ليبيك ..
ومن أولى بالثبته منك يا رب العالمين وقد خلقت الخلق بقدرتك .. وأمددتهم
بعموديتك وأنعمت عليهم ببريكاتك فلا يقال ليبيك إلا لك ، نتاجي الأركان وأنت تدعو ،
فأنت أولى بملكك ، وتنفى الأهل وأنت تدعو ، فلا يكون ليبيك إلا لك ، ويدعو الملك
والولد إلى أن يظل الإنسان حبيسهم .. ولكن لا يقال ليبيك إلا لك .
سبحانك ولا تعال إلا لك .

سبحانك يا رب وما أصدق لهجة فبادك جميعا حين يقولون لك ليبيك اللهم ليبيك .
ولمّا لا تقول : ليبيك لك يا رب ، وأنت لا شريك لك ؟ ولمّا لا تقول : ليبيك لك
يا رب والحمد كله لك ؟ الحمد بكل صورة .. الحمد بكل ألوانه حتى التاء على
الأسباب .. حتى الشكر للوسائط والوسائل مرد الحمد فيها جميعا إليك يا رب .
يا رب .. فالوسائط .. والوسائل ، والأسباب من خلائقك فإن أجزبت عليها ما أنت
بالخير فانت الجزى يا رب ، فلك الحمد أولاً ولك الحمد آخراً .

سبحانك يا رب .. من لم يحمذك ذك الذي خلقت ، ورزقت ، وأمددت بالهم من
لم يحمذك لكن ذلك ، فليحمذك لأن لك الملك لا إله إلا أنت .
سبحانك ولا تعال إلا لك ..

ليبيك اللهم ليبيك .. ليبيك لا شريك لك ليبيك ..
إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

يا رب .. نسألك كل شيء .. بقدرتك على كل شيء .. اغفر لنا ولغيرنا جميعاً كل
شيء .. ولا تسألك عن شيء .

إليك يا رب ناديت عبيدك لربادة بيتك والوقوف بساحة رحمتك عزفت إلا وأنت
تريد بهم الخير وتريد لهم الرحمة ، وكل دافع نرفه حين يدعو مدعوه عبيد لهم من

الخطاوة ومن التكرار ومن النصف ما يليق بساحته بما يناسب كرمه وما تتسع له
إمكاناته . وأنت يا رب لو سألك كل هؤلاء في ساحة رحمتك .. لو سألك كل المؤمنين
بك في أرضك كلها .. لو سألك حوائجهم فأعطيتهم لهم ما تقص ذلك عما عندك
يا رب إلا كما يقتض الخيط إذا غمس في البحر ، وذلك لأنك يا رب الجواد ، وأنت
الواحد وأنت الماحد ، عطاؤك كلام .. وعطايت كلام ، إنما أمرك للشيء إذا أودعه أن
تقول له : لا شيء .

تجلباتك يا رب على خلائقك لتنظر هذه العفارة الحميمة والعمودية الخائصة ونعمة المالة
لك ، ونعمة النبوة لك لأنها عبودية تفر العبد .

فالمعبودية من الخلق عبودية تأخذ خير السيد للسيد وعبوديتك يا رب
تعلينا خيرك يا عظيم يا كريم .

يا رب .. يا رب .. نسألك لأنك الملك ، وأنت على كل شيء قدير ،
وما تشاء من أمر يكون .

يا رحمة الله .. يا روضان الله .. يا تجليات الله .. هؤلاء خلق الله فأعطيتهم
بالإشراق وتزلي عليهم بالعطاء ، وأرحمتهم بالخروج مغفراً لهم ، مستجورين سبحانه
دعائهم لهم ولأولادهم ولأولادهم وللرقيق ولأحبابهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات .

ليبيك اللهم ليبيك .. ليبيك لا شريك لك ليبيك
إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

يا ربى لست إنهما استحدثته .. ولا ربا ابتدعته .. إلا كان لنا خليك من إله قلنا
إليه ونشرك ، ولا أعانك أحد على خلقنا فنشركه معك .

سبحانك .. سبحانك .. سبحانك
لا إله إلا أنت ، لا إله إلا أنت .. لا إله إلا أنت .

حط التلبية من التوحيد أن تشهد بك واحدا لا شريك له . وحط جميع أركان
الإسلام من الحج أن الصلاة لها منه ذلك الحظ يخرجك من بيتك في كل صلاة فقلها هو
البيت .. رأياه .. رؤيا العين وطننا جميع جهاته واسلمنا حجره الأسود ليشهد لنا يوم

بارب .. بارب .. بارب .. تسلك بأتك الملك وأتك على كل شيء فقير وما تشاء
من أمر يكون .

ليتك اللهم ليك .. ليك لا شريك لك ليك .
إنا الحمد والمنة لك والملك .. لا شريك لك .

بارب .. بارب .. بارب .. نحن جارك وأنت ربنا ومن الجحش في أطراف الناس أن
يكون الإنسان مدنيا أمام أحدكم يأتيه بعد ذلك في سحت ليلته يره ورساله ورسوله ،
ولكنها من عبيك بارب محبته فقلت تحب القويته ، وأنت تحب الأمانة ، وأنت تحب
المستغنيين .

سبحانك بارب .. سبحانك بارب .
بارب إنها خرافة فقلت لها رحمتك ورحمتك يوم أرحمة أن تأكل نفسه وأن يورث
عبيك بالغيرة والرحمة .

و نحن في هذه الساعة الطبية الماركة ندعوك بارب كما أمرنا .
فلندعوك بارب يا دعاك به آدم عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به نوح
عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به نوح عليه السلام ، ولدعوك بارب يا
دعاك به هود عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به صالح عليه السلام ،
ولدعوك بارب يا دعاك به إسماعيل عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به
عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به إسماعيل عليه السلام ، ولدعوك بارب يا
دعاك به إسحاق عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به يعقوب عليه السلام ،
ولدعوك بارب يا دعاك به يوسف عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به موسى
عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به هارون عليه السلام ، ولدعوك بارب يا
دعاك به داود عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به سليمان عليه السلام ،
ولدعوك بارب يا دعاك به أيوب عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به يونس
عليه السلام ، ولدعوك بارب يا دعاك به إلياس عليه السلام ، ولدعوك بارب يا

لقلبك . وأما خط الوكاة فإن فيها البذر وفيها السجدة وفيها الأرحية وفيها الشج ليقيم
الناس ويقيم القراء والساكنين ، أما خط الصوم من الملح ، وأنت بارب جعلت على
الخير محظورات مباحة مع غير الخمر ، ولكنه ساعة يحرم لحم عليه ، وهذا لون من
الإسكان عما أمل الله ، فكان ركن الملح بارب ركن جمعت فيه الأركان مبرور إليها
ومعلة فيه . لهذا بارب كان جزاؤه فيه أن يخرج الحاج من ذنوبه كيدم ولدته أمه .

ليتك اللهم ليك . ليك لا شريك لك ليك .
إنا الحمد والمنة لك والملك .. لا شريك لك .
اللهم فإنك قد أمرنا أن نخرج بجانك فاعطنا وقلنا ليك .. وأمرنا أن نقف في ساحة
رحمتك قلنا ليك .. فكما أننا دعوت بارب القل ضارعتنا ، وأنت ولاننا ، ولاننا
وإرضي اللهم عنا ، وما مضى من ذنوبنا اغفرو .. وما شغل من حياة فاقتر عنا فاقترها .
اللهم يا مسالك الخير من حيث تعلم أنه الخير بارب .. بارب .. بارب .. بقدرتك
على كل شيء اغفر لنا كل شيء ولا تسألنا عن شيء .

ليتك اللهم ليك - ليك لا شريك لك ليك
إنا الحمد والمنة لك والملك .. لا شريك لك .
سبحانك بارب ولا تقال إلا لك ..

حدد واحتجاج كل قلب فيه راحة ، وكل قلب فيه بؤمل ، جارك وهم والقرن
يكبرك ، جارك وهم والقرن بعثوك ، جارك ويحيون أن يرحموا إلى أمهم على خير
ما يورث مسافر لله نجية من الله بر بول من الله .

بارب .. بارب .. بارب .. تسلك بأتك الملك وأتك على كل شيء فقير وما تشاء
من أمر يكون .
اللهم ، أيا تسلك أن تعطينا الخير تعلم أنه الخير لنا في ديننا وفي دنيانا وفي أهلنا .
اللهم إنا نسألك أن تبرزنا جميعا جيك رحب من يتعسا حبه عندك .
اللهم ما أغفبتنا ما نجبه لأجله فو لنا فيما نجب .. وما زويت عنا ما نجبه لأجله
ثوبنا لنا فيما نجب .

وبت جعلها لك
حورسنا إلا في
حسنا .
به فقير وما تشاء

ربنا تخرج إليه ..

به كعب بعث

أ إلى الإسلام .
باج في صفات

كما دعوناك لن
الاستانة على

على ديت ، وأن
رسول الله فعلى

المشعر الجرام

يقول الحق سبحانه وتعالى : **لَوْ كُنَّا آتِفَعْسُمُ بَنِي عَرْكَسَ كَانُوا كَعَارًا اللَّهُ**
بِشَدِّ الْبَشَعِ الْكُكَارِ كَانُوا كَعَارًا كُنَّا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا
 الله تعالى هنا هو الشكر على ما المنق به ولده بالبرحة والبرحة والبرحة .
 ثم يقول الحق سبحانه وتعالى : **لَوْ كَانُوا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا**
كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا
 يجمعون ليتفادوا بالبرحة والبرحة والبرحة والبرحة والبرحة والبرحة والبرحة والبرحة
 وجوده المباشر ، وسبب الوجود المباشر هو الأب ، فكانوا يذكرون آباءهم بما تلقوا من
 محمد خاتمة لقوسهم أو محمد عالم لا يحيط بهم على حسب الاستغاثات للفتايات في
 ذلك الجدل ، وذلك بعد الانشاء وتعدد الانشاء بغير تعدد الأرواء ، وتعدد الأرواء
 بغير الفصل والفاصل .

فكرة الخلافة ، تعني أن الإنسان ليس أصلياً في الكون ، وأنه كما استمد وجوده من
 الحق سبحانه فإنه يستمد بقاء هذا الوجود من الحق سبحانه وتعالى .

فالحق سبحانه وتعالى له نعمة الإيجاد من عدم وله نعمة الإمداد من عدم ، ولذا كتب
 تذكرون آباءكم : **لَوْ كَانُوا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا كَعَارًا**
 على الصديق يجب أن يكون من غير سبب ، فإن كتبتم قد ذكرتم آباءكم لأن إيجادكم
 هم سبب ، فيجب أن تفعلوا الأمر إلى من خلق آباءكم ومن خلق آباء آباءكم ،
 صدوروا إلى أن تنتهي إلى أن الله تعالى هو الخالق الأعظم ، فكلما استدل بآباءكم في
 هذه السلسلة تلتقي ، بينما أرواء البشر كلما تعددت تناوبت وانعدمت ، وإذا إزاء قربت من
 الحق الأول تلاقت .

والفريب التطرف الهندسي لذلك أنك إذا رست دائرة مهما اتسعت هذا الرسم
 يحدد سمتها على قدر أصناف أقطارها ، وكلما كان نصف القطر أقل كانت الدائرة
 محيطها أقل ، وكلما اتسعت كبر محيطها . فإذا ما شغلنا خطوطاً من المركز إلى
 المحيط ، تكون كلما اتسعت عن المركز تناوبت الخطوط من بعضها ، وإذا لا حدث
 المحيط

اللهم إنا نسألك لهم عدلاً وتوفيقاً وسداداً .

بارب .. بارب .. نسألك بنك الملك ، وأنت على كل شيء قدير وما تشاء
 من أمر يكون .

ليتك اللهم لييك - لييك لا شريك لك لييك

إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك لييك

بارب .. بارب .. بارب .. نسألك لهم النفرة جميعاً مغفرة ورحمة ورضواناً .

اللهم من وصلته في هذه الساعة فلا تخربه الوصل إلى أن تجرت .

اللهم من حالت أسبابه وعواقبه أن يقف هذا الموقف فيسر له وسهل له أمره وذلك

أما به الدعيات ، لنعم كل عبيدك بهمة النرجة ، ولنعم كل عبيدك بهذا الجمال ،

ولنعم كل عبيدك بهذا الجلال .

لييك اللهم لييك .. لييك لا شريك لك لييك

إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك لييك

بارب .. بارب .. بارب .. نسألك أنت الملك ، وأنت على كل شيء قدير وما تشاء

من أمر يكون .

رسل اللهم على سيدنا ومولانا محمد رحمة الله للعالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين

وسلام على إبراهيم والمرسلين والحمد لله رب العالمين .

○○○

أما الصديق رضى الله تعالى عنه لم يأخذها بهذه الحسابات . فقال : إن كانت قال فقد ضلقت . فزب الصديق على قوله صلى الله عليه وسلم ، لا على قول القصة غفلاً . رضى لا يقال إنه يقلده تقليداً أعمى .. لأنه قال ، أو لأنه صاحبه ، أو لأنه حييه ، لا . وبعد ذلك يملأه التعليل الذى يغطي البصيرة فى العقيد ، فليس تقليداً أعمى ، بل تقليداً بصير .

قال : إذا كنت أسعده فى خير السماء بأية ، فلا أسعده فى أنه انقل ؟! إذن تقليداً ثقلاً أخرى .

سبحانا عصر عدما رأى الناس يتخلون الحجر ، يريد أن يضع قضية قد تنفذ فيها عقول الناس فى المستقبل ، من الجائز أن الأمة بعد ذلك سترقى ويصير عندها ثقافة ، ويصير عندها معايير ، ربما يأتون فيقولون : حجر 1 ما هذا الذى تعمل معه كذا وكذا ؟ يريدنا عصر رضى الله تعالى عنه أنى بالقضية التى يرد بها رفاً يطل فى الترخيع رفاً على كل مستكين فيها ، فيقول : إني أعلم أنك حجر لا تصير ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت النسي صلى الله عليه وسلم يقول ما لمثل (١) .

إذن .. بالتأسيس العقلية تلك أنت ؛ إنما فى الشرع فعلى العيت والراس .

بعد ذلك بأتى الإمام على رضى الله تعالى عنه فيقول له : إنه يصير وينفع ؛ فإنه يشهد أمام الله أنك قبلته (٢) .

إذن .. المسائل الإيجابية من الحق للخلق يجب أن تؤخذ أولاً ، يؤمن بها الإنسان ويصير عليها فى حياته عقيدة ومعبداً ، ثم من بعد سيجد أثر حكمتها فى نفسه . إذن .. فالحكم من الأعلى للأدنى تظهر حكمته بعد الفعل ، ولكن الحكم من المساوى يقول له : انظروا حالى من الآن ، وألا ما الذى جعل عنلك أنت أولى من عقلى وتأمرنى أن أقبل هذه ولا أقبل هذه .

نمطاً ، والله تعالى المثل الأعلى ، الصبي الصغير الذى يقول له والده : انضت إلى مدرستك ، اسبح من المدرس جيداً ، لا تأخضر ، وإياك أن تنص ، وإياك كذا ، وإياك كذا

(١) رواه البخارى [١٥٩٧] ومسلم [٤٨١٢٧] عن عمر رضى الله تعالى عنه .
(٢) رواه الحاكم فى المستدرک [١١٨٧] من حديث أبي سعيد رضى الله تعالى عنه .

فجسماً يخاطب الله خلقه ، لا يخاطبهم بالحكم أولاً ، وإنما يطلب من الناس أن يؤمنوا ، إذن .. أكمل الناس أولاً على الإيمان بالله تعالى ، فإن آمنا قال لهم : لم تأخذها الذين ، إنما تأخذ من حيث علمكم ؛ الفرة : ٢١٨١ ، كذا يعنى متى الأمر قدر الحكمة فيه على قدر صلاحه فى الحكمة ، وإياك أن تعددها بعقلك ؛ لأن حكمة الحكيم صفة من صفات الكمال فيه ، فإن قيدها بحكمة كذا وكذا ، تكون قد قيدت الكمال العقلى ، فتكدها على أنها فى هذه رزفا كمال لا تنهى .

ولذلك يقال : علة الأمر الإبانى إياك أن تقلبها قبل أن تفعل ، ولكن فعلها يعرف آثارها وانهم جيداً فرق ما بين خطاب الناس بالإيمان وخطاب المؤمنين بالأحكام . خطاب المؤمنين بالأحكام تسلم بأنك آمنت بالله حكيم لا يأتورك إلا بشيء يعود عليك أنت بالنفع ولا يعود عليه سبحانه وتعالى بشيء .

وتشريع الشرع لا توجد فيه القوة إلا إذا ضمنت أنه يجمع كل الجزئيات الموجودة والجزئيات المستجدة ؛ لأن الشرع من البشر إن شرع شيئاً فوفاً بشرع ما ليس من الشرع . حال براه : وقد تحدث أحوال بعد ذلك لم تكن فى بالله ، فاضطر الشرع حينئذ أن يقول : ها مُدخل هذه الجزئيات ، مُدخل يعنى أننا فائنا شيء زبداً أن نستدركه اليوم . إذن .. فلابد للشرع الذى تضمن أنك تفقد أزمراء أن تتق فى أنه القادر وحده على إسمارك رنية كل احتجاجاتك ، ووفق أنه العلم الخير بكل أحوالك لا يوجب عنه شيء من سريرتك كما هو علم بملائيتك ؛ ولذلك يقال : نحن نقاد له انقياداً أعمى ، يعنى : لا نفتح فى الأحكام ، تقول له : لا ، بل انقياد بصير ؛ لأننى أجد الحكم فى نطاق كمالات الحاكم به ؛ إذن فهنا ليس تقليداً أعمى ، بل تقليد بصير ، بدقة البصير . ولذلك سجدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جيداً كان يحدث بشيء لحدته به خصوم الإسلام ، كما قالوا له : صاحبك يدعى أنه ذهب إلى بيت القدس وخرج به إلى السماء ، فغافاً قال ؟ مل تاتش القضية فى ذاتها ، وهل هذه يقلبها العقل أو لا يقلبها ؟ هم قد تافخوسوا بالعقل ، قالوا : أمدى أنك أتيتها فى ليلة ونحن نضرب إياها أجدد الإبل مشوا ؟ أخبرونا بالحساب المادى : مشوار ومسافة وسرعة 11

معنى ذلك : أنك ترفض رُسومته وخرابته ، وإذا رفضت رُسومته وخرابته فأنتك ترفضه بفتح حصيات ، والسبع كان هو العدد التيهاني عند العرب ، على ما حوت به عادتهم .

فالخبر سبحانه ونعالي ببطيخا في هذه المسألة الفكري الأولى في أبي الأنبياء إبراهيم . وقد كان قبل إبراهيم أيضا أنبياء ، وكانوا يحجون ، ولكن لم يكن لهم من الإعلانات ما كان لإبراهيم ، وإبراهيم هو الذي ظهر في الصورة الإثانية في مسائل الملح .

فهو الوحيد الذي ابتلى في ذبيح ابنه ، ولو ابتلى بأن حوت ابنه ، فهذا جاف ، وهو قدر الله له وصره ، وإن كان مسجون لموت ابنه الوحيد . هذه واحدة .

أز لا يموت محكما ، بل يقتل ، يقتله عدو له . هذه الثانية . وهي أحد الإلزام من الأولى .

إذن .. يموت هذا الإلزام ، يقتله غيره الإلزام وفجعه : أن الموت في ذاته مصيبة ، وكما قتله قاتل فيها فجعة ومصيبة أحد .

لأن في هذه الحالة أكون قد تقدمته ، وضعت جرة المظلم على قتله ، ويكون قد اتضحى طرل حياتي .

أما إذا كنت أنت الذي سقطه ظنك أشد وأقوى من الأولى والثانية .

إذن .. فالأول : موت ، والثاني : قتل من الغير ، والثالث : أن تقتله أنت ، الرابعة : إنه ليس بوحى : بل برؤية شامية ، بأدنى مراتب التكليف ، والرؤية الشامية كان من الممكن أن تورط إلى حلم أو كذا أو كذا .

ولهذا قال الله تعالى : **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ فَهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا وَنَحْنُ لَا نَرْجِعُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** .

إذن .. فإن إبراهيم قدما إعلانات ، وبخصوصا إنه ابتلى في الولد لمذبحه : فقال له : **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ فَهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا وَنَحْنُ لَا نَرْجِعُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** .

فيها يأتي الشيطان يقول : ما الحكمة في أن تجعل الولد تعيش في أيام أنك ستلجحه فأنى عنده كراهيتك ، فألم لنفسه وبالم أنك أنت الذي ستلجحه ، وبمضه فترة طويلة في كراهيتك وكراهية الفعل وكذا وكذا .

فهذه الأوامر من أبيه لأنه يحبه ، ولأنه هو الذي يأتي له بالطعام ويأتي له بالشراب ، ولا يشك في شيء له ، ولا في أنه يريد نعمه ، يأخذ الأوامر ويعمل كما أمره أبوه ، وبعد ذلك في آخر السنة يشعر بملء الجراح ولذة التفوق ، فيكون قد شفى بالحكمة بعد أن فعل ، ولذا كان منا في أمتناك ولله المثل الأعلى ، فلا بد أن نأخذ الأحكام قبل حكمتها . فكذلك حين نقبل على الأحكام الصعبة ، التي هنا عنها مصيبة لأن الله حكم بها . وقد يقف فيها العمل وقيلها لأنها آتيا بالله ، ليكون جزاؤها المفقورة .

ولذا ما ذهبا لرحم ، يقول للشيطان أنت وسوست وأفريت بأشياء حتى تغير صفاء مثلك ، ولكن الله استبقينا بالرضى ، استبقنا بالمفخرة ، وما دمت أنت عاديتنا أولا في أيضا آدم عليه السلام ، ثم عاديتنا في نفوسنا بالموسمية ، فنحن نناديك الآن ، ورمز العلماء الجشي عدنا أننا نرحمت بهذه الحجة فلا تقول أنت إن هذه عملية عشية ، فإن الشيطان نفسه سيدخل بهذه العملية إلى نفسك مرة أخرى ، فيقول لك : **وَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ تَأْتِي بِبَعْضِ أَهْصَى وَرَجَحَتِي ، لَيْلِ الْحَجَرِ بِبَعْضِ الشَّيْطَانِ ؟** بل هذا حيث . فهو أيضا يريد في هذه العملية التي تقوم بها ثارا منه وانتقاما يريد أن يدخل فيها . فقلت عندما يوسوس لك بذلك تقول له : وهذه حصة أخرى دليل على أنك رفضت رُسومته حتى في هذه : لأنه يريد أن يوسوس لك في هذه العملية .

وقد روى عن بعض الممارفين أن الشيطان تصور له على أنه مصى بخدمته وظل بخدمته مدة طويلة ، ثم خرج لمصلاة الفجر وكانت السماء مظرة والأرض رجلة وملا المصى الذي هو الشيطان متعبا به بخدمته بحمل له القنوس ، والولد يقوم ويقف ويقوم ويقف في العطين والوصل ، فالتاس المائين رأوا هذا قالوا : هذا الرجل الكبير كيف يندأب هذا الولد الصغير ويخرجه معه في هذا الليل لطيف والوصل ، وهذا الولد لا يقدر ، وكذا وكذا . فيظهر لهم الرجل بكل بساطة يقول لهم : دعوه يشقى أمثاله الله !!

فكأن الله يذلف في نفسه أن الشيطان أنى يشاغبه ويعمل له هذا العمل !! إذن ... فالشيطان لا يأمن من أي جرئ يدخل فيها ، ولذلك اعلم أنه سوف يأتيك أيضا في جرئية الرضى بالمسحاة ويقف لك فيها . فتندما تقول له : والله لأرجعنك ثانية .

﴿ قُلْ إِنَّمَا رُفِعَ الذِّكْرُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَ أَعْمَالِهِمْ ﴿ ١٠٢ ﴾ قَدْ صَدَّقَ الرُّسُلُ إِنَّا كَافِرُونَ ﴿ ١٠٣ ﴾ يَجْرِي الْغَيْصُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ١٠٤ ﴾ [الاحزاب : ١٠١] وما علم صدق الرُّسُلِ فَمَنْ يَبْغِزِ الْمُحْسِنِينَ ، وَيَجْرِي الْمُحْسِنِينَ بِمَنْعِ الْقَضَاءِ ، وَرَفْعِ الْقَضَاءِ بِأَنَّكَ لَا تَقْضِي لَهُ بِقَدَارِ وَفْدِهِ ، وَلَيْسَ فَقَطْ فِدَاءُ ، بَلْ مَعَ الْقَدَاءِ بَشْرُكَ بِإِعْلَامِ نَحْوِ .

و كلما كانت المسألة لا يقابلها العقل أبداً فيكون التسليم دليلاً على أن القوم أقوى من الحكمة. الذين يتعمقون من الخلق عن أشياء حرمها الخالق، مثلاً قديماً، ثم يتعمقون فيها لا يضرهم لها من أساليب أو من وسائل صادرة بالافس البشرية. فهم جلاوا إلى ذلك لأن الله حرم لهم جلاوا إليها لأن المسائل الكونية ألوت ضرورها.

إِذْ قَالَ يَجْمَعُ مِنْ شَرِبِ الْخَمْرَ لَأَنَّهُ أَتَقَارُوا حَذَرَهُ فِي الْمَكِيدِ وَكَمَا وَكَمَا ، وَلِحَالِهِ تَوْضِيحُ لَهُ ذَلِكَ ، فَيُفْهَمُ لَمْ يَجْمَعْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، بَلِ اسْتَعْمَلَ لِلْخَمْرِ الَّتِي سَلَفَتْهُ أَوْ أَرَادَهُ مِنْ هَذِهِ الْعَمَلَةِ .

إذن ... فالتفرق بين تكليف المطلق وتكليف المطلق للحاكمين : أن تكليف المطلق للحاكمين لابد أن يظهر حكمته . أما تكليف المطلق سبحانه فتبين به ورضى به ثم بعد ذلك تأتي حكمته بتعليمه الأمر في ذلك سواء ، فالتامة أن الله تعالى قال : وما علينا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا .

تقول : لا ، إبراهيم حليم ، إبراهيم أولاد ، إبراهيم عتيب ، لا يفضل هذا من أجل هذا بل يفضل هذا حتى يستقبل إسماعيل هذا على أنه حكم من الله ويعرض به فإفاد ثواب الرضى على الحكم .

[illegible]

انظر إلى **هو** **قَالَ** **آلِ** **زَكَرِيَّا** **فَيُحْيِيهِ** **هُوَ** كان متعلق الأسلوب أن يقول : هـ لا حدثنا كذا لادباده ولكن قال : **هُوَ** **قَالَ** **آلِ** **زَكَرِيَّا** **فَيُحْيِيهِ** ، وتذكيره كان في مقعده التسليم في نفس الوقت ، لم ينتظر حتى يسلم ، بل في نفس الوقت ، فلم ينتظر الغداء ، ولم ينتظر الأمر برفع الكفين ، بل مع الغضبة .

فمثلاً والله الشئ الأعلى هات صمعة تعرض عى المهتمس الذى صنعها خمس مرات كل يوم . فيها يعصها عطب ٩ لا يعصها عغب .

كذلك أنت ذهبت إلى خالقك ووقت أمامه تسأله حاجتك ، وتستعين به ، وتطلب منه العفو والمغفرة ، والرشاد والصلاح . وهو سبحانه يستمع إليك ، مع أن يعلم قبل أن تسأل ماذا تسأل ، ولكنه يحب أن تسأله ، ويطلب منه ، فيجيبك إما حالاً وإما أن يدخر الإجابة لك . ولما كنت تعلم وتؤمن أن الله تعالى غيب فما عالجك به غيب ، وأما الطبيب فهو مشاهد لك ؛ يعنى : مادي ، فمد يدك له فهو مادي .

لكنك حين وقتت بين يدي خالقك شعرت براحة . ولذلك فإن من يألف الصلاة ، قبل الصلاة يقول لك : فيها صجل لنا بالدخول فى الصلاة : « أرحنا بها يا بلى » .

كان الفترة بين الصلوات حدثت فيها مناصب : مناصب بشرية ، تلقى تنسى . إذن .. ممكن إقبال على الله إقبال على تكاليفه ، فلا بد أن توجد مناصفة لممارسة هذه التكاليف .

كل ما يمكن أن يمارض هذه التكاليف نقول له : لا ، فالإله الذى أمر بها حكيم . كلها تجمعت فى المحج ، عصيات عقابية ، عقول الناس قد تقف فيها ، الطراف ، وتقبل الحجر ، الرجم ، وكذا وكذا .

فياك أن تقف فيها ، لأن المسألة مسألة انضباطية ، انضباطية بما لا تعلم عليها . ولطيفة فى الانضباط للأمر : تعويد النفس البشرية أن تضبط للأمر الأعلى سبحانه وتعالى إياك أن تقف أنه يريد أن يضبطك أنت وحدك ، فهو قد ضبط الملايين من آمن به مثلك ، وضبطهم لضابطك ، فكذلك يضبطك أنت لضابطهم .

(١) رواه أبو داود [٤١٨٥] عن سالم بن أبي الجعد رضى الله تعالى عنه ونقطة : « قال رجل : قال سمر زاهد من خرافة : انتهى صليت فشعرت فكأنهم عابروا عليه ذلك مثال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا لال أقم الصلاة أرحنا بها » .

والطبراني فى المعجم الكبير [٢١٥٧٧/٦] عن عبد الله بن محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرحنا بها يا لال » الصلاة . وقال الهيثمى فى المجمع [١٤٥١/١] : رواه أبو حمزة الثمالى وهو ضعيف والذى الحديث رواه أحمد [٣٧١/٥] مختصراً وليس به أبو حمزة .

جاء به لير كونه كان ولا بد أن يوجد إلا أنه غاب أولاً عن المشرع الأول ؛ لأنه ليس عنده علم استعمال الأحداث ، بل العلم بحد ل . وهذا دليل على نقص القدرة البشرية فى إدراك حقائق الأشياء .

إذن .. فحقيقة التعميل تشهد بجهل الذى شرع أولاً بالنصبة التى من أجلها شرع ثانياً أو عدل القانون ثانياً .

لكن الأمر من الأعلى : كل يوم ترداد بقباً ، وغداً أثر ذلك فى نفسك . ولذلك فى قانون الناس ترداد نقصاً فيما شرع ، وأما فى قانون الحق سبحانه ترداد حكمه فيما شرع .

فإذا ما ظهرت لك حكمة فى أمر من الأمور الغيبية التى كان يقف فيها العقل ، فإظهارها فيما بعد جعل غيرى الذى لم يكن مؤمناً سوى بقولها هو دليل على أنى أردت بقينا وتصدداً لكل شئ يقف عقل به إذا كان من المشرع .

ولذلك الإلمام على رضى الله تعالى عنه عندما تكلم على المسح على الخف ، قال : لو أن المسألة بالمعل لكان المسح على باطن القدم أولى من ظلمه .

إذن .. فالعملية ليست للظان ولا كذا ، بل هى إعداد النفس الإجمال على إله فريدك أن تجيل عليه بينة الإقبال .

فأنت إذا ما ذهبت ليرجم للشيطان ، ففى تصد عنه المداخل التى يدخل عليك فيها فمة عقيدة فى رحم الأكبر ، أو فرغ عقيدة فى رحم الأصغر وتعلمها سبع مرات ، كل ذلك أمر حسي ، هنا الأمر الحسى مناسب لأنك حسي ، فأنت مادي ، فلا بد أن تكون الأمور تجارية معاك .

فالإيمان مثلاً حينما يمرض يذهب إلى الطبيب ، والطبيب يأخذ منه أشياء مادية ويحللها ، يأخذ منه دماً أو فضلات أو غيره ويحلل ، وبعد ذلك يعطيه عقاقير مادية ويكونها التكوين للمادى ، لو باتى من الصيدلية بالدواء الخاص بهذا المرض ، كلها ماديات ، فإن أصاب تأخذ الدواء غيراً .

تكون .. كمن يقول لك : فلان وعدني بكلما وكذا . فنقول له : وصل هذا معقول !!
أعتقد أنه سيصل لك كلما وكذا !! هل هذا كلام عذيق ؟ ثم يقول لك : هذا فلان قد ولى ، يعني : نسي الشيء الذي كنت أنت غير متصور أنه عمله : هو كإبراهيم الأبي وقت في .

فهذه هي القصة لإبراهيم وولي فيها . فحزبه الله سبحانه وعطى الجواز الأوفى فيقول له : هو يا إبراهيم يا إبراهيم يا إبراهيم ! فقلت أصبحت إماما للناس لأنك انطيت بأعني أنواع الإيلاء والوفاء أحسن الأداة ، فندم الله جعله للناس إماما فلا بد أن أعماله تظهر فيما نحن ، وتكون بإجاء هذا الشك .

إذن .. نحن نقوم بهذا الشك من رحم الشيطان وكذا وكذا إجابة للذكرى إبراهيم وانصاره على الشيطان ، وتعلينا لنا نسي أن الشيطان إذا ما حاول أن يوسوس لنا أو يزيهنا يقول له : لا ؛ لأن إبراهيم علمنا أن نعمل كلما ، وإليك أكثر من الإيلاء ، ومع ذلك رؤ الشيطان هذا الرور .

فإذا نحن علمنا يكون لنا أسوة في الأكرمين من رزق الله ، ولا فلعلمنا نحن نسمي الآن ، فهناجر كانت نسمي للملأب الما ، أنت نسمي الآن لنحى هذه الذكرى ، وذكرى امرأة تركها زوجها ولیدها ريس لها من أسباب الحياة شيء في راد غير ذرى زرع حتى الماء الذي هو القوم الثاني من مقومات الحياة لم يكن عندهم ، ومع ذلك رضيت وقالت : الله تعالى لا يفتينا ، فلذلك أني أنت هذه الذكرى فيها ، وشكها نموذجها لك لتظل مسألة السمي في الأسباب مقدمة على أنك لا تعد . فقد علمت أن السماء لا تمطر دما ولا قنصة .

○○○

وكانه سبحانه يقول : أنا لم أكنف شططا ، فمراوى : من الخلق كئذ أن يكون جهارا متحصنا جهارا مستائدا ، ليس به تعاند ، فإذا كانتك الأمر بإياك أن تفهم أني أريد أن أتيقن حريتك أو حرية اختيارك ، لا ؛ وإنما أنا أريد أن أؤمن لك حرية الاختيار للأخريين في ألا يضروك ، وما دامت المسألة مسعود عليك ، فلا بد أن لا تنظر إلى ما أخذ منك ؛ ولكن انظر إلى ما أخذته أنت .

وقد صرنا مثلا قلنا : الغنى مثلا أحسن أن يكون عندما نطلب به الركة : و م ٢٠٠ / ٢٠٠ . يمكن نقى عليه ، ونشرح قسمه وكذا وكذا .

فنقول له : ادفعها لأنك أنت ابن أختار من الممكن أن تتخلف ، ومن الممكن أن تتغير ، فإذا كنت أنت شغلي وأنت قادر سمعيتك وأنت عاجز .

فلا بد أن نلاحظ ماذا يعطيك التكليف قبل أن نلاحظ ما يأخذ منك التكليف .

فعندما تفقد التكليفات تعال ، فاعلم أن هذه التفيدات لعداوتك أنت لأن لم يتك تعلمي ؛ لأن غيرك قد ، وما دام غيرك قد من حاجتك ، وأنت مفقيد من حاجته ، فتفيد الناس جميعا أقل من تفيدك لهم .

إذن .. فالعصدة في المحج بعدما تروح وزرحم ، فنقول : سبحانه الله ، إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام تروض لسالك شدة ، فكان ولا بد أن يتصل ، وإذا جازته الرؤيا بأنه يبيع ابنه على تركه الشيطان في قضية كيدته ؟ بالطبع لا .. إن الشيطان يفرح جدا ويقول : هذه مسألة مناسبة للدخل سببا له : ما أقسى هذا الأمر ، فأنت الذي تدع ابنك ؟ إذا كان ولا بد فقيرك يقطعه ، لا حاجة في أن تقطعه أنت ، كيف وهذا الابن لم يأخذ إلا بعد الكبر الشديد ؟

إذن .. فهذه المسألة ما كان الشيطان أن يتركها ؛ ولذلك كان إذا رده إبراهيم بهاروه ثانية ، وإن رده عارده أخرى ؛ وهكذا يظل الشيطان يفتح في البروسة ، لإبراهيم عليه السلام برحمته .

فحين نحن هذا الشك في إبراهيم ، وذلك أولاً لتكرمه ، وثانياً لتعلينا لنا نحن ، فنقول : المطاف انتهى بإبراهيم إلى خير ، لأننا ؟ ذلك لأن الله لما ابتلى إبراهيم بكلمات وأتم الكلمات ورثها هو كإبراهيم الأبي وقت في رهيم : ١٢٧ يعني قلنا له على أشياء له

= ذلك في كتاب الإجماع ١/ ٢٨٨ إ: قال : أما إذا كان صاحب الهدي أو الضحية قد أمر بنحر هديه أو ذبح أضحيته فلا خلاف بين الفقهاء في إجازة ذلك . كما لو وكل غيره بشراء هديه فاشتراه جاز بإجماع . وفي نحر نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم هديه قليل على جواز الإكراه ، لأن سلم لم يميل ذلك بشر إذنه . ولا يصح أنه كذلك صحت الإكراه وجازت في كل ما يتصرف فيه الإنسان أنه جائز أن يولي به غيره فيقتضيه فعله .

فالله : عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ملافا يفتي من الضحايا ؟ فأشار بيده وقال : وأربنا ، وكنه البراء يشير بيده ويقول : بذى أقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والمرجاء البير ضلعها ، والوراء البير عورها ، والمريضة البير مرضها ، والمجنأه التي لا تنقي .

قال أبو عمر يوسف بن عبد البر رحمة الله تعالى عليه : أما العورب الأرملة المذكورة في هذا الحديث لمجتمع عليها لا أعلم خلافا بين العلماء فيه ، ومعلوم أن ما كان في محتاجها داخل فيها ولا سيما إذا كانت ثلثة فيها أمين ، ألا تحرف أن الوراء إذا لم تحر ، فالصحية أسرى الأتخور ، وإذا لم تحر المرجاء القطرعة الرجل أو التي لا رجل لها فاقعدة أخرى ألا تحور ، وهذا كله واضح لا خلاف فيه ، ولحمد لله .

وقال أبو عمر : ومن العورب هي تضي في الضحايا إجماع : قطع الأذن أو أكرهه ، ولصحب في الأذن براعي عند جماعة العلماء في الضحايا ، واختلوا في السكاه : وهي التي خلقت بلا أذن . وأجمع العلماء على أن الضحية بالجماء - التي لا ترون لها - جئر .

وقد أجمعوا على أن أفضل الهديا الإبل ، واختلوا في الضحايا .

وقد أجمعوا على أنه ما استيسر من الهدي شاء .

والذي يفتحن به بإجماع من المسلمين : الأرواح الضالقة ، وهي : الضالان ، والماتر ، والأول ، والمتر . وقد اختلف الفقهاء في الأفضل من ذلك .

ذبح الهدي

بعض الناس يقول : إنما نرى هناك الهدي ملقى على الأرض بعد ذبحه ولا أحد يأكله ، أقول لكل من يقول ذلك : فب واستقبل أي ذبيحة يأتي بها حاج ، وانظر إليها بمواضعات الله ؛ أي : لا يكون فيها عيب ، ومنها كذا وكذا ، ثم انظر إليها بعد ذبحها فإن بقيت تلك أن تقول ما تشاء ؛ إنما الذي يبقى هي اللذائع التي تقدم ولست مستوفية لشروط الله ، ولذلك يصد الله عنها غير الحائضين ، ويصد الله عنها غير المحتاجين ، وتظل سلقاة ولا أحد يلتفت إليها ؛ لأنها مردودة من الله وإنما المستوفاة للشروط يذبح الناس تخلفا فيها ، ولا يبقى منها شيء البية .

إذن ... فالملق سبحانه وتعالى يريد من العبد أن يقول ، ولا مانع أن يأخذ تقع نفسه لأن يذبح نفسه سيقدم أيضا منعمة للآخرين ، ولذلك فالذين يقومون بخدمة المحتجج يسر الله لهم أكثر مما يسر لغيرهم .

فهؤلاء يباح لهم أن يعجزوا قبل نصف الليل ، ويذبحوا لرمى جرة العقبة ، وأنخلوا نفس حكم النساء والضعفاء والصبيان والسقاة ، والراعاة ، ووقلاء لهم ترخيص ؛ لأنهم جاءوا لتأدية السك ، وبؤدوا خدمة لأصحاب السك ، فلا بد أن يكون لهم ترخيص^(١) .

(١) عدى الشيخ وملة القارن واجب عند القدرة المالية بوقت الوجوب فمن لم يجد قصاص ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع ، وذلك قول الله تعالى : **فَرِحْ تَطِيلًا لَنُفِخَ تَاسِرًا يَوْمَ كُنْتُمْ تُخْرِجُونَ** في استيسر من التذيق ولا تجزئوا به بذكر حتى يبلغ اللانئ عملا قد كان يكم ترميها أو يوه أنى من تأنيبه فبذبة من سكر أو مكافأة أو كذا فولا أيتيم من نكح ألمسوة بل لنكح لا استيسر من التذيق من ثم يجد قبيحهم تنقذ أكرم في النكح يستوي بها يستلم بكنة عويكة كذا بين لم يكنز ألقه حكابوي التسيج كذا في تحرة الداة الواحدة أو الماتر الواحدة من شخص واحد فقط ، ويجزئ البيرة أو الحمل أو الناقة عن شخص واحد إلى سبعة أشخاص على أن يكون بشرالك التهدي قبل الذبيح ... ويذبح على الأكل ، أو أكره أن أراد الهدي أو التذبة أو الضحية .

لما التذر بالمطخ فإنه إذا شاء أهدى ، وطمه لاكون تطوعا وليس واجبا . كما يجوز تركه في شراء الهدي زينة ، وحكى أبو عمر يوسف بن عبد البر رسة الله تعالى عليه الإجماع في =

وتعالى أرحم بعباده من أن يجعل كل إحكامه مضبوطة في قالب حديد؛ لأن الإنسان نفسه الذي بُرئت عليه هذه الكليات أقمى كلها ولا تقبل كلها، لم تفلت إلى تكويبه نجد أن تكويبه مطبق مع الأحكام التي تولت عليه. تكوين الإنسان فيه أفعال لا صلاحية له بها وهي تجري عليه دون رأيه منه ولا اختيار، وقد نزل عليه، كل الحركات التي تحدث في جسم الإنسان ليس له فيها حيار؛ كيف أتيت؟ كيف تكون الحركة الدورية للأعضاء؟ كيف يصنع القلب الدم؟ كيف يسير الدم في الشعيرات؟ كيف تقود الكلى؟ لا أعرف أي شيء من هذا، فإذ مرضت ليخارج إرادتي، أذن... فتوجد أمور تقع على الإنسان بدون اختيار منه.

فهنا ملك على الحكم الذي لا مجال لك في فهمه، اسمه قدرات. وبعد ذلك فهناك أشياء اختيارية: أكل هذه، لا أكل هذه؛ ألبس هذا، لا ألبس هذا، أمسح هذا، أشرب هذا، أشياء اختيارية.

وكذلك الأحكام، كما أن الإنسان الذي تولت عليه الأحكام مضبوط بضبطتين التين: مضابط لا تصرف له فيه، ومقابلته في الحكم ما لا تصرف له فيه إلا بالنسبة، والثاني: خاضع للاختيار، عندما يترك أحد يقول لك أنا أكل سمكاً، فلا تقول له لماذا تأكل السمك؟ وأخر يقول لك أكل لحماً: هذا أكل لحماً مسلوقاً، وهذا أكل لحماً مشوياً، وهذا أكل جبناً وبنياً، فهذه مسألة داخلية في نطاق حيزه. مادام لا يوجد فيها نص، فمسلماً: نحن إذا نظرنا إلى إنسان، يصبح في الصباح ولا يقطر، فلا إلزام عليه بأن يقطر، فهذه هو شئ فيها، وآخر يقول لك: أنا عندما أستيقظ من النوم لابد أن أقطر، ولا بد أن أقطر كلها وكذا. فهو حر. فلا الذي تقطر حجة على الذين لا يقطرون، ولا الذين لا يقطرون حجة على الذين أقطروا، فكل حر في اختياره.

لكن عندما يقول لك في يوم القطر: لا بد أن تقطر. فهنا أنا أنشئت نجراً، فهنا تحكمت ملزم^(١).

(١) روى ابن ماجه (١٧٦٧) عن أبي سبید الجعفي رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهي عن صوم يوم القطر، ويوم الأضحي.

وعنه [١٧٦٦] عن أبي عبد رضي الله تعالى عنه قال: شهدت العيد مع عمر بن الخطاب

الصحیح ١٣١

مكان ذبح الهدي

اختلف العلماء في مكان الذبح: هل ذبح في نهي؟ أو ذبح في مكة؟ أقول من تيسر الله تعالى أن نهي كلها منحر، ومكة كلها منحر، فإذا ذبحت في نهي فلا شيء عليك، وإذا ذبحت في مكة فلا شيء عليك، لا تزيد تصير مسائل على أنها مسائل خلافية^(١).

والآلة عند المسلمين أن الجهد حيز، ويؤديه اجتهاد إلى رأي، نجد من يعصب لهذا الرأي ويقول: إن هذا الرأي هو الصواب والباقي كله خطأ، فنقول له: لا، فمناقشة المسألة ليس فيها نص محكم، وترك الله فيها مجال الاجتهاد، فغالب كما تأرب أئمة الفقه، فكان الواحد منهم يقول مثلاً: رأي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

والنفي سبحانه تعالى جعل على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقض هذه الغرعات: فكان يقول لمن يسأله: والعمل ولا حرج^(٢).

فلا تقل إن الذبح لا يقع إلا هنا، بل قل: أنا رأي أن الذبح يقع هنا. ولكن لا تحطى الرأي الآخر؛ لأنه له أيضاً دليل، فالنهي صلى الله عليه وسلم أعطانا مسألة إشارات الاجتهادات الفتوية مع العصور، والقاعدة الفقهية تقول: لا اجتهاد مع النص، إذن النص المحكم يوقف كل واحد عند حده.

أما النص الذي لا يريده الله على وجه واحد بل يريده على وجه، فترك سبحانه للاجتهادات وفق احتياجات الأمة ورأسمها وتطلعات هذا الواقع.

فأنت من أدرك أن تحرم من نصيب إلى هذا الرأي، وهذا اسمه التعالين الاجتهادي، ومعنى التعالين الاجتهادي أي: يعملنا أيضاً في إطار واحد، لم نخرج، وماذا لم نخرج فإننا يجمعنا الأصل الأصل الذي ليس فيه اجتهاد، وبعد ذلك قاله سبحانه

(١) قال الألبان على القاري: يجوز ذبح جميع الهديا في أرض الحرم بالاتفاق إلا أن نهي أفضل للهامة السج، ومكة أفضل للهامة المبررة، وأفضل أن يكون بالمروة.

(٢) سبق تصويره.

الصحیح ١٣٢

قريظة : و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، يستغاد من هذا أن المسألة ليست بالعقل ، بل المسألة مسألة إيمان ؛ لأنهم بعد انتهاء هذه الحرب المشهكة ، وبعده لهذه الطويلة ، وهذا التعب الشديد ، ولم يكادوا يستريحون ، فهاهم بعد كل ذلك يقولون لكم : قوموا قاتلوا ١٤ مسألة ليست عقلية . فالتقى عواما لشيء فوق العقل ، فقال : و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وهكذا قال ربنا ، أصبحنا نأفونهم ، ولا يصلين العصر إلا في بني قريظة . و بنى قريظة هم الذين أعابوا مشركي قريش . فسادا قال : و من كان يؤمن بالله ، إذن فالمسألة ليس فيها اختيار ، أمر إلهي لازم .

رغم في الطريق إلى بني قريظة أفرحهم وقت صلاة العصر فذكروا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لا يصلين العصر إلا في بني قريظة ، فغير بعض الصحابة إلى الشمس فوجدوها تحجب لمعجب ، إذن فالعصر وقته قد انتهى فقالوا : لا بد أن تصلوا العصر ، وجماعة قالوا : النبي صلى الله عليه وسلم قال : و فلا يصلون العصر إلا في بني قريظة ، ولم يصلوا العصر حتى وصلوا بني قريظة . اختلفوا : ناس صلوا في الوقت ، وناس لم يصلوا إلا في المكان الذي جاء في ظاهر الحديث ، ورجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسادا كان موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ؟ أفر هذا دون هذا ، أم هذا دون هذا ؟ أفر الاثنين ، احترازا للاجتهاد ، وفكرة الاجتهاد ، ودليل الترجيح في الاجتهاد ، نحن الآن نفرضها تفسيراً أوسع ، حتى يتقبلها العقل نقول كما قلنا فيما سبق : إن كل حدث يحتاج إلى زمان وإلى مكان فإن اجتمع الظرفان فيها ونعمت ، وكان وجد ظرف دون ظرف ، فالذي يرجح ظرفاً على ظرف لا نخطئه ، فهو قد أخذ شئ من طرف والآخر أخذ شئ من طرف ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أفر من صلى العصر قبل أن يذهب إلى بني قريظة ، وأفر من صلى العصر بعد أن وصل بني قريظة . إذن فقد أقر الاثنين ، فقد قرأ صلى الله عليه وسلم اجتهادهم ؛ لأن صاحب الاجتهاد الأول الذي قال : لا بد أن تصلوا العصر لأن الشمس ستغرب ، نظر إلى ظرف الزمان ، فالشمس ستغرب وظرف الزمان مستثنى ، وصاحب الاجتهاد الثاني الذي نظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : و لا يصلين العصر إلا في بني قريظة ،

ولذلك عندما يؤذن لصلاة العصر ويطلع النهار ، النهار الذي كنت نعتت عن أي مشروب أو أي مطعم فيه ، تجد من يقول لك : عند أي شيء فكلمه . انظر هنا عبادة عبادة مأثور بها : لا بد أن تفطر ، وعند الصوم تصوم حتى المغرب ، فبعد أحدهم يقول لك : أنا لن أفطر الآن ، فانا سأفطر بعد العشاء ، تقول له : لا ، الانقضاء أنك كما أمسكت عن الطعام والشراب بكلمة ، أنظر بكلمة ، فبعد غير ريقك ولو بجرعة ماء . فكيف قد التفت أدب الالتزام أنزاه ونهيا . وبعد ذلك تناول طعامك في أي وقت شئت ؛ لأن تناول الطعام غير الإفطار .

نكنا أن فيه الإنسان مخلوق تدريبات تقع عليه بدون اختيار منه ، كذلك توجد أحكام الله بركها كل واحد يأخذ منها بحسب ميسرته ، ما دام الله لم ينص عليها صراحة .

وإنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فحيثما انتهى من غزوة الأحزاب وكان اليهود قد أعلنوا مشركي قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وساعدوهم . ولا مسخر الله الريح وسخر الأشياء : هو وكما يفكر جندوك ربك ألا هو ؟ والذئ : ٢٣١ وانتهت المعركة ، وفريش رجعت ، ولجئود رجعت إلى المدينة ، فأراد الله أن يعذب اليهود الذين ملأوا قريشاً وساعدوهم في غزوة الخندق .

ومعلوم أن في غزوة الأحزاب ابتلى المؤمنون ابتلاء شديداً ؛ قال تعالى : هو قتال الله بينكم وبين المشركين ، ولما يقول الأنبياء والنبي في تقريرهم من ربنا ربنا الله لا نعبد إلا محمداً ، فمما لا شك فيه أن الأحزاب ٢ : فأمثل التعبير القرآني : هو كونه ركعتي الأتيين ٢ والأحزاب : ٢١٠ .

بعد كل هذا العناء ، الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأسر غزوة بني قريظة ، حينئذ قال النبي صلى الله عليه وسلم لن أرسلهم إلى بني قريظة ، فبما بعد ذلك قبل المغلطة ، يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن صيام معين اليومين : يوم العطر يوم الأضحية ، أما يوم لعنتم فتم نكركم من صيامكم ، يوم الأضحية فأكون فيه من سلم نسلككم . ورحمهما الأكلين .

إذن .. للخلافات التي تنشأ في المصحح يجب أن تكون مقبولة على هذا الصوره لأن
مادام ليس فيها نص محكم ، فلا بد أن نحترم وجهة نظر المجتهد ، لأن معنى مجتهد :
هو الذي بذل الجهد في استنباط الحكم من دله . ومادام كذلك فإياه له مقومات
الاجتهاد .

الإمام الشافعي رضي الله تعالى عليه قبل قدومه مصر كان له مذهب ، وعندما جاء
مصر وجد الصحيفه التي تركها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ، وفيه
أحاديث لم يكتبها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، وكان الإمام يعرف قول أبي هريرة
رضي الله تعالى عنه القائل فيه : إن عبد الله ابن عمرو بن العاص كان يكتب وأنا
لا أكتب ، فلما جاء إلى مصر ووجد هذه الصحيفه ، ووجد فيها أحاديث لم يكن
سمعا من قبل ذلك ، فبدأ يثبر في بعض الأحكام التي كان اجتهده فيها وفقاً لما سمعه
ورآه من حديث عبد الله بن عمرو ، ولذا لم يطلع في كتب ورسائل الشافعيه ،
والشافعي في الجديد والجديد يعني المذهب الذي انتهى إليه جميعا جاء إلى مصر ووجد
أحاديث لم يكن قد اطلع عليها قبل ذلك .

فالأشياء التي اجتمعوا فيها مثلا : السبت بيني وبين هو سنة أم واجب ، العزوف
بوترقة : بيتا السبت أم يحدو وضع الرجال ، الخلق أوزة أم طواف الإفاضة ، الخلق أولي
أم التقصير ؟ كل هذه مسائل فيها اجتهاد من العلماء ، وفي بعضها قال النبي صلى الله
عليه وسلم : « اقبل ولا حرج » .

لكن الذين يتسككون بشيء ، ينظرون إلى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في
حجة الوداع . يقولون : النبي فعل كذا .

« ابن رجب : بسموه بن سنان ، وبخراعي بن أسود ، فساروا حتى أتوه في خير في طر له ، فمروا
عليه ليلة فقتلوه ، ووجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلهم ادعى قتله ، فقال :
« أوتوني أساقمكم ، فأسأروا إليهما ، قال لسيد جد الله بن أسف : « هذا الذي فعله أرى به خير
العلم » .

رواه المصنف ١٢٧١/٣٦ - ١٢٧٦ .

وقد تهاورا الرجل ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره برجل القوم ، فأشبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رندة له عدوة بيضاء ، لم يتألا حياء ، وكناه الله صلهم ،
فصدق وعده ، وأخر حده ، وبصر حده ، ووقع الأخراب وحده ، فدخل المدينة ووضع السلاح ،
فجابه جليل عليه السلام ، وهو يجلس في بيت لم سلة ، فقال : أتؤمنتم السلاح ، إن
اللائكة لم تشع بعد أسلحتها ، البعض إلى غزوة مؤلا ، يعني بني قريظة ، فنادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « من كان سامدا سليما ، فلا يسلن النصر إلا في بني قريظة »^(١) ،
فخرج المسلمون جرياً وكان من أمرهم ولم بني قريظة ما قدمناه ، واستشهد يوم الحندق
ويوم قريظة نحو عشرة من المسلمين وكان أبو رافع عن أبي الأحراب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولم يقل مع بني قريظة كما قل حاصبه حتى بن أنحب ،
ورغب المخرج في حلة مساواة للأرض في قل حكم بن الأشراف ، وكان الله سبحانه
وتعالى قد جعل ملحقين المؤمنين يصلون أن يمدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الحجرات ، فاستأذوه في حلة ، فأذن لهم ، فالتفت له رجال كلهم من بني سلمة ، ولم
عبد الله بن صبيك ، وهو أمير القوم ، وحب الله بن أسف ، وأبو قتادة ، والحارث =

(١) رواه البخاري ٢١١٩ ولللقط ٢١١٧٧ ، ومسلم ٢١٩١/١٧٧ ، من ابن عمر قال : قال النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « لا يسلن أمدكم النصر إلا في بني قريظة » ، وأبو بكر بعثهم
العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نطلي بأبيها ، وقال بعضهم : بل نطلي لم يرد منا
ذلك ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يفت وأجبا معهم ، وهذا لفظ البخاري ،
وأما لفظ مسلم من ليس الطريق ، رفع فيه : نادى بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم تعرف
عن الأحزاب لا يعلمون أحد الطريق إلا في بني قريظة ، فخوف فامى نوات الوقت ففضلوا دون بني
قريظة ، وقال أسرون : لا نطلي إلا حيث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن دنا نوات
قال : فما عطف وأجدا من الطريق . وفي هذا الحديث من اللق أن لا يهاب على من أخذ يظهر
حديث كزاية ، ولا على من استطاع من النص يعني بعضهم .

قال المصنف في الفتح ٢٧٤٠/٨١ ، رفع في جميع الصحح عند البخاري : « المير » ووقع في جميع
الصحح عند مسلم : « الظاهر » مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد وابنه وأبند
وقد رافق مسلما أبو يعلى وأخرون ، وكذلك أخرجه ابن سعد عن أبي جابر مالك بن إسماعيل
عن جويبة بن مطعم : « الظاهر » ولكن جابر بن عتيق كان كذلك ، ولم أره من رواة جويبة
إلا بلفظ : « الظاهر » غير أن أبا نعيم في المستخرج أخرجه عن طريق أبي حنيفة الأسدي عن
جويبة فقال : « المير » وأما أصحاب البخاري واللفظ على أنها المير .

الحلق والتقصير

لوإذا ما أتينا إلى مسألة الحلق أو التقصير ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يصر فيها كثيراً فكان صلى الله عليه وسلم كلما حلق من شيء من ذلك قال : « الفعل ولا حرج »^(١).

وفي هذا تفسير كثير على الناس .

هذه التيسيرات كانت لابد أن تكون ضرورية ؛ لأنك لو أمسكتها على رأي واحد يضيئ الرومان ويضيئ المكان ، ويحصرها إذا كان الإقبال على الحج في ازدياد وتكاثر كما هو متأكد الآن . والإنسان في غير أيام الحج عندما يذهب إلى حائط فإنه يجد زحاماً في الطواف ويجد زحاماً في المضي ؛ لأن الناس قد كبروا وأقبالهم على أداء فريضة الحج الآن كبير لأنهم لم يجدوا الأمن الشخصي والطمأنينة القلبية إلا في حوزة بيت

(١) روى أحمد في المستدرج (١٧/٢٧٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : وقف رسول

الله صلى الله عليه وسلم بمروة فقال هذا الموقف ، وحرمة كلها موقف ، وأفاض من حين قامت الشمس ، ثم أوقف أسامة فحمل يمين علي بيمينه ، والناس يشربون عذبا ويشمالاً يشفت لهم ويقولون : « السكينة أيها الناس ، ثم أتى جمعا فقص بهم الصلوات : المغرب والعشاء ، ثم بات حتى أصبح ، ثم أتى قرح فوقف على قرح فقال هذا الموقف ، وجمع كلها موقف ، ثم سار حتى أتى محسرا فوقف عليه ففرح بالله فحبت حتى جاز الودي ، ثم حبسها ، ثم أوقف الفضل رسار حتى أتى الحيرة فزماها ثم أتى النحر فقال : هذا النحر وبني كلها محبر .

قال : وبسنته حجارة شاة من جعوم قالت : إن في شيخ كثير قد أئند وقد أركه فريضة الله في الحج فهل يجوز؟ أنه أنادي عنه ؟ قال : نعم ، فأدى من أبيك . قال : وقد أدى حتى كفعل فقال له العباسي : يا رسول الله ، لم لويت حتى ابن عمك ؟ قال : رأيت شاة وشاة ظم لمن العيطان عليهما .

قال : ثم جعه رجل فقال : يا رسول الله ، حقلت قبل أن أنحر ، قال : انحر ولا حرج . ثم أتته آخر فقال : يا رسول الله إني أنفست قبل أن أحلق . قال : احلق أو انصر ولا حرج ، ثم أتى البيت فغلب به ، ثم أتى وزرم فقال : يا بني عبد المطلب سيقليكم ولو لا أن يملككم الناس عليها لفرغت بها . وقال الأثراروط : إسماع حسن . زراره البزدي [٢٨٨هـ] وابن خزيمة [٢٨٣٧هـ] .

والنبي صلى الله عليه وسلم لابد أنه فعل كل شيء على وجه واحد ، ثم بين وشرح لجميع الأمة ما به يتقبل الله حجهم ؛ فمن التزم قبل الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ نفسه بالعزيمة في كل موطن من مواضع الحج فهو في النعمة ، ولكن من لم يستطع وخاصة الضعفاء والمرضى ، وأصحاب الأعداء والنساء والثقاتين على خدمة الحجيج كل هؤلاء وغيرهم خاصة فيما لم يحل لهم من الزحام وكثرة الحجيج فهو حسب علينا أن نأخذ بالرخصة التي أعطاهنا لها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والأخذ بالجهادات العلماء شريطة ألا يكون ذلك مؤثرا في صحة الحج وقوله .

○○○

طواف الإفاضة

إذا ما انتهينا من ذكر الله تعالى عند الشعر الحرام رغم الدفع من الزدلفة إلى متى للرحم . رغم جمة الغيبة الأولى - الحجرة الكبيرة - بمجرد الانتهاء من الرحم بالسبع حصيات تكون قد قربت من أداء سلك الحج ، بقي فقط أن تطوف طواف الإفاضة ، فالوقوف بمرقة وطواف الإفاضة هما : الركعتان الأساسيان للحج اللتان لا يستقلان أبداً وما عدا ذلك يمكن أن يحجر بهم ، ولا يبسد الحج ، بل يظل الحج إذا ما ثبتت أي : قدمت دماً تغير به الحظ أو التقصير - على خلاف في المذهب - هذه ستة ، ومثلها وأحب ، وهذا كلها ، ولكنها كذا تغير بدم . فالركعتان الأساسيان اللتان لا يستقلان ولا يحجرا : طواف الإفاضة ، والوقوف بمرقة .

والرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال : « الحج عروة »^(١) لما لم يقل ذلك من طواف الإفاضة وهي أهدأ ركن أساسي من أركان الحج ؟

نعم هي ركن أساسي فعلاً ، إنما توثق بين الشعر الذي يحكم فيه طواف واحد من طواف الأحداث ، ونحن نعلم تحسباً سابقاً إن كل حدث من الأحداث ، أي : كل فعل من الأفعال له طرفان اثنين ، يعني شيء يقع فيه ، إما زماناً وإما مكاناً ؛ فمثلاً : أكل فلان : متى أكل ؟ هذا الزمان ، وأين ؟ هذا المكان .

فكل حدث يفعل لابد له من زمان ، ولابد له من مكان .
فإذا نظرت إلى أحد الزمانين تكون قد أخذت طوافاً دون طواف ؛ وإذا أخذت الطرفين الاثنين تكون قد أخذت مقومات الحدث .

طواف الإفاضة ليس له وقت محدد ، لكن بعد أن ترمي الحجرة أن تبول تطوف ، أو تنتظر بعدما تنتهي من أعمال مني كلها ثم تذهب للطواف .

إذا ... هو يحدد فعلاً ، ولكن لا يحدد زماناً ، ويحدد مكاناً فقط . تطوف حول البيت ، ولكن متى ؟ جائز بعد أن ترمي الحجرة تذهب للطواف ، وجائز أن توجهل هذا كله ثم تذهب للطواف الإفاضة .

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (٨٨٨) وابن ماجه (٢٣٠١) وصححه الألباني .

الحكمة من المطلق والتقصير

بعد ذلك عندما نأتي إلى حكمه إزام المطلق أو التقصير ، فأتيت قبل إجازات قسم بتطيف نفسك من الشعر الداخلي - المانة والإبط - وكلاً وكلاً ؛ لأنك عرضة لغبار وعرضة لأفدال ، وستمكنك مدة طوارة بهذه الحانة ، فلابد أن تكون نظيفاً ولا شيء يصيبك .

وبعد ذلك بقي الشعر الذي كلوا يحجرون به في الماضي ويضعون عليه الدهن ويرجلوه ، فيقول له : الآن احلقه فيحلق الشعر ؛ لأن هذا الشعر قد يكون شدة مصيبة من معاصي الإنسان ، فإنا أريد أن الشعر الذي يبيت ؛ يبيت على طهارة ونظافة أو هو سنة للالتزام .

○○○

وحيث مثلا أمرنا أن نستلم الحجر ، فهل نراحم ؟ الواحدة تعطى معنى وعدم الإبداء يعطى معنى . نحن نريدك أن تراحم ، معنى : نخافه أن تصل إلى الحجر ، لأن الراحم : رغبة في أداء نيتك العقل توقف فيه ؛ مع تخير نسلته وتقبله ^{١٢} فكذلك تراحم دليل على إيمانك بشيئ بأن هذا حكم من الله ورسوله .

وكونك لا تؤذى : فهذا موضوع آخر . فالراحم مطلوب ولكن بدون إبداء . وكذلك هوول يؤمل ، ولكن بدون إبداء ، أما الاصطلاح فليس فيه إبداء . والذي ينبغي في مسائل الماسك : عدم توطيف قضاي الدين كلها . لأن واحدا مثلا يطوف ، يريد أن يطوف في ناحية الحقيقة - يعني قريبا من الكعبة ، فهذا يريد منا ، ومثلا يريد منا - لكن لو كل واحد ذهب وانتهى حيث يشق به ، لو لم يقدم على غيره وتركه ، يشق بسكينة ويشق بوترار ، وبخشى من أماله ، فلا أحد يعطاه بأحد ، ولا أحد يقف مع أحد .

إذن .. يقدم الوحي بالتكاليف وأداء التكليف هو الذي ينبغي للمصحيح . فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يسر علينا الأشياء ، فالذي يدخل الكعبة وقد طاف طواف الركن ، فكيفه هذا ولا حاجة للراحم ، بل دع غرك يطوف الركن ، ورسول أنت ، إذا كنت لا تقدر على الصلاة ولا على الطواف ، فاقدر انظر إلى الكعبة ؛ لأن الشيء صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربا يتزل في الكعبة مائة وستين رحمة ، ستين منها للخطافين وأربعين للمصلين ، وستين للناظرين » .

إذن .. عشرين رحمة للناظرين فقط ينظر إلى الكعبة ، ولذلك فانظر إلى الكعبة واستمضر أي مكدر من مكدرات حياتك ، يعني تحدى عوامل نفسك إنك عندما تكون خارج الكعبة تفكر وتقول : العيال يا ترى ما حالهم ؟ الأرض يا ترى رويت أم لا ؟ يا ترى كذا ، يا ترى كذا ، يا ترى الأولاد تنازعوا مع بعض أم لا ؟ تظل في تفكير وهم وشغل بال ، ثم جرب نفسك وادفع إلى الكعبة ، ولا أقول لك طوف بها ، ولا أقول لك صل ، ولكن قف وانظر إليها فقط ، حيثما لن تجد في بالك شيئا ما كان يؤعجك . للرحمة أن الواحد منا يقول : ما الذي كان يحزنني ، ما الذي كان يعقيني ؟ تبحث عن الشيء الذي كان يعبك ويحزنك فلا تجده بمجرد النظر .

والاصطلاح كما قلنا هو : أن يكتم كفتا ، والهيرولة : أن يسرع بين اليدين الأخضرين ، وفي الثلاث الأسيوط الأولى من الطواف ، طواف الإفائة بالمحرمين ، يعني أن هذا غير مطلوب في طواف القدوم ولا في طواف الوداع ، ولكن في طواف الإفائة . لأنها حصلت في طواف الإفائة .

فالتي عليه الصلاة والسلام قال قوله المشهورة لصحابه بعدما بلغ ما بلغه قال ما معناه : « رحم الله أمرا أراهم من نفسه قوة » ^(١) .

وكان حكمة الاصطلاح أن يريهم أن الجسم ما زال قويا رسلما ، فهذا هو الكتم وما في المالك ، وكونه يجري يدل على أن فيه قوة وصحة .

والبلان الأخضران كذا في معنى التارخ ؛ لأن أصل هذا المعنى كان سوتا ، والطريق المؤدى إلى التارخ ، فكانوا يقيمون ليروا المسلمين وهم يسعون بين العضا والرو ، ولما كان المسلمون يحذوهم يحزنون ، ومثلا دليل على أن عندهم نشاط وعدمهم قوة .

وكذلك في الطواف ، لما حدث هذا ورأوه في المعنى وفي الطواف ورأوا قوتهم وصحة أبادانهم وحريهم . فقالوا : إن هذا الكلام الذي وصلنا كذب ، فأحدث هذا العمل بليلة في صفوف المشركين .

وقد يحدث أن تطوف طواف الإفائة ومثك من يطوف طواف الوداع ، أو يطوف تطوفا ، ويكون رجلا ، فإذا أريت أن ترمي ، فبسر عليك ذلك ، فلا ترمي إلا إذا رجعت فجوة تسرع من خلالها . لكن في الراحم فلا ترمي .

(١) روى ابن ماجه (٢١٥٦٦) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين أرادوا دخبا مكة في عسره بعد المدينة : إن فوكم غدا سموتكم بلا مروتكم حلفا ، فلما دخلوا للسند استلموا الركن ، ووطوا ولقي صلى الله عليه وسلم معهم ، حتى إذا بلغوا الركن الباقى سبوا إلى الركن الأسود ثم رموا حتى بلغوا الركن الباقى ، ثم مشوا إلى الركن الأسود ، ثم تلك ثلاث مرات ثم مشى الأربع . وصححه الألباني . وأحمد في المسند (٢١٤١٩) قال الأثرثوط : إسناده قوى على شرط مسلم ، رجاله قات رجال الشيخين غير ابن خيثم من رجال مسلم .

التوكيد في رمي الجمرات

المعلم جيمًا استقبلوا تسكينًا : نسلك رمي الجمرات ، ونسلك الليث في رمي منهم من قال : رمي الجمار واجب وإن تركته بجر يدم ، وليت يحمي إن كان مثق فلا شيء ، وإن كره واجبا بجر يدم .

نحن قلنا : على المختارين لديهم أن يأخذوا على أحسن الاحتياطات ، وأحسن الاحتياطات أن يكون واجبا ، وإن لم أقدر على القيام به أذنبه يدم .

وإن كانت هناك تفسيرات كثيرة : الذي يأخذ بعض الوقت من الليل في رمي يكون قد بات ؛ لكن لاحظ أيضًا في هذه أن الناس لها تجربات كثيرة في رمي .

عند التجارب في أنه في واحد يقول لك : رحمة لا أقعب المرمى وسأعمل توكيدًا لو اجد عرجم نهاية عنى 11

صحح أن التي صلى الله عليه وسلم رضى للمساء والصبيان ، وأصحاب الصالح النافعة للمصحح كالرعاة والسفنة و... إلى آخر ما هو موضح في كتب الفقه . ولكن مل التوكيد مباشرة فكذلك يقول لك إنه وكل المرحام ، أنه لا يستطيع . تقول له : لا ، الزحمة لا بيت ربك أنه يوجد زحام ، بل بيت بأن تلعب وتفسر عليك ، لا تترك ثم تعذب إلى الحال التجارية والأوسا وتشتري الهدايا بما لك ومالك ، وكذلك لست في حج بل في فرقة بالأسواق ، وعلى كل حاج أن يحضر لديه ، ويعلم أن الآخر على قدر القدرة .

○○○

إذن .. لأنه سبحانه وتعالى سر في هذه البنية ، ولذلك كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ورب الكعبة »^(١١) ، كان هذه الكعبة لا يعلم سرها إلا من خلقها ومن كورها ، ما لا تعلم في النفس ؟ لا نستطيع أن نعرف ما الذي تعلمه ، إنها المهم أننا كنا نجميع نحن وأخواننا ، وأهلنا ليسوا معنا ، وعشائنا في مصر : ونكسنت تسعة أشهر بعشرين عن الأهل ، كنا نجلس ونستحضر هروبنا ، ثم بعد ذلك نقول : هي ما تعرف قد جعل تطوف ، بأول ما تدخل إلى الكعبة ونظر إليها نسبح استاذ اليتيم على أن النظر إلى هذه الكعبة عبادة^(١٢) ، فربما جعل للعائف شيئًا ، وللمحلى شيئًا ، وللناظر شيئًا ؛ ولذلك أنت عندما تذهب تجد أمانًا فقط جالسين يشربون إلى الكعبة ، راقب الجالس أمام الكعبة تجد نظره لا يمحول إلى شيء غير الكعبة ، لو لم يكن فيه شيء يجذب بصره لا يستطيع أن يخلع منه نفسه ، لكان من بني هناك يلتفت هكذا أو هكذا ، لكن لا يعمل ذلك أبدًا .

إذن .. لأنه سبحانه وتعالى أسرار ؛ هذه الأسرار قد لا نعرف الحكمة منها إلا ، ولكن بأمر الدين بها أولا لنعرف أثرها في نفسك أعزبا .

بعد طرائف الإفادة يكرر قد تم لك التحليل الأكبر ، بأن كان منك أعفك ، حال لأن الجحاح ، رتبتى المسألة .

○○○

(١١) ورد هذا اللفظ في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما .

(١٢) روى السيويني في الطبع الصغير ١٢٩٦١ جراه للديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : خمس من العبادة : ثقة العلم ، والعودة في المساجد ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر في المصحف ، والنظر إلى ربه الملم . وقال الألباني : ضيف جدًا . وفي رواية له ١٢٩٧٧ ولم يذكر العصفى لروى عنه الحديث : خمس من العبادة : النظر إلى المصحف ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر إلى الرابطة ، والنظر في رزق رضى محمد المصطفى ، والنظر في ربه الملم . ورواه للدارقطني والشافعي . رصفه الألباني .

مثلا : المالكية وبعض قبهاة الأحناف قالوا : إن سنة . وما دام سنة فإن لم تودعه فلا

شيء عليه ، إن أدبته كتاب ، وإن لم تودعه فلا تعاقب .

لكن غيرهم و أحمد والشافعي قالوا : إن هذا واجب ، فما الفرق بين الفرض وبين

الواجب ؟

الفرض ثابت بدليل قطعي لا شبهة فيه . الواجب ثبت بدليل ظني ، وهذا هو الذي

يفرق بين الفرض والواجب والأحناف .

لكن غير الأحناف صدقهم الفرض مثل الواجب .

أيضا كما قلنا سابقا في مجالات العلماء في هذه المسائل ، علينا أن نحاط ، وإذا لم

نطاف طواف الوداع تعمل دما اسمه دم قضاء طواف الوداع .

وعلى أن شبه بعد طواف الوداع : ألا يبقى في مكة بشئ الهدايا ويؤثر على

الخلاص بل علينا أن نتأخر ، وأن يكون آخر عهدنا مكة طواف الوداع .

○○○

منى مكان ومكان

يقول لك أحد الناس : منى لا أجد فيها مكانا ، اردحت الحيام ، وكذا وكذا وكذا .

يذهب بعيدا قليلا عن منى .

نقول له : أيضا نحن ساعد بالقياس ، إن منى ظلت ترد دم ، وترد دم حتى ذهبت

فلم نجد مكانا ، كما لا نجد في الصلاة مكانا إلا في الشارع ، فإن كان مكانا فتكون

أيضا منى ولو اشدت إلى صماء ، كما قلنا في المسجد ولو امتد إلى صماء .

وهنا حينما نقضي أيام منى يستوى الفرد ، ويستوى المشيع ، ويستوى القارن ، لأن

المشيع أنهى نعمته ، بل الحج وقيل الإقلية وقيل عرفة .

ولما إن هديه يجرد ما يستمتع بالعمرة إلى الحج بالبيع ، حتى إن بعضهم قال :

يذهبها في المكان الذي يتلقى فيه الاستماع ، وهي البروة ، لكن البروة الآن أصبحت

أماكن لا يصح الذبح فيها ، ونحوها إلى منى ، وأصبح لكل شيء مكان مخصوص .

فلا نقول له : يجرد ما تستمتع به البروة وانتهت من كذا وكذا فاذبح عند البروة ،

ولكن نقول له : أذهب فاذبح في حاجر مكة أو حاجر منى .

والقارن أيضا سيميل منه الأعمال كلها ، ولكن سيكون أيضا قد انتهى من عمرته

وظل محرما ، لكن المشيع خلع إحرامه بعد العمرة ثم أحرم إسرانا جديدا من بينه للحج

والقارن يقلل بإحرامه بعد عمرته حتى يؤدى الحج بإحرام واحد .

بعد ذلك حين تنتهي حوائك الحج ، ويؤدى الحاج مغفرة مكة ، عليه أن يطوف

وطواف الوداع ، وهذا أمر ضروري لأنك جئت للبرور البيت وحجبت وكذا وكذا ،

وتريد أن تنتهي به ، فلا بد أن يكون آخر عملك في هذا المكان هو صلواتك بالمكان الذي

جئت من أجله إليه .

ولا يسقط هذا الطواف وطواف الوداع إلا في حالات مستثناة ، كأن تحبس المرأة ،

فلا تقول لها : انتظري حتى تطوفى طواف الوداع ، لكن إن كان في طواف الإفاضة

تقول لها : انتظري حتى تطوفى ، إلا أن يحملك الركب فتدعى بدنة ، ولها أحكامها .

طواف الوداع أيضا انحط فيه العلماء ، هل هو سنة أم فرض ؟

لأن الترتيب لم يتم يكن شربة لا تقبل الله بين مغسولين بمسح ، ويجعل المسحول وحده ، والمسحوت بعده . وإذا قال سبحانه : ﴿ فَاقْسِمُوا بِوُصُولِكُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ إِلَى الْمَرْثِقِ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ إِلَى الْكُفَّينَ ﴾ .

فجاء بالمسح بين غسولين اثنين ، فما دام جاء بالمسح بين غسولين فهذا دليل على أن هذا ترتيب ، العبر إلى ترتيبين ، فبعد هذا وحده حكما ، فليست مسألة آية . وأيضا قال سبحانه : ﴿ فَاقْسِمُوا بِوُصُولِكُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ إِلَى الْمَرْثِقِ ﴾ لم يحدد فيها الوحيد من أين إلى أين ؟ لأن فوج ليس فيه خلاف عند العرب ، الوجه : ما به المواجهة من حيث الشعر إلى نفس اللين ، ومن شجرة لأذن للأخرى ، هذا هو الوجه ، لا اختلاف فيه . فلا يقولوا قسما رجوعكم إلى كذا . لم يقل : لأنه لا خلاف عند أهل اللغة في هذا .

أما في اليد فقال سبحانه : ﴿ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ إِلَى الْمَرْثِقِ ﴾ لأن اللغة العربية التي نزل بها القرآن تطلق على اليد إطلاقات متعددة ، وكل إطلاق يحدد المطلوب منه السياق . مثلا : ﴿ وَالْكَافُ وَالْكَافُ وَالْكَافُ ﴾ فالتفصيلا الذين هم في الآية : ٢٨ فلما جاءوا للقطع ، قطعوا حتى الرشح ، إذن ... فائدة طائفة على هذا الكس .

واليد أيضا تطلق من أول الكف حتى الكف ، وتطلق من الكف إلى المعسل ، إذن تأيد لها إطلاقات متعددة عند العرب ، إما إلى الكف ، أو إلى المرفق ، أو إلى الكف . فلو قال الله تعالى : ﴿ فَاقْسِمُوا بِوُصُولِكُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ ﴾ ، ولم يقل : ﴿ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ ﴾ فلو غسل أحد الكف فقط يصح ، ولو غسلا إلى المرفق يصح ، ولو غسلا إلى الكف يصح ، فلو رسل أحد إلى هذه أو هذه فالتصحيح محصل لهذه وعنده ، ولكن الله سبحانه يريدنا على شكل خاص محدد ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ ﴾ ومادام قال ذلك فغير ذلك ليس مطروحا .

وهنا يكون قد منع الاجتهاد مع النص .
إذن ... إذا أراد الله نسا محكما جاء بالأسلوب الذي لا يحصل سواه .

ولكنه لا قال : ﴿ فَاقْسِمُوا بِوُصُولِكُمْ ﴾ فهنا جاء بحرف ، والباء ، ثم قال كما قال : ﴿ فَاقْسِمُوا بِوُصُولِكُمْ ﴾ فهل كان أحد يختلف بالمطيع لا ، فلو أرادها على هيئة

الخلافا في أعمال المسح

الخلافا يجب أن يكون في الاجتهاد وليس في الترجمة إليه ، فنحن كلما نريد أن نوجه إلى الحق ، ولكن رأيت أن الحق هنا ، وأنت رأيت الحق في غيره ، ولا شيء يأخذني وأخذك إلى شيء مقطوع بحقيقته .

والخلافا في الاجتهاد هو ضرب من التفسير في الأحكام ، لأن الله سبحانه وتعالى كما خلقنا وأنا مقهور في أشياء يعزى على فيها القضاء ، ومختار في أشياء ، وكذلك جعل الأحكام ، منها أحكام جبرية ليس لي فيها تصرف وأحكام أخرى تركت للاجتهاد وفق أمور ومقاييس معينة مفعلة في كتب الفقه والأصول ، ولا كيف تفسر قول الله تعالى : ﴿ وَكَوْنُوا رُكُودًا إِلَى أَرْسُولِي وَأُولَى الْأَمْرِ إِلَهُكُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَمْرِي ﴾ في السور ٢٨ ، والاستبطاء أن تحول أن تستبط الحكم ، ومادمت تحاول أن تستبط الحكم فستبطه ليس راضعا لك ، مستبط هذا غير مستبط هذا .

وقد قلنا فيما سبق إن أقوى شاهد على هذا : إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم للذين ذهبوا إلى بني قريظة في أمر صلواتهم .

ولو تدبرنا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ ﴾ فالتفصيلا الذين هم في الآية : ٢٨ فلما جاءوا للقطع ، قطعوا حتى الرشح ، إذن ... فائدة طائفة على هذا الكس .

والله أعلم . فالرجلين . فالرجلين داخله في المسح أو المعسل ؟
الآية جاءت : ﴿ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ ﴾ فلم يقل : ﴿ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ ﴾ وأمسحوا برؤوسكم وأرجلكم ، بل قال : ﴿ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ ﴾ وأمسحوا برؤوسكم وأرجلكم ، فلو غسلا إلى الكف فقط يصح ، ولو غسلا إلى المرفق يصح ، ولو غسلا إلى الكف يصح ، فلو رسل أحد إلى هذه أو هذه فالتصحيح محصل لهذه وعنده ، ولكن الله سبحانه يريدنا على شكل خاص محدد ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ ﴾ ومادام قال ذلك فغير ذلك ليس مطروحا .

والترتيب هنا شرط فإياك أن تدعي شيئا في غيره ، أو تأتي بهذا أولا وهذا ثانيا ، فلا يصح . لا إذا ؟

اجتهاد .. وليس خلافا

المعلم حينما يحتفلون لا شك أن لكل واحد ملحظ في المساط تخريجا وتقييما وتحقيقا ، كل واحد له ذلك ، ليس خلافاً هكذا بدون أصول .

فهم احتلوا في العمرة - مثلاً التي نحن نقول - إما أن تؤدي عمرة تسجّع ، أو عمرة قارن - فبعضهم قال : لا ، العمرة ليست واجبة ، إلا فرضاً ، بل هي سنة . لكن جمهوره الفقهاء على غير ذلك .

وكان من رأي أن يجمع العلماء لضعفية هذه الآثار وريوايتها كل واحد ودليله ، حتى يجمع الأئمة في ركن مهم كهذا الركن على شيء واحد ، أما أن يقول أحدهم : سنة ، وآخر يقول : واجب ، وآخر يقول : فرض .

ومن أجل ذلك أقول : ما معنى كلمة : « الحج » ، ومعنى كلمة : « عمرة » ، « الحج » في اللغة : التقصد لأي شيء ، بشرط أن يكون شيئاً عظيماً . لا تقول : حججت إلى العراق لأحلق . لا ، يمكن : حججت إلى الشيخ أو المعلم أو المعلم منه ، حججت إلى القاضي لأرفع إليه طلاقاً . فلا بد أن يكون التقصد إلى شيء عظيم لا شيئاً حقيراً أو رخيصاً ، فلا تقول : حججت للتلميذ لأشتري طمعية . لا . لا بد أن تخرج إلى عظيم .

إذن .. « حججت » : قصدت عظيماً .

وفي الشرع لا يوجد أعظم في الكون من بيت الله ليحج إليه ، وإذا أطلقت كلمة « الحج » في الشرع انصرفت إلى حج بيت الله ال تعالى : « وَذَكَرَ كُلَّ النَّاسِ حُجَّجَ الْبَيْتِ » وآل عمران : ١٧٧ ولكن هل جعل الله تعالى للحج زمناً أم أمله ؟ بالطبع حدد له زمناً ، قال تعالى : « هُوَ الْحَجُّ الْأَشْعَرُ مَقْبُولٌ كُنْ فَمَنْ يَبُوءَ الْحَجَّ فَلَا رَدَّكَ وَلَا تُسْوَكَ وَلَا جَدَّكَ فِي الْحَجِّ » والبقرة : ١٩٧ .

وإذا كنا نريد أن نستطيع أحكاماً فلا بد أن نجد في طلب كل الآيات المعروضة للموضوع ، ونضع الآيات مع بعضها حتى لا نأخذ حكماً من آية ونترك آية أخرى .

واحدة لما أعجزه التعبير ، إما يقول : « رؤوسكم » فتكون لكل الرأس . فإن كان يريد البعض ولم يشترط يقول : « المسحوا بعض رؤوسكم » ، وإن كان يريد تحديده مساحة يقول ربح ، أو ثلث ، أو نصف . ولكنه لم يقل هذا ولم يقل هذا ، وإنما قال : « وَرَأْسُكُمْ بِرُؤُوسِكُمْ » و « الرأس » : لا استعمال ، الإلتصاق ، للبيعة .

إذن .. النص ليس صريحاً في أنه يريد حكماً محدداً ، فالجهود بأخذ هذا وأخذ هذا . ولذلك الذي يحتاط يقول : « مسحها كلها » ويخرج من الخلاف ؛ لأنك إن مسحها كلها دخل البعض ، ودخل الربيع ، ونزجت بكل الاحتمالات .

ولذلك يقول البعض من السنة : أن تحمسها كلها . لكن القاضي يقول : « ولم بعض » ، فأتخذ الماء للبيعة .

والإمام أبو حنيفة يقول : لا المسح يقتضي آلة ماسحة ، والآلة الماسحة هي اليد ، واليد التي تباشر بها الأضال هي اليمنى ، فلي الأقل قدر المسح .

إذن .. في أعمال الحج عندما ترى اجتهادات متعددة في أشياء ، فلا تقل تضارب أحكام ، بل قل هي تفسيرات واجتهادات .

○○○

حكاية نقل مقام إبراهيم

لما صادق المطاف بالطائفتين وكثر العائنون في الخمسينات : أراد أولوا الأمر أن ينقلوا مقام إبراهيم من مكانه هذا إلى حلفي خصوة ، حتى يتسع المطاف للطائفتين : لأن مقام إبراهيم لم يكن مقتضوا على الحجر الذي قام عليه إبراهيم ، هذا الحجر الصغير ، بل كان حوله تبة ضخمة ، وعليه تانده وله أعمدة وسقف ، وكانت مساحته كبيرة ، فكان حاجزا لمساحة كبيرة من المطاف ، الأمر الذي يعوق الطائفتين ، وبالفعل نفي المقام ، وأخذ في زينة : ويتقرر أن الملك سعود رحمه الله تعالى عليه سيأتي لينقل الحجر في المقام الجديد ، ومكان المقام القديم يكون خائباً للمطاف .

أقر هذا رأي لادن رحمه الله هو الذي كان قائما على العمارة في المسجد ، وأخبره المقام ، وكان يوم السبت ، ويوم الثلاثاء سيأتي الملك سعود لينقل الحجر من المقام الموجود فيه الآن إلى المقام الجديد ، فكشيت بركة إلى القائمين على الأمر ، هذه البركة يبلغ من ضوئها أنها كانت في هذا الوقت حوالي ثمانية ربلا ، لأنها بركة طويلة وفيها أن هذا عمل لا يصح ، وأن الدليل على ذلك كذا وكذا وكذا ...

فصدر الأمر إلى ابن لادن بإيقاف العمل في المقام الجديد ، إلى أن يت بواسطة العلماء في أمر هذه البركة ، وحضر الله الشيخ عبد العزيز بن حسن إمام الحرم - في ذلك الوقت - فهو الذي كان مقورا للجهة بحس البركة والتأكد من صحة ما جاء بها ، وغرست المسألة ، وزجد أن كلام البرقية كلام صحيح ، فحرام الله خيرا على الحق ، والتعصب له ، فزعموا الأمر إلى القائمين على الأمر فصدر الأمر إلى ابن لادن بأن يهدم المقام الجديد ، وأن يعقل المقام مكانه .

لكن بعد مدوء هذه الضجة ؛ قلنا : إذا كنا نريد أن نوسع على المطاف للطائفتين فلا داعي للتأنيد القائمة حول المقام ؛ لأن الحجر صغير فلا داعي لهذه البنية الضخمة والتد والأعمدة التي تشغل حجرا من المطاف ، ويمكن أن نعمل نافوسا من الزجاج على قبر الحجر ، ثم يوضع الحجر بداخله ، فلا يأخذ من المكان قبر رجلين ، كما هو الآن .

أنه أمر ، لكن الأمر هنا جاء للإباحة ، ليس معناه أننا كلنا نوجب علينا أن نتخذ من مقام إبراهيم معلى ؛ من استطاع أن يعقل بغير أن يؤذى الناس أو أن يعطل مسار الطواف فليعمل ، ولا تقى أى مكان من المسجد يعلى ، ولإيضاح أن الأمر ليس فرضا يجب على الحاج أو الزائر فعله في هذا المكان تقول : معلوم أن مقام إبراهيم بين الكعبة وبين بعض المسلمين ، فكانوا يتحززون أن يصلوا خلف المقام ؛ لأنه يحجزهم عن الكعبة ، أى : كانوا يلائنون المقام ولا يصلون رابده ؛ لأنهم يقولون المقام نقي وبين الكعبة ولا أحد قال إنك عندما تنجه إلى الكعبة يجب أن تكون جالس الجوار إلى الكعبة ، افرض أن عبودا أماتك ، أو جدرا ، هذا لا يحجزك عن الكعبة ، المهم أن الناس كانت تتحززون أن تعلى في مقام إبراهيم ؛ أنه كان يحجزها عن الكعبة ، فأنه رفع الطرح وقال : لي وأجدوا بن مقاربه إن يجره منسك في رمضان سنة : أن تعلى ولا مانع أن يكون المقام حائرا بينك وبين الكعبة .

الناس تزدحم على الصلاة في هذا المكان ، وخاصة في ركعتي الطواف الأهم كانوا يقرأون : و ثم يأتي إلى مقام إبراهيم فيصلي ركعتي سنة الطواف . فكل واحد يريد أن يعلى في هذا المكان .

○○○

فخرج عمر رضي الله تعالى عنه على أن يوضع مقام إبراهيم في المكان الذي رضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا دليل على أن رضعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان توثيق بنقل الرسول له .

ومادام أصبح نوعيا ، بدليل أن عمر رضي الله تعالى عنه قال : نأشدنكم الله أبكم بهرف موضح آخر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز تغيير مكانه . كان هناك حل آخر غير أن نقل الحجر والساق . يقول له نافوسا ، وهو بناء دور ثان للثلاثين والمائتين والركع السجود ، وهو ما يلحق إليه أبرار الأمر في بلاد الحرمين جراحهم الله حياء ، فهناك شيء يجب ألا يغيب عز المؤمنين : أن كل منسك أو مكان عادة يأخذ جود حكمه ، بدليل أن خافق السعي بالساحين في الحج ، عملوا مكانا للسعي في الدور الثاني ، وسيمثلون مكانا للسعي في الدور الثالث ، وكلما زاد سعيديا دورا أعلى .

إذن .. نسمي ذلك أن السعي في الدور الثاني هو بعينه السعي في الدور الأول ، لأن جو المكان بأخذ حكمه ، جو المسجد يكون مسجدا ، جو الحرم يكون حرما ، جو السعي يكون سعي ، جو الكعبة يكون كعبة ، الجو نفسه ، ولا فائز يصلي على سطح المسجد الحرام إلى أي شيء يتجه ؟ إذا كانت الكعبة مستواها أسفل من مستواه فهو يتجه إلى جو الكعبة ؟

إذن .. فالكعبة ليست فقط الباني بل هي المكان ، وهذا الشيء مكون في المكان . الناس الذين كانوا يصلون تحت الكعبة ، أو في أماكن متخفية المستوى عنها إلى ماذا يصلون ؟ كانوا يصلون إلى جحر الكعبة .

إذن .. فلا بد أن يأخذ الجو جدوا من تحت الأرض إلى السماء فهذه كلها كلمة . بدليل أنه قبل وجود طيارين مسلمين ، كانوا يبنون أن يطير طيار غير مسلم في جو الكعبة ، قالوا : لأن مادام حرما وقد قال الله سبحانه وتعالى : هو فلا يقتربوا المسجد الاكرام بيده كأيهم هكذا في الآية ٢٧٨ ، فأبشأ لا يقرروا الجو .

إذن .. فجو المكان يعطي حكمه . فإن كنا نريد توسيع الخفاف فيمكن أن نعمل أعمدة ونحمل عليها الحجر ، ولكن هذا يمنع الناس من رؤية المقام . فكان الحل الأقل الذي عليه الآن .

وفي هذا فائدة أخرى وهو أن المقام يدل كونه محجورا باللباس والأشياء التي حوله ولا أحد يراه ، أصبح المقام ظاهرا براه كل الناس ، لأن الله تعالى قال : هو فيه تاركين بيتك مقام إبراهيم في فندموا الناس ثراه .

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يتم الأمر على النحر الذي هو عليه الآن . وانتهت المسألة بأن وسع الخفاف وبقي المقام في مكانه .

أما البلاء في أن المقام لابد أن يقل مكانه : كانت حجة بعض العلماء إنها تزيد توسيع الخفاف وهذا يعمل زحاما لأرواح الناس على الصلاة عنده وبنائه كثيرة ، ويكون عرق زخاجة عنده ... إلى آخره ، كلام رجيح .

واضحوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل المقام من حوض الكعبة - لأنه كان ملتصقا بالكعبة فقلقه - إلى مكانه هنا ، فكانت التي قلقه معناه أن المقام ليس تعبديا بل محجوز قلقه .

نحن قلنا : لا .. صحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نقله ، لكن الرسول له أن يتسبح تشريح رسول آخر ، ولكن ليس لأبناح الرسول أن يعلموا ذلك ، بدليل أن هناك سجلا اسمه سبل أم نهمل ، جاء سبل أم نهمل بفيرة دمنة التي مقام إبراهيم في المسألة ، فوقع الأمر إلى أمير المؤمنين جعند سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو في المدينة ، فجاء مغرعا ، فلما حضر إلى مكة ، وعلم أن الأمر وجد الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام لبناء الكعبة في المسألة ، فأراد عمر رضي الله تعالى عنه أن يرضعه ، فقال : نأشدنكم الله يا أصحاب رسول الله أبكم الله يعرف موقع الحجر في زمن الرسول ؟ قال رجل : أنا يا أمير المؤمنين ، كنت أعددت لهذا الأمر عدته ، ورست بين الحجر الأسود والمقام وبين العظيم والمقام نقاط - يعني : يحول - يعني : قاس من هنا ومن هنا فحين يلتقي الجبلان يكون هو موضع الحجر ، انظروا إلى قطعة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه ، نور الله تعالى بعمرته ، فقال : إن كنت مصادقا لينا تقول فأجلس معي هنا وأرسل إلى بيتك من يأتي بهذه الجاه ، وفعلما جلس معه الرجل ، خشي عمر رضي الله تعالى عنه أن يأخذ الرجل يعمل هذا العمل من جديد ، فقال له ذلك . وفعلما جاء الرسول بالجليلين ، وقاموا المسافين ، فعمروا موقع الحجر .

تحيي الموت بالطين

هل من الجائر أن يطلب العبد من ربه

الموت في الجرمين ؟

السرال :

الجواب : لا بأس في أن يطلب الإنسان الموت في أحد الجرمين : الحرم المكي والحرم المدني .. مع حسن صلته به : باستئذان أهله ، اجتنب فيه ، لما رواه البخاري عن حفصة لم المؤمنين : أن عبد رضى الله تعالى عنه قال : و اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتى في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم ، قلت : أنى هذا ؟ فقال : و بالتقى به الله إن شاء الله .

○○○

فضيلة موافقة يوم عرفة يوم الجمعة

ما افضل حجة الجمعة ؟

السرال :

الجواب : قال بعض العلماء : إن وقتاً مرات يوم الجمعة افضل غيرها من خمسة

أوجه :

أولاً : موافقة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد حج النبي يوم الجمعة ، وما كان الله تعالى ليحضر لرسول صلى الله عليه وسلم إلا افضل الأيام .

ثانياً : إن في يوم الجمعة ساعة إجابة الدعاء .

ثالثاً : إن الأعمال تتبرف بشرف الأثرية ، كما تتبرف بشرف الأماكن ، وأفضل

أيام الأسبوع هو يوم الجمعة ، لأن صادده المحج كان أفضل .

رابعاً : ورد أن افضل الأيام يوم عرفة ، وإذا ما وافق يوم الجمعة زاد الفضل .

خامساً : إذا كان المحج يوم الجمعة شغل الله لجميع أهل الموقف حتى لو كان المحج يومنا آخر غير يوم الجمعة ، فما وجه التخصيص ، فقال : يحتمل أن الله يقدر لهم بلا واسطة يوم الجمعة ، ينما في غيرها يوجب قوتنا لقوم . والله تعالى

أعلم .

والحديث الذي يتحدث عن أفضلية المحج يوم الجمعة بسنتين حجة هو حديث ضعيف .

○○○

مقدمة في ذلك قبل الفصل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأعمال بالنيات » ، فهذا يعني

على كل أمر من الأمور .

وقال الفيل بن زياد : سألت أبا عبد الله ، يعني أحمد بن النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت : كيف لنية ؟

قال : « يطلع نفسه » ، أي أراد عمداً لا يبرهه به الناس .

وقال أحمد بن داود المري : حدثت جدي بن جازون حديث غيره : « الأعمال بالنيات » وأحمد

جالس : فقال أحمد لزيد : « يا أبا جلال هذا الطريق » .

وعلى هذا القول ، فعمل تقديم الكلام : الأعمال وأما في حراسة النيات ، فيكون اختياراً من

الأعمال الاختيارية فيها لا تتبع إلا من قصد من العمل هو سبب عملها ووجودها ، ويكون قوله

بعد ذلك : « وإنما لكل امرئ ما نوى » إخباراً من حكم الشرع ، وهو أن خط العمل من عمله

فيه ، وإن كانت صالحة فعمله صالح قد أجره ، وإن كانت فسدته ، فعمله فاسد فلهذا نيزره ،

ويحصل في بكرة القادر في قوله : « والأصل بالنيات » ، سائبة أو فاسدة ، أي بقوله أو بغيره ،

أو مطلقاً عليها أو غير عاب عليها بالنيات ، يكون خير من الحكم الشرعي . هو أن صلاحها

وسادها بحسب صلاح النية وسادها ، كونه صلى الله عليه وسلم : « وإنما الأعمال بالنية » (١)

أي : أن صلاحها وسادها زفيراً بعد ما يحسب النية . وقوله بعد ذلك : « وإنما لكل امرئ ما نوى » إخباراً من

أن صلاح العمل وسادها بحسب النية المقضية لإيمانه ، والأمانة الثانية ذلك على أن نواب

العمل على عمله بحسب نية الصالحة ، وإن شاء عليه بحسب النية الفاسدة .

وإذا تكون فيه مباحة فيكون العمل سبباً ولا يحصل له ثواب ولا عقاب ، فالعمل في نفسه :

صلاحه وسادها بالنية بحسب نية - الأمانة عليه ، المقضية لوجوده ، وثواب العمل وعقابه

وسلخته بحسب النية - التي صدر بها العمل سبباً أو فاسداً أو مباحاً . واعلم : أن النية في

النية نوع من القصد والإرادة ، وإن كان قد يوقن بين ملة الأقدام بما ليس منها موضح ذكره .

والنية في كلام العلماء فتح مبحثين :

الأسى الأول : يعني تميز العبادات بعضها من بعض ، - كتميز صلاة الظهر من صلاة العصر

مثلاً ، وتميز صيام رمضان من صيام غيره ، أو تميز العبادات من العبادات - كتميز الغسل من

الحيضة من غسل الثوب ، والتميز في ذلك . وهذه النية هي التي توجد كثيراً في كلام الفقهاء

في كتبهم .

(١) جاز من حديث زرارة البجلي ١٧١ ، ١٦١ من سهل رضي الله تعالى عنه .

الحج ١٧٢

والنبي الثاني : يعني تميز القصد بالعمل ، وأصل هو أن وحده لا خير لك له ، أم الله وخيره ؟

وعنه هي النية التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم على إخراجهم وتوابعه وهي التي توجد كثيراً

في كلام السلف المتقدمين .

وقد صنف أبو بكر بن أبي الدنيا مفسلاً سماه : « كتاب الإخلاص والنية » ، وإنما أراد منه النية

وهي النية التي يكرر ذكرها في كلام النبي صلى الله عليه وسلم : « تارة لفظ النية وتارة بلفظ الإرادة » وتارة بلفظ

مقارب لذلك ، وقد جاء ذكرها كثيراً في كتاب الله عز وجل بغير لفظ النية أيضاً من الألفاظ

العارضة لها .

وإنما يوقن من يوقن بين النية والإرادة وتقسيمه وتقسيمها ، لفظهم : اختصاص النية بالناس الأول

التي يذكرها التفهيم . فسمهم من قال : النية تخص الإرادة لا تخص بذلك ،

كما يريد الإنسان من الله أن يفعل له ، ولا يوقن ذلك .

الحج ١٧٣

ثواب الطحج المبرور

ما ثواب الطحج المبرور ؟

الجواب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الطحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » (١) .

فندما يتوجه الإنسان لأداء فريضة الطحج ، فإنه يترك بيته وأهله متوجهًا إلى بيت الله الحرام ، مليئًا بدعوة الله ، وترى الخراج حين يحرم ويصحح لا يخطر بباله شيء من أمور الدنيا ، فإذا ما انتهى من أعمال الطحج ، تنشوق إلى أهله ووطنه ، وتلك حكمة أخرى ، لأنه لو لم يشترك للمودة إلى الأهل والوطن ، ضاق المكان بالخيرين .

وكون الطحج يخرج من ذنبه كيوم ولادته أمه ، هذا يعني الذنوب التي بيته وبين ربه ، أما الذنوب التي بيته وبين العباد ، فلا بد أن تتوى قبل الطحج ، ولذلك نجد من دقة التكليف أن الذين لا يصحح أن يصحح إلا إذا استأذن صاحب الدين ، أو كخيله ، فإن كان عنده وفاة للدين في بلدته وفي به ، فإن لم يكن عنده وفاة أوصى بالوفاء من تركه . ولا يصحح أن تقول : إن الجراء أكبر من العمل ، لأن تناسب الصفات لا يجوز أن يلاحظ إلا بين الشاكرين ، يعني إلا أن كانت الصفة معقودة بين متساويين ، إنما حين تنسب الصفة المعقودة بين الله سبحانه وتعالى وبين جواده ، فلا يصحح أن تقول : الجراء أكبر من العمل ، لأن الله هو الذي حدد العمل ، وحدد الجراء . ولنرض أن إستائن روح ورقا جميلًا ، ثم قدم وردة للملك ، فأعطاه ألف دينار ، هل تقول : إن الملك أعطاه أكبر من ثمن الوردة ؟ لا تقول هذا .

○○○

(١) رواه أحمد في المسند [٢٤٦/٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال الأثرثوط : إسناده صحيح .

لماذا الطحج ؟

لماذا يصح ؟

الجواب : أولاً : نصح لأن الله أمر به ، ونصحه تركه من أركان الإسلام صلى المستطيعين له ، ثم أمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي صح وقال : « خذوا عني مناسككم » (١) .

حين من الله الاعتكاف لرسوله صلى الله عليه وسلم إن بأخذنا في آخر رمضان إلى اعتكاف في المسجد تاركين الأهل والأولاد والأموال والأعمال فإنه ارتقاء للصعيد التكيفي ، لأن إلف المكان وإلف السكان وإلف الأهل يعمل في النفس البشرية بعض المواقف عن الله ، فيخرجنا هذا فخرج ليعرب العناء الذي يتأني لنا ونصور أن نترك الأهل بعض الوقت لأنه يريد أن يفتنا لرحلة أخرى هذه الرحلة تغير الركن الخامس من أركان الإسلام لأنه بعد وقت معين سنترك كل شيء ، ونذهب إلى الطحج فتبقى شيئًا من إلف الترك للأهل والمال والبيت . فندما يذهب الإنسان للطحج يكون قد استكمل أركان إسلامه ، ويصبح البيت الذي يهجه إليه يطلب فورًا به من يقين ، أصبح نراه عين اليقين فيرى بيت ربه الذي كان يهجه إليه ثم بطرف به ويرى الماسك فبعش بعد علم اليقين بيت الله في حقيقة اليقين بيت الله ، حيلة يكمل إيمانه فالأركان والأسي التي ينسب عليها الإسلام قد تمت له ، وبقي أن يكمل بيته الإسلام لأن الأركان ثمانية وبنية الإسلام التي توضع على هذه الأركان هي كل حركة في الحياة .

○○○

(١) رواه البيهقي في الكبرى [١٣٠٧] عن جابر رضي الله تعالى عنه .

الطواف حول بيت الله

السؤال :

المستشرقون وأعداء الإسلام يقولون : إن الإسلام حرم السوثية ، وبالأغم من ذلك فالمسلمون أنفسهم يطوفون حول الكعبة ، فكيف يمكن الرد عليهم ؟

الجواب : إذا كان المرتجعون في دين الله والمجربون عن لغة التكليف لفضلاً عن أسرارها - يشهدون بأن الإسلام قد أتى على مظاهر الوثنية حين أمر بتعطيم البيت طوافاً حوله ، وحين كلف بتعطيم الحجر استلاماً له ؛ إذا كان ذلك - فإن هؤلاء ودولاه يهتفون بما لا يهتفون ويعارضون بقوة دعائية على الإخلاص لعبادة إله لم يؤمنوا به ولم يتفقوا عنه ، ولقد فرق الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين حق من الله وباطل من أعدائه ، فقال محابياً الحجر : « أنى لأعلم أنك حجر لا تقهر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يميلك ما قبلتك » (١) . وهذا أعلن رضي الله تعالى عنه فصل الخطاب

(١) روى البخاري [١٥٩٧] ومسلم [٢٤٨/٢٧٠] عن عمر رضي الله تعالى عنه : أنه جاء إلى

الحجر الأسود قبله ، فقال : لبي أعلم أنك حجر ، لا تقهر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت الله صلى الله عليه وسلم يميلك ما قبلتك .

قال الحافظ في الفتح : قوله : لا تقهر ولا تنفع ، أي : لا يذل الله ، وقد روى الحاكم من حديث أبي سعيد أن عمر لما قال : هذا قال له علي بن أبي طالب : إنه يضر ويضع ، وذكر أن الله لما أخذ الميثاق على ولد آدم كتب ذلك في رفاً وألقمه الحجر ، قال : وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذك ، يشهد لمن أسلمه بالترجيح » وفي إسناده أبو حازم المصنف وهو ضعيف جداً .

وقد روى النسائي من وجه آخر ما يشير بأن عمر رفع قوله ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه من طريق طائوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : « رأيت عمر قبل الحجر ثلاثاً ثم قال : إنك حجر لا تقهر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما قبلتك » ثم قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مثل ذلك » -

قال الطبري : أما لال ذلك عمر لأن الناس كانوا أحاديثي عبدة بمادة الأسنام فخشي عمر أن يفسد الجبلان أن استلام الحجر من باب تعظم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلام الحجر لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لأن حجر يوضع ويشر بآثاره كما كانت تخفيته تنعقد في الأركان . وقال الجبل : حيث صير مدابره على من قال : إن الحجر بين الله في الأرض ويصالح بها عذبه ، وبمادة الله أن يكون له حارمة ، وإن شئت حمله اختياراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يصح وذلك شبه لقعة إلى حيث أمر بالسجود لآدم . وقال الحطايي : معنى أنه بين الله في الأرض أن من صافحه في الأرض كان له عند الله عبداً ، وحرت المادة بأن العهد ينفذه لذلك بالصاعدة من يريده مولاته والاختصاص به لخصائصهم بما يهبطونه .

وقال نصيب الطبري : معناه أن كل ملك إذا قدم عليه الواجد على بيته ، ولما كان الحجاج أول ما يقدم بسن له قبله ترك مولاة بين الملك والله أعلم الأعلى .

وفي قول عمر هذا : الصلح للصلح في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن مخالفتها وهو قاعدة عظيمة في الاتباع فهي صلى الله عليه وسلم فيما يقوله ، ولو لم يعلم الحكمة فيه ، وفيه دفع ما رجع لبعض الجهال من أن في الحجر الأورد خاصة فخرج إلى قاته ، وفيه بيان السنن بالقول والعمل ، وأن الإجماع إذا حصى على أحد من قومه فسداد اعتقاده أن يضر إلى بيان الأمر ويوضح ذلك .

قال شيخنا في شرح الترمذي : « فيه كراهة تقبل ما لم يرد الشرع بقطعه ، وأما قول الشافعي وهما قبل من البيت فحين لم يرد به الاحتجاب ، لأن المباح من جملة الحسن عند الأصوليين . » وكامله : « اعترض بعض المحققين على الحديث بالنهي فقال : كيف مودته خطايا الشركيين ولم يتجسس طاعات أهل التوحيد ؟ »

وأجيب بما قال ابن خزيمة : لو شاء الله لكان ذلك ، وإنما أمرى الله المادة بأن السواد يستبح ، ولا يصحح على المكس من الناس .

وقال نصيب الطبري : في بقائه أسود عرة لمن له بصيرة ، بأن الخطايا إذا أثرت في الحجر العسل فتغير ما في القلب أئد .

قال : وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى ربة الجنة ، فإن ثبت فهذا هو الجواب . قلت : أخرجه المصنف في فضائل مكة بإسناد ضعيف ، والله أعلم .

حجوا قبل ألا تحجروا

ما المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم :

« حجوا قبل أن لا تحجروا »^(١) ؟

السؤال :

الطواب : هذا القول - على فرض صحته - يعني : أنه إذا تسبرت ظروفك ، وكان باستطاعتك الحج في وقت معين في حياتك ، وانتهت هذه الفرصة بسرعة ، وأد هذا الفرض ، فربما يأتي وقت آخر لا تستطيع فيه أن تحج .

وكذلك أيضًا بالنسبة للصلاة ، فمطلوب بها أن تؤدى في أول وقتها وذلك لأنه من الذى يضمن لنا أن نعيش إلى آخر الوقت ' صحيح أنه لو أبقي الله حياتنا إلى آخر الوقت فلا إثم علينا ، فالتأخر المستطیع الذى لم يحج نقول له : إنك حتى هذا الوقت غير آثم ، ولكن إذا توفاك الله تكون آثما .

كذلك الصلاة ، إذا مات الفرد قبل لقائه مع حلول وقتها : يكون آثما لأنه أخر الأداة عن أول الوقت .

○○○

وأما وجه التكليف بلا إسراف ودون ترفيف ، وكأنى بعمر رضى الله تعالى عنه يتقن من الحج أن يتقن بذاته وهذا لا يمنع أن يشهد الحاجر لمن استلمه عند من يملك رحمة النفع والعسر .

○○○

(١) رواه المالک فی المسند [١٦٧٧/١٦٤٦] وقال الذهبي : حديث رواه بعض المصنفين ليس بصحة .

ابتلاء هاجر .. وشعيرة الحج

السؤال :

ما موقف السيدة هاجر عندما تركها زوجها وطفليها الرضيع سبيلاً إسماعيل ؟
وتكيف جازأها الله على صبرها وابتليها ؟

الجواب : لما كانت عندما تحب على صدقها في قولها : « إذن لن يضيعنا » ويريد الحق أن يتحى سبها سبع مرات بلا نتيجة ، يتمرد إلى وليدها ، لتجسد الماء عند قدم الوليد ، وهكذا صدقت هاجر في يقينها ، عندما وثقت أن الله لن يضيعها ، ولأن الله أن يقول لها : نعم لن أضيعك ، وليس بسعيت ، ولكن يقدم عليك الرضيع ، يعسر بها الأرض ، لينج منها الماء ، وضرب الوليد للأرض يقدمه سبب غير فاعل في العادة ، لكن الله أراد شيئاً حتى يستيقى السيدة ولو تم تزد إلى الفرض في العادة .

وحيث وجدت هاجر الماء عند قدم رضيعها أيقنت حقاً أن الله لم يضيعها . وظل السعي شعيرة من شعائر الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام ، استدامة الإيمان الرء بالمسبب وعدم إعماله للسبب ، وحتى يقبل الإنسان على كل عمل وهو يؤمن بالمسبب ، وبذلك يجب أن تفرق بين التوكل والتوكل .

إن التوكل عمل قلب وليس عمل جوارح ، والتوكل تعطيل عمل جوارح . ليس في الإسلام توكل ، إنما الجوارح تعمل والقلوب تتوكل . حكماً كان توكل هاجر ، لقد حصلت وتوكلت على الله ، فزودها الله ما تريد بأمرين الأسباب ، وهي ضربة قدم الوليد للأرض . وبقيت تلك المسألة شعيرة من شعائر الحج والعمرة وهي سبعة أشرطة بين الصفا والمروة . وعندما عقل الناس عن عبادة الله ، ودخلت عبادة الأصنام الجيزة العربية ، أوجدوا على جبل الصفا صينتين أسودتين إسمائاً ، وعلى المروة صينتين أسودتين ، وكانوا يترددون بين إسمائين ، لا بين الصفا والمروة ، لقد تقلبوا العبادة من خالصية التوحيد إلى شائبة الوثنية .

المزدلفة

ما معنى المزدلفة ؟

السؤال :

الجواب : عندما تقبل النسيان لإبراهيم رحمه بالخصى شيئاً في المرة الأولى ، ثم عاوده مرة أخرى فترجمه شيئاً ، وجاهه في الثالثة فترجمه شيئاً ، بعدما لم يأت له ثانية ، فعجز إبراهيم الخطي مخافة أن يلاحقه ، ولذلك شفى المكان بالمزدلفة ، والمزدلف هو المسرخ ، ويسمى « ذا الجاز » أي أنه اجتاز المزدلفة ، ويكون قد عرف المسألة عند عرفة^(١) .

○○○

(١) والمزدلفة هي : موضع يحكى يتخرب إلى الله فيها ، وسببت المزدلفة من الأرواف وهو الإجماع ، لاجتماع الناس بها ، أوه .

أعمال الجاهلية خطأتهم الحق سبحانه وتعالى ، وقال لهم : **لَمْ يَرَأَ الْآلِهَةُ وَالْمُرُوءَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ** ^{١٨٢} .

وكلمة وصفا ومعناها الحجر الأسلى ، وأصبح كذلك من كبرة الملائسين له على مر الزمان ، وقيل : إن الصفا مسورة إلى اصطفاة آدم ، وقيل : إن المروءة مسورة إلى المروءة التي هي حياء ، لكنه كلام يقال ولا يتوقف عنده كثيرا ، لأن صله لا يقع وجهه لا بشر ، فاليهم بالصية لما أنه مكان ترددت فيه حاجر وهي تطلب الماء لانيها ، إن الحق حمل السعي بينهما من شعائر الله ، والشمائر هي معالم الجادة ، وتطلق فالتعا على العالمين الكافية ، ويقال : هذا مغالف ، وهذا مسعى ، وهذا مرعى الجمرات ، وهذا الشعر الحرام .

إن كلمة والشعر تعني المكان الذي له عبدة مخصصة ، وما أن العضا والمروءة مكانان فقد جاء وصفهما بأنيها **لَمْ يَرَأَ شَعَائِرِ اللَّهِ** ^{١٨٢} ، والبيرة : ١٧٥٨ : **لَمْ يَرَأَ شَعَائِرِ اللَّهِ** أي **أَتَشْتَرُ** فلا يحتاج عليه أن يتقوى **يَوْمًا** ^{١٨٣} كان الحج والمرءة لهما شيء بهما في مقام القرصية ، ولهما شيء آخر بهما في مقام الطلوع ، وإن أدى المسلم الحج والمرءة مرة يكون قد أدى الغرض ، وهذا لا يمنع أن تكرر الحج والمرءة مرة تطلع مقبول بأذن الله .

رسامة تقول : لا جناح عليك أن تفعل كذا ومعنى ذلك أنك إن فعلت فلا إثم عليك ، لكن ليس خطأ في أن تفعل ، وليس فرضا في أن تفعل ، وهذا ما جعل بعض الناس يتولون : إن السعي بين الصفا والمروءة ليس ركنا من أركان الحج ، ويشترط لهؤلاء : هذه آية جاءت لسبب ، وهو أنهم كانوا يخرجون من اللطائف في مكان يطوف فيه الشركون فقال لهم : **لَمْ يَرَأَ شَعَائِرِ اللَّهِ** أي **يَوْمًا** ^{١٨٣} .

إن نبي الجناح لا يعني أنك إن لم تفعل يصح ، لا ، إنه سبحانه يورد على حاله كانوا يخرجون منها ، وقوله تعالى : **لَمْ يَرَأَ شَعَائِرِ اللَّهِ** ^{١٨٣} يستدعي ما وثقه ، إن الحاج أو المعتمر يسعى بين الصفا والمروءة ، فلفظا وصف الحق هذا السعي بـ : **لَمْ يَرَأَ شَعَائِرِ اللَّهِ** ^{١٨٣} .

فلما جاء الإسلام أراد الله ألا يخرج المسلمين في صلاتهم إلى البيت الحرام إلا بعد أن يظهر البيت ويجعله حالفا لله ، فلما ذهب بعض المومنين إلى الكعبة فخرجوا أن يسعوا بين الصفا والمروءة ، لأن إسافا و ، وثلاثة و فوق الجبلين ، فكانهم أرادوا أن يطعموا كل مسلمهم بموائد الجاهلية ، واستكبر إعتانهم أن يرددوا بين إساف و و وثلاثة ، فانزل الله قوله الحق : **لَمْ يَرَأَ الْآلِهَةُ وَالْمُرُوءَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ** ^{١٨٢} **يَوْمًا** ^{١٨٣} أي **أَتَشْتَرُ** فلا يحتاج عليه أن يتقوى **يَوْمًا** ^{١٨٣} كان الحج والمرءة لهما شيء بهما في مقام القرصية ، ولهما شيء آخر بهما في مقام الطلوع ، وإن أدى المسلم الحج والمرءة مرة يكون قد أدى الغرض ، وهذا لا يمنع أن تكرر الحج والمرءة مرة تطلع مقبول بأذن الله .

لقد كانت نية السعي الأولى عند هاجر هي الإيمان بالله والأخذ بالأسباب ، لكن الوثنية قلت قوة الإيمان إلى حضيض الشرك ، وكان لابد أن يستعيد المسلمون نية الإيمان الأولى عند زيارة البيت الحرام بالسعي بين الصفا والمروءة ، لصح في الإسلام نصيح لأمر الأمر ، قال لنا : **وَقِيلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ** ، وفي الوقت نفسه أمرنا أن نرحم الحجر الذي يرمز إلى الحبس ، هكذا يكون المرة ثانية ، وليس بشكل العمل ، ويكون العبرة في إطاعة أمر الله ، وكان الحق بهذه الآية يقول للمومنين : إن الشركين جدوا ، إسافا و وثلاثة ، لكن أتم فخرجوا المسألة من بالكم ، وادعوا إلى الصفا والمروءة ، فالصفا والمروءة من شعائر الله ، وليست من شعائر الوثنية ، ولكن ضلال للشركين هو الذي خلط عليهما الوثنية في إساف وفي ثلاثة . لقد أراد الوثنيون بوضع إساف و على الصفا ، وثلاثة و على المروءة أن يأخذوا صفة التقديس للأركان ، فلو أن الصفا والمروءة من القديسات سابقا لا وضعوا عليهما أحجارهم ، ولما جاءوا بأصنامهم لضعوها على الكعبة ، فلما دبل على أن قداسة هذه الأماكن أسبق من أصنامهم ، لقد حموا إثنين بوضع إساف و وثلاثة و على الصفا والمروءة .

ويبدو أن بين الحق للمومنين أن الصفا والمروءة من شعائر الله ، فيه على أن المكين - ساكنين المكان - لا يحسن المكان ، بليل أن الإيمان عندما نجيت له الغاية ، كسر الأصنام وأزالها من الكعبة وأصبح البيت ظاهرا ، وعندما كان المومنون يخرجون أن يملوا فعلا من

عزقة وسر السمية

السلطان :

لماذا سميت عزقة بهذا الاسم ؟

الجواب : لقد رأى إبراهيم عليه السلام في الرؤيا أن يذبح ابنه إسماعيل ، وهي مسألة شاقة على النفس ؛ لأنه ابنه الوحيد ولأنه سلبه عبده .

وجلس إبراهيم في هذا المكان يدبر فكرة ويتردى ، ولذلك سمى اليوم الذي قبل عزقة ليوم « الزريبة » .

وفي اليوم التالي تأكد أن الرؤيا حق ، وعرف أنه لابد أن يذبح ابنه ، فسمى المكان الذي عرف فيه حقيقة الرؤيا « عزقة » .

أو أن جبريل كان يعلم إبراهيم عليه السلام عاصك الملح في هذا المكان .. ويقول له عزقت ؟ فإبراهيم عرف .

وقد يكون يعني أن الإنسان يعرف فيها سعة رحمة ربه ، فإني إلى هذا المكان وكل واحد يعرف فيه ويستغفر الله في ظل وحشوش .

وعلى كل حال فإن اختلاف المعاني ، واختلاف اللاتجاهات التي أدت إلى هذه التسمية يوم عزقة أو يوم الزريبة .. لا تضارب بينها ، والله تعالى أعلم .

○○○

لكي تعرف ذلك لابد أن توضح معنى « طاف » ولا جال « وادار » ، إن « طاف » تعني : « دار حول الشيء » ، فالدورة التي بين الصفا والمروة حتى يستبها المني طافاً ؟ إن الدائر حول الدائرة يبدأ من أي نقطة منها كبدائية ، لتكون تلك النقطة نهاية ، وكل طواف حول دائرة يحد فيه أن كل بداية فيها تعتبر نهاية ، وكل نهاية تعتبر بداية ، وأي حركة من وإلى شيء واحد يصنع دائرة .

وصحيح أن من يسمى بين الصفا والمروة لا يدور ، ولكنه سلب من الصفا إلى المروة ، ثم يقبل عائلاً إلى الصفا ، ثم منها إلى المروة ، وهكذا يصير الأمر طوافاً ، ومثال آخر من حياتنا اليومية ، إن الشرطي الذي يطوف لحراسة الدوراع والمنازل بالتبلي ، قد يلف المدينة كلها ، ويمكن أن يلف شارباً واحداً هو مكان جرابته ، فالدوران في الشارع من أوله إلى آخره عدة مرات يسمى طوافاً بينهما ، وهكذا نفهم معنى طر يَكُونُك يَوْمًا كَ ، أي غشي بينهما عدة مرات من بداية هي نهاية .

وهكذا نجد أن السعي بين الصفا والمروة هو جزء من شدة الملح والعمرة . ونجد أن الضرعية في المحج والعمرة أساس ، والتسويج يتكرر المحج والعمرة هو خير . طر ومن تَفَقَّحَ حَيْثُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَاكَرًا فَلَيْسَ كَ ، والبعد : ٢١٥٨ .

وهذا القول يقتضي أن نفهم أن الشاكر أصابه نعمة من المشكور .

○○○

لزمى حجراً بحجر

السؤال :

ما المعنى من ترحم الشيطان وهو حجر
نرميا بحجر ؟ وما علاقة الشيطان بهذا
الحجر ؟ وهل الشيطان موجود فيه ؟

الجواب : بعض العلماء يقولون إن الشياطين تفس في هذه الأحجار في أيام نبي .. ونحن نقول لهم سواء أكان هذا صحيحاً أم غير صحيح .. فإنه اختيار كما قلنا للإيمان في القلب .. فقلة الأسباب الإيجابية ليست في أن تفهمها .. أو تعرف الحكمة منها .. ولكن علة الأشياء في أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بها .. إنا نقفل حجراً وترحم سبحانه لى هذا أنك حين ترحم الشيطان لابد أن تعرف أنه لا يترك قضية شيئاً إلا حاول إفسادها ، وقد لاحظ الشيطان مبدأ إرغامهم عليه السلام .. وكلما زده إيجابية كان يعارده مرة ثانية .. ونحن بالرحم نقتل أمر الله أولاً ، ونحصى سنة أينما يرغمهم عليه السلام الذي سمعنا مسلمين من قبل وفاة نبي رضى .. كما يقول الله تبارك وتعالى عنه في كتابه الكريم : ﴿ وَارْتَدَّ عَنِ الْبَيْتِ وَمَنْ فِيهِ إِلَّا نَجْمٌ ﴾ [٢٣٧] .

إنا حين نرحم إبليس في الحج بحب أن يكون عروفاً هو ألا نطعمه بعد العودة وأن يكون شعوراً أننا تغلبنا عليه ، ويجب أن تستمر هذه العلية بعد الحج لأنه رغم دمه ودميته لجعلنا لا يؤمن بالله .. سبحانه .. أما .. ورغم محاولته لأن يجعلنا نشرك بالله لم نشرك ، ثم أتينا إلى الحج فأدبنا الناس وأرددنا في الصلاة ..

إن الرحم هنا رمز لاتصمداً على الشيطان ، ولو يوم لعنة وخسران مبدئ للشياطين .. والشيطان ملعون من الله ومن الملائكة ومن المؤمنين ، لعنة الله غيب عنا ولكنها موجودة ومستمرة .. ولعنة الملائكة غيب عنا ولكنها موجودة ومستمرة . أما نحن فأبنا نملن لعنة الشيطان بطريقة مادية ، وهى الرحم في نبي ، في هذا اليوم نرى الشيطان في آخر وأذل حاله .

الحج ١٨٧

الرحمة في الحرم

السؤال :

ما المقصود بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « إن الله يهبط في الحرم الكعبة - مائة وعشرين رحمة ؟

الجواب : الحق سبحانه وتعالى يريد بنا اليس .. وكل من في الحرم له ثوابه .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تعالى يقول في كل يوم وي ليلة عشرين ومائة رحمة يزل على هذا البيت مئتان منها للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للمطهرين »^(١) .

إنا إذا جلست ننظر إلى الكعبة نزلت عليك الرحمة .. رأيت عندما نرى الكعبة وننظر إليها تخفى كل حرمك ولا يبقى في بالك إلا الله سبحانه وتعالى .. ولو جلست ساعات أمام الكعبة فإن نظرك لا يتحول عنها .. ولا تستطيع أن تخرج نفسك منها ، ما دمت جالسا أمامها .. وقد أروى تفسيراً لذلك فقد لا تغفل إليه ، فإن في النفس البشرية مكاكات لا يعرفها إلا الله سبحانه وتعالى .

○○○

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١/ ١١٤٧٥/١٥٦/١ من ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

زيارة المسجد النبوي

صديق أن زيارة المسجد النبوي الشريف ليست من نفسك الحج ، حتى يترك الناس الذين يقولون : « من لم يزر مكانه لم يحج » إن هذا ليس بحديث نبوي ، ولكنه معنى نفسي .

البراج يقول : كيف أدب الحاج ولا أُرور حشرة التي صلى الله عليه وسلم ؟! هذه مسألة غير مستعجلة ، وإن كانت ليست من الملوك .

وَمَا هِيَ رَأْيِي أَنَّ اللَّهَ سَجَّاهُ وَيَهْدِي لِرَبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَغْشَى بِالْمَدِينَةِ وَيَقُولَ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ : هَذَا الْحَيَا مُحْيَاكُمْ وَالْمَدَائِمُ عَمَّاكُمْ ۚ ۚ رَحِمَهُمَا بَعْضِي : سَمِعْتُ هَذَا وَبَحَا عَلَيَّ ، وَحَسْبِيَ لَا يَبْغِي ظَنُّكَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يُعَارِضُ مَعَ نَوَالِ اللَّهِ تَعَالَى : هُوَ وَكَأَنَّكَ تَقُولُ نَقِيضًا مِمَّا أَتَصَدِّقُ بِهِ كَمَا أَنَّكَ تَقُولُ نَقِيضًا لِقَوْلِي أَنِّي أَتَقُولُ كَقَوْلِكَ فِي الرَّسْمِ : ۚ ۚ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَسَمَ النَّبِيُّ لَمْ يَعْطِ الْأَنْصَارُ شَيْئًا ، فَانْتَفَدَ عَلَى الْأَنْصَارِ ، فَمَلَّ الَّذِي سَعَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَ لَهُمْ : هَذَا أَمَّا تَرَوْنَ أَنْ يَغْشَى النَّاسَ بِالْأَشَاةِ وَتَذْهَبُونَ أَنْتُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ سَالِكًا ، لَوْ سَلَكَ الْأَنْصَارُ شَيْئًا لَسَلَكْتُ نَعْبَ الْأَنْصَارِ ، الْحَيَا مُحْيَاكُمْ وَالْمَدَائِمُ عَمَّاكُمْ ۚ ۚ

(١) يذكر ابن حبان في صحيحه (١٤٧٠١) عن عبد الله بن رباح قال : زلزلت يهود إلى ما وراء في رومستان أنا منهم وأبو هريرة ، وكان بعضنا يصيح للبعض الطام ، وكان أبو هريرة يكثر أن يذبحوا على رحله ، انقأت : لم سمعت طمناثا ثم : فأنعم إلى رحلي فأمرت بسلامت نصبح ، ثم لبثت أنا وهريرة من المعنى نقلت : يا أبا هريرة العدة عندى الليلة . فقال : يستحي . قال : فأنعمهم إلى رحلي إذ قال أبو هريرة : ألا أحاسنكم أو أحاسنكم إلى أحاسنكم بعثت من حديثكم يا معشر الأنصار حتى يذكركم الطام فذكر فتح مكة فقال : أتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل مكة فبعث الزبير على أحد الجيشين وبعث خالد بن الوليد على السرى ، وبعث أبا عبيدة على الحسر فأفلحوا الروى وروى الله صلى الله عليه وسلم في كعبه ، وقد بعثت قريش أربعا لها أربعا لها فقالوا : تقدم هؤلاء لأن كان لهم شيء ، كما معهم لأن أنسيوا أعطينا ما سألنا ، فظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزني فقال : يا أبا هريرة أتعصف

[illegible]

○
○
○

وغيرنا لذلك الخلق فقلنا : و الحى له قانونين : قانون يقظة وقانون نوم ، قانونه فى اليوم أنشف وأخف من قانونه فى اليقظة ، يقول لك : أنا رأيت فى الرؤية ثلاث لاسم أبهى فى أبهى ورأيت حسان شكله كد وصفته كذا ، وقال لى كذا

كيف رأيت هذا رأيت قائم عيناك مغمضة ١٩

إذن .. فقد رأيت غير عين وسمعت غير أذن ، وأدركت غير وسيلة إدراك . فلهذا دليل على أن النوم له قانون . وقانون اليوم له قانون فالقوت أيضا له قانون ليس كقانون الحياة . وقانون الموت له قانون أنشف من قانون النوم ، والنوم له قانون أنشف من قانون اليقظة ، إذن .. فاليعتد له قانون أنشف من قوانين الجميع .

إذن .. فتأكد كل شيء بقوانينه ، وسلم على حضرة التى صلى الله عليه وسلم بالسلام الذى يلهيك الله به ، ولكن بأدب يخشع ، لا ترفع صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يد أن تلحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصره منك أن يغمض فى موضع أعلى من موضعه الذى وضعه الله تعالى فيه ، فأياك أن تتعالى فيه كما غالت بعض الأنم الأخرى فى أنبيائهم ، لأن هذا لا يرضى حضرة التى صلى الله عليه وسلم ولكن تكلم عنده بأدب ، سلم عليه كان تقول :

السلام عليك يا رسول الله ، يا رحمة الله للمالين ، يا خاتم الأنبياء والمرسلين ، يا كذا ، يا كذا ، قل ما شئت من مكارم أخلاقه ، وما رصفه به رب المالين فى القرآن الكريم ، أو صل عليه الصلاة التى اعتدت دائما أن تصلها عليه فى الصلاة ، فى التشهد . وفى الصلاة الإبراهيمية .

وبعد ذلك تسلم أيضا على صاحبه : سيدنا أنى بكر رضى الله تعالى عنه ، وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وسلم عليه بلاغا بسلام تحسنت به من أحد الأهل أو الأقرناء والأصدقاء ، فإذا قيل لك حين تذهب إلى المدينة المنورة سلم على رسول الله ، فسيتمكن مثلا أن تقول : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله عنى رضى فلان الذى كذا وكذا ورضى كذا ..

لكن إذا ما دخل المسجد ، فيه خلاف عن دخول المسجد الحرام فالمسجد الحرام لأنك قائم لأداء نسلك فلا بد من الطواف أولا ، ثم إن تحية المسجد الحرام الطواف . لكن المسجد النبوى لابد أن تحيى المسجد أولا بصلاة ركعتين ، ثم بعد ذلك تودد حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، والزيارة تكون بأدب الخاشع ، استحضار عظمتهم ، استحضار مكانته عند الخلق سبحانه وتعالى .. وبعد ذلك تسلم عليه : لأن تبرع الإسلام على حضرة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضى الله تعالى عنهما بل وعلى عموم الأزمات من المسلمين إيمانا بأن لهم فدية بالسلام ، أو شعورا بالسلام . ولا لو لم يكونوا عندهم شعور بالسلام لكان التسليم عليهم عيب ، فهم فى حياة لا تعلم كنهها ، ولكن أخبرنا عنها .

فعندما تقول مثلا : والسلام عليكم ديار قوم مؤمنين ، أنتم السابقون وإذا إن شاء الله بكم لأحفرون ٢١) . فلو لم يكن للسلام عندهم استقبال إيماني ، لكان التسليم عيبا .

وهنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول غزوة غزاهما فى بدر ، وقف على بحر أنقى فيه يقتل المشركين والقتيل ، وقال : يا فلان ، يا حبة يا حبة يا ... ، فقال له الصحابة : أكلمهم وقد جئوا - يعنى : أسحوا جيئا - قال : و ما أنتم

٢٢)

بأسمع منهم ولكنهم لا يجيبون ، الناس تنهم أن السماع لا يكون إلا بالأذن ؛ وأن الرؤية لا تكون إلا بالعين ، وتكون حياتهم كحياتنا ١١ لا .. لكلى حياة قانون ، فحياتك هنا لها قانون ، وحياتك بعد موتك لها قانون .

(٢١) روى مسلم [١٠٧/٩٧] عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل إلى البيت ، فيقول : و السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا هم عزودون غدا مزجلون ، وأنا إن شاء الله بكم لأحفرون .

والساقى [١٥٠] وأبو داود [٢٢٣٧] عن أنس مروة رضى الله تعالى عنه . ورحمة الألبانى . (٢) رواه البيهقى [٢١٣٧] وسلم [٢٧/٩٣٧] عن أنس عمر رضى الله تعالى عنهما ، وأحمد فى المسند [٢٨٧/٣] عن أنس رضى الله تعالى عنه .

بإذنا ما أردت أن تصغرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فسلم أديب
 الاعتراف من سيدنا الإمام على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ، حين وقف وقال :
 والسلام عليك يا سيدى بارسول الله عن رضى ابتك التاراة فى حوارك ، والسريه
 اللحات لك ... إلى أن قال : والسلام عليكم ، سلام مودع لا قال ولا سلم ، فإن
 تصغرف فلا عن ملالة ، بأن تقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله به عباده الصابرين ٤ .
 قبل الله حج من حج ، ورسر وأعان نته ورحمته من لم تمكنه الاستطاعة من الحج
 إلى أن يحج ، والزم غير الحاج يستطيع أن يحمل تقلاده لغيرضات الحق على أهل
 الحجيج أن تعب عليه ، لأن أجهزة الاستقبال الإيمانية ، تستطيع أن صفت واستحضرت
 مواقف الحجيج عند الله ، أن يعب عليها من الرحمت ما عند الله .

ألم يقل الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَرَكْعَةً فَعَشْرَةَ لَأُكْثِرَ بِرَحْمَتِي﴾
 يوسف : ٢١٤ .

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المدينة أثناء غزوة مؤتة ، وموتة بعينه
 جدا : «أخذ الراية فلان قتال وقيل ، وأخذ الراية فلان قتال وقيل» من الذى أعلمه ؟
 إنها هيات الصغاة فى الإرسال من هناك ، وفى الاستقبال من هنا .

وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أيضا حين قال : «يا سارية الجبل» فإن الإرسال من
 هناك والاستقبال من هنا إذا صحت آله الاستقبال لا يفتيب عليك شيء من رحمت الله
 تعالى ولا من فضله .

أسأل الله سبحانه وتعالى للمحاجين أن يوردوا ، ولغير المستطيعين أن يستقيموا ، وأسأل
 الله سبحانه وتعالى لجميع المؤمنين والمؤمنات فى جميع بقاع الأرض صلاح الحال .

○○○

وبعد ذلك صل ركعتين فى الروضة الشريفة وحي بين المقام والشعر ، ثم تسأل الله
 تعالى ما تشاء^(١) .

واعلم أنك ساعدت أن تنفخ أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معناه أنك
 ستحضر شمسك لتقول : «لأن هذا موقف أبلغ اللبلاء حيث يفقه بكون أكرم ، لا يدري
 ما يقول ، ولا يجد إلا أن يقول صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ...
 اضطرب ، لماذا ؟

لأن المقام حين يهول الإنسان يقول : إن أسألتنى لا تنهض بأن توفى حضرة التى عليه
 الصلاة والسلام حقه ، ويقول : ماذا أقول التى عليه الصلاة والسلام ؟ فتقول لهذا : كل
 له كما علمك الله ، وصل عليه ، وصل عليه بسلام ، وصل على آله ، وصل على
 إخوان من الأنبياء ، ونف أمله بأدب وبحشوع واستحضر مكانته عند ربه ومكانته عند
 الرسل ، وبعد ذلك فالتلى بأجمل لك الله به فله .

الإنسان منا فى المسائل التى حل هذه لا يقدر أن يحضر الموقف . ولكن الله سبحانه
 وتعالى هو الذى يكيف الفهم ويطلق الأسماء إلا أن الإنسان مطلوب منه الانضباط
 الأدنى مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا انضبط الانضباط الأدنى فمن
 السمر على من تحب أن تسمى وتتركه ، ولذلك فذاك تضع الصبح التى تصغرف عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدب الجين ؛ أدب الجين - مثلا - كما علمنا
 المارئون : «اللهم أسألك أن تعلى وتسلم عليه وعلى آله ، وضاعف اللهم محبتنا فيه
 وعرفنا بحقه وقدره ، وونتق لاتباعه والقيام بأدابه ومسته ، واجعل صلاتنا عليه تورا
 فائضا ماحيا عنا كل ظلمة وظلم ، وكل شك وشرك وألوان وضغلة ، واجعلنا سبيلا
 للوصول حتى لا تبقى لنا رابية لغيرك ، وحتى نصلح لغيرك ، ونكون من أهل
 خضوعيتك متمسكين من آدابه صلى الله عليه وسلم بالجبل الثين ، مستمدين منك
 باربا ومن حضرة نيك العلية كل توفيق فى أمور الدنيا وفى أمور الدين ٤ .

(١) روى البخارى [١١٩٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
 «ما بين بينى وبين روضة روضة من رياض الجنة ٤ ، وسلم [٢٥٠٢/١٢٩١] والترمذى [٢٩١٦] .

٢	مقدمة كتاب الحج
٨	الحج إعلان بسلام نعمة الله على الإنسان
١٢	في الإسلام المساواة .. وعدم التعالي
١٤	المساواة في الصلاة والحج
١٩	الكاء عند رؤية الكعبة
٢٢	سر الاغناء للكعبة
٢٤	من أسرار الطواف .. ولماذا سبعاً ؟
٢٥	أركان بيت وضع للناس
٣٢	إعادة بناء الكعبة .. في عصر إبراهيم إسماعيل عليهما السلام
٤٠	أولاً من بني الكعبة
٥٧	البيت قبل إبراهيم .. والله الذي أرشد إليه
٦٤	هجرة إبراهيم ومهاجر إلى مكة
٧١	زبرم .. وصدق التوكل على الله
٧٣	اغلاء إبراهيم في ولده
٧٨	بركة البيت .. والحج المبرور
٨٨	ومن بركات الحرم .. تحريم القتال فيه
٩١	البيت معابة للناس
٩٢	السمي بين الصفا والمروة
٩٧	الوقوف بعرفة
١٠٦	دعاء يوم عرفة
١١٣	المشعر المرام
١١٥	رعى الجمار
١١٧	من أسرار الرحم .. الإيمان بالكيف بالعمل به بل معرفة الحكمة منه
١٢٨	فنيح التهني
١٣٠	مكان فنيح التهني



مطابع التراث في عمان - عمان
طبع في عمان - عمان
الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

المقدمة

الموضوع

- ١٣٩ اطلق والتقصير
١٤٢ امكنة من الملقن والتقصير
١٤٣ طواف الإفاضة
١٤٧ الحسل
١٥١ التوكيل في رمي الجمرات
١٥٢ متى مكان ومكان
١٥٤ الخلاف في أعمال الحج
١٥٧ اجتهاد .. وليس خلافا
١٥٩ اللماء في الحج
١٦١ تضيقات ونصائح للحجاج
١٦٥ حكاية قل مقام إبراهيم
١٦٨ فضيلة موافقة يوم عرفة يوم الجمعة
١٦٩ تقي الموت بالمؤمنين
١٧٠ الحج عن الغير
١٧١ الحج .. والنية
١٧٤ لماذا الحج ؟
١٧٥ ثواب الحج للبرور
١٧٦ الطواف حول بيت الله
١٧٩ حجرا قبل ألا تحجرا
١٨٠ الحردقة
١٨١ ابتلاء هاجر وشعيرة الحج
١٨٥ حرة ورس التسمية
١٨٦ الرحمة في الحرم
١٨٧ نرمى حجرا بحجر
١٨٩ زيارة المسجد النبوي
١٩٧ المنهوس

الحج